مركز البحوث والدراسات القرآنية، جامعة بايرو، كنو – نيجيريا

مجلة

الماهر

في الدراسات القرآنية

مجلة حولية مهتمة بالبحوث والدراسات القرآنية العدد الثاني، يناير 2017م/ ربيع الثاني 1438هـ

M

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

All Rights reserved. No part or whole of this journal is allowed to be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, without prior permission of the Copyright owner.

مركز البحوث والدراسات القرآنية، جامعة بايرو، كنو
العدد الثاني، يناير 2017م/ ربيع الثاني 1438هـ

ISSN: 2505-0583
ISSN 2505-0583
9 772505 058008 >

© Copy Rights 2017
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز البحوث والدراسات القرآنية
جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

عنوان المراسلات
صندوق البريد : PMB 3011
البريد الإليكتروني : dircqs@buk.edu.ng
الهاتف : +2348036866616

Printed & Published by:

Centre for Qur'anic Studies
Bayero University, Kano
P.M.B. 3011, Kano Nigeria. Tel: +2348036866616
E-mail: dircqs@buk.edu.ng

هيئة التحرير

رئيس التحرير : أ.د. إبراهيم محمد
المحرّر : د. محمد ب. محمد
مدير التحرير : د. عثمان ثاني عباس
مدير الأعمال : د. عمر عباس عبد القادر
السكرتير : د. توفيق أبوبكر حسين
الأعضاء : د. عبد المعين علي غيدي

مستشارو التحرير:
: أ.د. محمد ثاني زهرالدين
: أ.د. أبوبكر مصطفى
: أ.د. جعفر ماكو قورا
: أ.د. محمد معاذ نغرو
: أ.د. سليمان محمد جامع

محتويات العدد

- هيئة التحرير ..... ج
- محتويات العدد ..... د

(1) الشيخ جعفر محمود آدم، حياته العلمية وإسهاماته في مجال التفسير: عرض وتحليل **[دكتور عبدالله عثمان عمر]** 1

(2) اتجاهات جمال البنا في التفسير **[دكتور جابر موسى سليمان]** 12

(3) أسلوب الاختيار وصوره الجماليّة في سورة البقرة: دراسة أسلوبيّة **[محمد خامس محمد]** 27

(4) الإجازة القرآنية مفهومها وضوابطها وأحكامها واتجاهات العلماء فيها **[الدكتور عبد المعين محمد علي جيدي القبيسي]** 34

(5) الأستاذ عبد الله بن فوديي ومنهجه في التفسير باللغة **[الدكتور أمين الله آدمو الغمبري]** 40

(6) الإعـجاز التشـريعي عند سيد قطب **[دكتور شعيب مختار شعيب]** 47

(7) الكتاتيب القرآنية في ولاية زمفرا - ما لها وما عليها **[تجاني الحاج ثاني]** 55

(8) الترغيب والترهيب في الخطاب الدعوي القرآني **[الدكتور إبراهيم محمد حسن و طاهر غوني إدريس النايم]** 66

(9) الغلو ومنهج القرءان الكريم في معالجته **[د/ إبراهيم عبد الله ثاني]** 75

(10) دراسات في المجمل والمبين في القرآن الكريم: سورة المائدة أنموذجا **[د/ توفيق أبوبكر حسين]** 84

(11) تحفيظ القرآن الكريم وتحدياته في بلاد يوربا **[عباس زكريا القارئ الإبادني]** 95

(12) مراتب قراءة النص الديني – قرآنا وسنة- وأدوات استنباط الأحكام الشرعية اللازمة للداعية والـمفسر والمفتي **[د. علي محمد الأحمر]** 107

(13) طرق التعليم القرآن الكريم وتعلمه **[الدكتور أبوبكر محمد]** 113

(14) ماهية القراءات القرآنية **[د. تجاني زبير رابع]** 121

(15) منهج الشيخ عبد الله بن فودي في الإسرائيليات في تفسيره للقرآن الكريم وموقفه منها **[محمد إبراهيم يعقوب و الدكتور أبوبكر الصديق أحمد]** 131

(16) علوم الشريعة الإسلامية ونظام تدريسها بين جامع الشيخ غوني محمد كولو وجامعة ميدغري (دراسة مقارنة) **[إعداد مصطفى أبوبكر مصطفى]** 140

(17) أثر القراءات الـمتواترة في اختلاف الفقهاء **[دكتور إمام عيسى عبدالكريم]** 152

الشيخ جعفر محمود آدم، حياته العلمية وإسهاماته في مجال التفسير: عرض وتحليل

إعداد
دكتور عبدالله عثمان عمر
Abdallah Usman Umar, Phd
School of Continuing Education (SCE)
Bayero University Kano
abuatif78@yahoo.com; abdallahuu78@gmail.com
08098077354

مستخلص البحث

يعد أبو سالم الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله، من العلماء الجهابذة الذين خدموا العلم ونشروه،كما كان داعية ومصلحا للأمة ومفسرا نحريرا، لن تُجهل إسهاماته العلمية وخدماته القرآنية في هذه الديار، نشأ في أسرة مهرت واشتهرت بخدمة القرآن والسنة، ومن الطبيعي أن يولع أبو سالم بتفسير القرآن الكريم لأنه يحفظه منذ الصغر ويرتله ترتيلا، وقد اشتهر الشيخ جعفر بالتفسير، يسير مع المنهج في تفسيره يعِد إعدادا تاما على تفسيره بلاعتماد على كتب التفسير المعتبرة ويلتزم بالدليل ويفسر القرآن بالقرآن على منهج السلف الصالح، كما أنه يهتم باللغة العربية أشد الاهتمام يقرأ في كتبه ويرتشف من معانيها ويستدل بأشعار العرب في تفسيره، وللشيخ مجالس التفسير متعددة في نيجيريا، وإن علم التفسير من أهم العلوم ومن أشملها التي اهتم بها الشيخ، لأنه علمٌ يتعلق بكلام الله وهو أشرف الكلام , وعلم التفسير شامل لسائر العلوم من العقيدة والحديث والفقه والنحو والصرف والسيرة والتاريخ وبقية العلوم الشرعية العملية,علمٌ يتنقل بين العلوم جميعاً لأن الله نزل القرآن تبياناً لكل شيء, والقرآن الكريم كلام الله المنزل على محمد المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر صورة منه, ويستحق العناية وجميع الخدمات وقد فارق حكمه حكم غيره من الكتب السماوية، ويتكون البحث من مبحثين ومطالب تحت كل مبحث وخاتمة وتوصيات ومراجع.

المقدمة

إن علم التفسير من أهم العلوم التي ينبغي للأمة العنايةُ بها إذ أن شرف العلم بشرف المعلوم، يقول ابن عبد البر رحمه الله: فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب معه. وقال ابن عطية رحمه الله: فلما أردتُ أن أختار لنفسي وأنظر في علم أُعِدُّ أنواره لظُلَمِ رمسي سبرتها بالتنويع والتقسيم وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها حبالاً وأرسخها جبالاً وأجملها آثاراً وأسطعها أنواراً علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي استقل بالسنة والفرض ونزل به أمين

السماء إلى أمين الأرض هو العلم الذي جعل للشرع قواماً واستعمل سائر المعارف خداماً...وقال ابن تيمية رحمه الله: قد فتح الله علَيَّ في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن. (1)

يعد أبو سالم الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله، من العلماء الجهابذة الذين خدموا العلم ونشروه،كما كان داعية ومصلحا للأمة ومفسرا نحريرا، لن تُجهل إسهاماته العلمية وخدماته القرآنية في العالم، نشأ في أسرة مهرت واشتهرت بخدمة القرآن والسنة، ومن الطبيعي أن يولع أبو سالم بتفسير القرآن الكريم لأنه يحفظه منذ الصغر ويرتله ترتيلا، وقد اشتهر الشيخ جعفر بالتفسير، وبحر فيه، يسير مع المنهج في تفسيره رحمه الله تعالى.

المبحث الأول
نسب الشيخ جعفر، مولده، منشئه،وحياته العلمية.

المطلب الأول:الشيخ جعفر رحمه الله، النسب والمولد والمنشئ

نسبه:

هو جعفر بن محمود بن آدم بن نوح (أمير مدينة دورى)، أبو سالم المفسر النحرير والداعية الشهير ناصر السنة، غوني (Gwani) رحمه الله.

وأمه هي: حليمة بنت أبي بكر بن عثمان.

ولشيخ جعفر رحمه الله من الإخوان والأخوات ما يلي:

1. ألرمَّ مالم موسى محمود آدم
2. ألرمَّ مالم أحمد محمود آدم
3. ألرمَّ مالم مأمون محمود آدم
4. يحانَسُ (يايا) محمود آدم (شقيقة الشيخ جعفر رحمه الله)
5. بتول محمود آدم
6. صفية محمود آدم
7. بلقيس محمود آدم
8. بريرة محمود آدم
9. بركة محمود آدم

مولده:

وقد ولد الشيخ رحمه الله تعالى في مدينة دورا (Daura) بولاية كسينا (Katsina) في دولة نيجيريا (Nigeria) في وقت الربيع يوم 1961/03/12م (2)

نشأته:

وكانت نشأته رحمه الله تعالى بين دورا وكانو، ونشأ في بيت اشتهر بالعلم والمعرفة وخاصة حفظ القرآن الكريم، حتى إن بيت الشيخ جعفر بالبيت الكبير (Babban Gida) لشدة عنايتهم بالقرآن الكريم. وقد تزوج الشيخ في سنة 1989م.

أُسرته:

وكانت أسرة الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله مشهورة بالعناية بالقرآن الكريم حفظا وتحفيظا وتدريسا، كما أنها معنية بالعلوم الدينية الأخرى من الفقه واللغة العربية وغيرها من العلوم الدينية. كما أن أسرة الشيخ جعفر رحمه الله تعالى تنتمي إلى سلطنة دورا، لأن جده الثاني (نوح) كان أمير دورا في أيامه[3]، رحمة الله عليهم أجمعين.
وقد نشأ الشيخ جعفر في أسرة كبيرة واسعة النطاق، له من القرابة والإخوان والأخوات والأعمام والأجداد والجدات أكثر من مائة شخص.

المطلب الثاني: الحياة العلمية للشيخ جعفر، الدراسات القرآنية ورحلاته في طلب العلم.

إن الرحلة في طلب العلم سنةٌ متَّبعةٌ لدى العلماء من سلف هذه الأمة؛ إذ يندر أن تجد إمامًا لم يرحل في طلب العلم، لذا نجد الآن أن الشيخ جعفر رحمه الله تعالى رحل إلى بلدان عدة في طلب العلم،حتى رحل إلى مكة والمدينة المنورة، والسودان وغيرها من البلدان، كما سيأتي ذكره.
وقد بدأ الشيخ جعفر رحمه الله تعالى دراسته القرآنية على يد كل من:

1. أخيه الكبير يسمى مالم مغاجي (Alaramma Magaji) ويذكر أن الشيخ تعلم الحروف الهجائية منه، ويلتقي معه في بعض أجداده، ونشأ الشيخ جعفر رحمه الله تعالى في بيتهم.
2. (MalamHaruna) وكان من أقربه في قرية دورا، وهو الذي بدأ الشيخ حعفر تلقي القرآن على يده.
3. مالم عمر (MalamUmaru) وهو بمثابة الأب للشيخ رحمه الله وهو يسكن قرية كوزا (Koza).
4. وكذلك (Baba Rabe) ويعتبر هذا أيضا من أقاربه، وهو من قرية كوزا (kuza).
5. وشيخ كبير يسمى: ألرمَّا عبدالله زرمو (AlarammaAbdullahizarmo) النيجيريرحمه الله، وهو من سكان مدينة كانو، وهو من كبار الحفاظ حينئذ، يوصف بالشدة على تلامذته ولا يقبل التساهل وقد تأثر به الشيخ جعفر رحمه الله تعالى. وقد حزن جدا لمَّا رءا أن الشيخ جعفر رحمه الله تعالى لم يحفظ القرآن في حياته وقد تمنى ذلك ولم يحصل له رحمه الله تعالى. [4]
6. وألرمَّا سفيان حطيجا (Alaramma Sufyanu Hadejia) وهو من مواليد دورا.

7. مالم داود (MalamDaudu) وقد درس الشيخ جعفر القرآن الكريم أيضا وهو الذي أشرف على الشيخ جعفر رحمه الله تعالى حين يكتب القرآن (Satu). لأن الشيخ جعفر رحمه الله تعالى كتب القرآن الكريم غيبا.
8. والشيخ عبد العزيز علي مصطفى المصري، أخذ عنه الشيخ جعفر علم التجويد التطبيقي، عام 1980م إلى 1983م. في المركز الثقافي المصري كنو نيجيريا (Egyptian Cultural Centre kano) ومن العجب ! ذكر الشيخ جعفر رحمه الله أن هذا الشيخ المصري هو أول من سمع منه كلمة (التجويد) لم يسمع تلك الكلمة قبله، وقد استفاد اسفاد منه علوما كثيرا غير التجويد، تعلم منه الشيخ جعفر تفسير القرآن الكريم. (5)
9. ويذكر الشيخ جعفر رحمه الله أنه استفاد من المشايخ الذين يأتون من المملكة العربية السعودية إلى كانو للدورة، ومن ثَمّ يلقون الخطب المنبرية في مسجد الجامع بجامعة بايرو كانو(Bayero University Kano) استفاد الشيخ من الخطب العلمية التي يقدمون في ذلك المسجد.

ويذكر أن الشيخ جعفر رحمه الله حفظ القرآن الكريم منذ سنة 1978م وهو على ما يقارب 17 عاما من عمره، وقبل أن يتزوج. (6)

بدأ الشيخ الدراسة في الكتاتيب منذ عام 1965م إلى أن حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في عام 1978م، وكتب الشيخ جعفر رحمه الله القرآن الكريم بيده غيبًا (Satu) في عام 1978م إلى 1980م، ولا غرابة في ذلك لأن الشيخ كان من عادته إذا حفظ قطعة من القرآن الكريم يكرره أكثر من مأة (100) مرة، وقد رباه على ذلك شيخه باب رابي (Baba Rabe) رحمه الله.

كانت الرحلة في طلب العلم سنة متبعة منذ فجر الإسلام، فكان الصحابة يرحلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتلقوا عنه مبادئ الإسلام وتوجيهاته. ورحل الصحابة والتابعون بعضهم إلى بعض، ثم تتابعت الأجيال الإسلامية على هذا النهج لا سيما أهل الحديث، فقد كانوا يرحلون زرافات ووحدانا يضربون في جنبات العالم الإسلامي شرقا وغربا ارتيادا للحديث وأهله. (7)

بدأ الشيخ جعفر محمود آدم دراسته القرآنية منذ نعومة أظفاره وهو ابن أربع سنين (4) في عام 1965م وكان مع أخيه الكبير (مالم مغاجي) وقد ساعده جدا على تجوله في طلب العلم، وكذلك أخوه (مالم مغاجي) يعدُّ من الذين رحلو بالشيخ رحمه الله تعالى في طلب العلم، رحل به إلى قرية صولي (Soli) في ولاية كسينا، ورُحل بالشيخ أيضا إلى قرية كُوزا (Kuza) أيضا قريبا من من مدينة دورا، كل ذلك لطلب العلم (حفظ القرآن الكريم).

ثم إن الشيخ جعفر رحمه الله تعالى رحل إلى مدينة كانو (Kano) أيضا لغرض طلب العلم فقط، لا للتجارة ولا للسياحة ولا السياسة بل لأجل نيل العلم الشرعي. وقد سكن الشيخ جعفر رحمه الله حارة فغّي (Fagge) في مدينة كانو حينئذ. قال الله تعالى: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" [8] ورحل الشيخ جعفر إلى قُرى غير هذه، مثل: ثكوا (Tsakuwa) و غشوا (Gashuwa) وكزوري (Kazaure) حتى رحل إلى غمبي (Gombe) رحمه الله. [9]

المطلب الثالث: الشيخ جعفر محمود آدم والدراسات العربية ومكافحة الأمية قي سن شبابه.

كان الشيخ جعفر رحمه الله يهتم باللغة العربية أشد الاهتمام لأن الاهتمام بها ينبعُ من عقيدة دينية وقِيَم حضارية وضرورات اجتماعية؛ فاللغة العربية وعاءُ الفكر ووسيلة الاتصال والتفاهم ورابطة القومية، كما هى اللسان المبين الذى حفظه الله مع القرآن الكريم،وهي الأداة الأساسية التى تُستخدم فى نقل مختلف العلوم والفنون والمعارف إلى الناشئة فى مراحل تعليمهم العام والعالى والجامعى وهى كذلك أداة نشر الثقافة بأوسع معانيها.

ومن هنا تبدو أهمية اللغة العربية وأهمية تعلمها وتعليمها عند الشيخ رحمه الله تعالى لأن شعائر الإسلام وأركانه تدعو إلى تعلم اللغة العربية، ثم كان القرآن الكريم الباعث إلى أكثر العلوم العربية الخالصة سواء العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وتشريع أو العلوم الدنيوية من نحو ولغة وبلاغة وغيرها. [10]

لذا بدأ الشيخ جعفر محمود آدم دراسته العربية في المدارس العربية منها:

1. المركز الثقافي المصري في شارع بللو طندغو (*EgyptianCultural Centre Bello Dan Dago kano*) بكانو عام 1980م إلى 1983م.
2. المدرسة الثقافية بمكافحة الأمية في عام 1980م إلى 1984م الدراسة المسائية (*Adult Evening Classes*) ومن هذه المدرسة حصل الشيخ جعفر رحمه الله تعالى على الشهادة الابتدائية.

ولم يذكر أن الشيخ جعفر محمود آدم حضر المدرسة الإبتدائية النظامية الحكومية، نظرا لمجاوزة سنه قطار التعليم في تلك الآونة، بل اكتفى الشيخ بهاتين المدرستين المذكورتين ومنِح الشهادات منهما، وقد درس في هاتين المدرستين من سنة 1980م إلى 1984م.

3. ومن العلماء الذين تعلم منهم الشيخ جعفر العربية: مالم محمد شيخ،(Malam Muhammad Sheikh) من أصل ولاية نيجا (*Niger*) وساكن مدينة كانو حاليا، درَّس الشيخ جعفر رحمه الله اللغة العربية في مدرسة شاهوثي كانو. [11]
4. مالم عيسى طن لامي (*Malam Isah DanLami*) إمام مسجد الجامع في كُرنا، ومدرِّسٌ في مدرسة العلوم العربية بغولي. استفاد منه الشيخ في اللغة العربية فائدة عظيمة.
5. د. نور الدين موسى (Dr, Nuruddeen Musa) لقد استفاد منه الشيخ جعفر حتى في علوم القرآن. ويستعير جعفر منه الكتب للبحث والمطالعة.
6. مالم صحابي أرزَيْ (Malam Sahabi Arzai) تعلّم الشيخ جعفر من عنده كتاب (مقدمة العزية) وبعض كتاب (الرسالة لأبي زيد القيرواني).

7. مالم نوح طن دغو (Malam Nuhu Dandago) حفظه الله، كان شيخا كبيرا له علم غفير، قرأ الشيخ جعفر عنده كتب اللغة وكتاب رياض الصالحين، وبعض كتب المالكية.
8. الشيخ أبوبكر جبريل (Sheikh Abubakar Jibril) إمام مسجد الجامع بجامعة بايرو القديمة، فقد درس الشيخ جعفر من عنده كتب كثيرة منه كتاب التوحيد، وأكمل الشيخ جعفر رحمه الله دراسة الكتاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة.
9. الشيخ محمد أب أجي (Sheikh Muhammad Abba Aji) رحمه الله تعالى، وهو أيضا من المفسرين، والدعاة المصلحين في ميدغري وخارجها، فقد تأثر به الشيخ جعفر رحمه الله واستمع إلى تفاسيره، مثل تفسير سورة المائدة وسورة النور، فقد أثنى عليه الشيخ جعفر رحمه الله ومدحه، رحمة الله عليهما رحمة واسعة.
10. ثم حضر الشيخ كلية معلمي اللغة العربية غولي (Gwale) عام 1984م – 1988م وحصل على الشهادة الثانوية هناك.
11. ومن مشايخ شيخ جعفر في المملكة العربية السعودية: الشيخ محمد بن عبد الله الغنيمان. قرأ الشيخ جعفر على يده تكملة الكتاب التوحيد الذي بدأ دراسته على يد الشيخ أبوبكر جبريل حفظه الله.
12. الأستاذ الدكتور محمد المختار الشنقيطي، قرأ الشيخ جعفر على يده كتاب بداية المجتهد لابن رشد، وكتاب عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي. [12]

المطلب الرابع: الشيخ جعفر محمود آدم والمسابقات القرآنية

يعتني الشيخ بالمسابقات القرآنية في داخل نيجيريا وخارجها وكان يحضرها لكي يستطيع أن يقيِّم به تلاوته القرآنية وينافس أقرانه من القراء والحفظة، فقد فاز بالمركز الأول في المسابقة الوطنية التي أقيمت في مدينة ميدغري (Maiduguri)، اختبر الشيخ على جميع أحزاب القرآن الكريم مع التفسير، من هنا بدأت تظهر عبقرية وموهبة الشيخ رحمه الله وقوة حفظه للقرآن الكريم.

ثم شارك الشيخ جعفر رحمه الله تعالى في المسابقة الدولية بالمملكة العربية السعودية عام 1988م حتى فاز بالمركز الثالث في تلك المسابقة، [13] وقد ذهب الشيخ نيابة عن ولاية دولة نيجيريا برمتها. وبعد عودته من المملكة العربية السعودية للمسابقة القرآنية، عينه أمير كزوري (Kazaure) ورئيس لجنة الإفتاء لتلك المدينة وغيرها كل ذلك ليبدي للشيخ شدة فرحه وسروره على هذه المرتبة التي حصل عليها رحمه الله.

وقد ذكر د. محمد الثاني عمر حفظه الله تعالى،[14] أن جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة احتفت في الشيخ جعفر رحمه الله بهذا النجاح العزيز الذي حققه أحد دعاة السنة وشباب الملة [15] وأعلن رئيس الجماعة حينئذ (الشيخ إسماعيل إدريس رحمه الله) فرحه على هذا النجاح على الممبر في يوم الاحتفاء وقال كلمة طيبة تاريخية في تقدير الشيخ جعفر رحمه الله.

المطلب الخامس: الشيخ جعفر محمود آدم والدراسات النظامية

لم يتساهل الشيخ رحمه الله تعالى بالدراسات النظامية بل التحق بكلية معلمي اللغة العربية غولي (Gwale) عام 1984م– 1988م حيث درس فيها لمدة أربع سنين متتالية وحصل على الشهادة الثانوية. (16)

والتحق الشيخ جعفر رحمه الله تعالى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1410هـ 1989م -، (17) حيث درس الشيخ جعفر فيها أربع سنوات متكاملة في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، ومُنح الشهادة الجامعية باكلوريوس سنة، 1414هـ 1993م، وكان الشيخ رحمه الله تعالى من المتفوقين والطلاب الممتازين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

لم يكتف الشيخ جعفر بالدروس التي تلقى في الجامعة فحسب، بل كان يواظب على الدروس العلمية التي تلقى في الحرم المدني الشريف، (18) كما كان حريصا على أداء الصلاة في المسجد النبوي الشريف، ولا يتهاون على أداء مناسك الحج والعمرة في أيام دراسته، وثبت أنه كان يحضر حلقات الدروس العلمية التي تعقد في الحرم المكي الشريف، كل ذلك ليقوي كفائته العلمية وثقافته الدينية المعرفية.

وأذكر أن من زملاء الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله وأصدقائه النيجيريين في حياته الجامعية: د. محمد الثاني عمر موسى من ولاية كانو، و د. بشير علي عمر من ولاية كانو أيضا، ود.إبراهيم جالو محمد من ولاية تَرابا، ود. منصور إبراهيم من ولاية صوكوتو، ود. عبد القادر عثمان إسماعيل من ولاية كانو، والبروفيسور محمد أرسلان محمد من ولاية كادونا والشيخ محمد سليمان من ولاية بلاتو، والشيخ محمد إنوا رحمه الله من ولاية بلاتو، والشيخ أبَّ تجاني رحمه الله من ولاية كانو، والشيخ شعيب حسن وغيرهم في الجامعة الإسلامية. (19)

وكان للشيخ جعفر محمود آدم وبعض زملائه دروسا وحلقات علمية خاصة لمذاكرة العلم وقراءة الكتب الدينية مع كلٍّ من د. محمد الثاني عمر موسى، ود. محمد إبراهيم جالو. حتى خصصوا يوما(20) لمذاكرة العلم فيما بينهم (21) ومن أمثال الكتب التي سبق أن درسوها(22) وذاكروها: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، وكتاب أصول التفسير، وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم. (23)

وبعد تخرج الشيخ جعفر رحمه الله تعالى من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعودته إلى نيجيريا، سجل في المرحلة الدراسات العليا (M A Islamic studies) في جامعة بايرو (Bayero University Kano) ثم تركها لأعذار وظروف طارئة خاصة والتحق فورا بالجامعة الإفريقية العالمية في السودان للدراسة في المرحلة الماجستير عام 2001م إلى 2003م، ولم يتساهل فضيلة الشيخ جعفر رحمه الله بُعَيد تخرجه من تلكم الجامعة حتى سجل في جامعة عثمان بن فوديو صوكوتو للدكتوراه عام 2005م إلى يوم اغتيل رحمه الله.(24)

المبحث الثاني: إسهامات الشيخ جعفر محمود آدم في مجال تفسير القرآن الكريم

المطلب الأول:علاقة الشيخ جعفر بعلم التفسير

كان الشيخ رحمه الله تعالى حافظا لكتاب الله تعالى منذ الصغر، وقد رزق بالإهتمام البالغ بالقرآن الكريم حفظا وتحفيظا وتفسيرا، وقد درس الشيخ جعفر رحمه الله بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، وهي كلية تعني بالدراسات القرآنية المتنوعة وفيها تعلم الشيخ تفسير القرآن الكريم، حيث درس فيها أربع سنين ونهل عن علوم القرآن والتفسير ما جعله يتبحر في تفسير القرآن الكريم وعلومه، واستفاد الشيخ كذلك بالحلقات العلمية في الحرم المدني الشريف.

وعندما تخرج الشيخ وعاد إلى بلاده نيجيريا رجع متهمسا وحاملا لهّمّ الدعوة والتعليم، وكان نشيطا جدا في تفسير القرآن الكريم مما جعله يؤسس دروسا في مختلف مجالس العلم،في مدينة كانو وخارجها، درسا في العقيدة ودرسا في الفقه والتفسير وعلوم الحديث وغير ذلك.

وذكر الشيخ جعفر رحمه الله تعالى أنه أسس درسا خاصا لطلبة العلم وزملائه عشرة أشخاص يدرسهم التفسير من بينهم، الشيخ سعيد هارون، ومحمد ألحسن بي بي جي، ومحمد أبوبكر، ود. حسين زبير رحمه الله، وكانت الحلقة في بيته بمدينة كانو، بدأ بتفسير سورة البقرة. فهذا كله يدل على علو همته في ذلك.

المطلب الثاني: مجالس التفسير للشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله.

1. إن أول درس في التفسير بدأه الشيخ كان في مدينة كانو في مسجد يسمى مسلاّثن ترايومف (Masallacin Triump)، حيث بدأ الشيخ فيه التفسير في شهر رمضان المبارك قبل أن يذهب إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وكان الأخ الفاضل ألحاج ألحسن محمد بي بي جي (Alhaji Alhasan Bebeji) هو الذي يعينه على قراءة النصوص القرآنية التي يفسرها، وكذا الأخ الفاضل محمد أبوبكر أيضا، (Muhammad Abubakar Nitle) ثم تركا ذلك للشيخ سعيد هارون، (sheikh said Haruna) حفظهم الله. وقبل ذلك كان للشيخ دروسا في قراءة القرآن والتجويد في ذلك المسجد في كل يومي الخميس والجمعة، وقد درس الشيخ الطلابَ حينئذٍ جزء عم.[25]
2. ثم المسجد الذي في شارع بيروت في مدينة كانو أيضا (Masallacin Beirut).وهو مسجد ألحاج لون أتنا رحمه الله، (Alhaji Lawan Atana) بُدأ هذا التفسير في يوم الأربعاء عام 1406هـ / 1986م، [26] ويكون هذا التفسير أسبوعيا، وقد بدأ الشيخ هذا التفسير قبل أن يحصل على المنحة الدراسية في الجامعة الإسلامية،بدأ الشيخ هذا التفسير عام 1406هـ/ 1986م، وقد أتمَّ الشيخ تفسير القرآن الكريم كاملا وتمت الختمة في هذا المسجد في يوم الخميس 16\رجب\1427هـ / 10\08\2006م وقد تخلل هذا التفسير انقطاع ضروري حيث غادر الشيخ إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة عام 1409هـ /1989م وخلفه فيه فضيلة الشيخ محمد

بن عثمان حفظه الله، ولما رجع الشيخ جعفر من الجامعة الإسلامية بعد تخرجه عام 1413هـ /1994م عاد إلى تفسيره واستمر من بداية سورة الإسراء. ثم توقف على سورة الأحقاف أيضا لظروف طارئة،[27] ثم أعاد الشيخ إلى درسه بعد وفاة ألحاج لول أتنا رحمه الله تعالى، ومن هنا استمر الشيخ بدرسه إلى أن تمت الختمة [28] ومكث الشيخ رحمه الله تعالى 20 أعواما تقريبا قبل أن يختم هذا التفسير. رحمة الله عليه رحمة واسعة.

3. ومن المساجد التي ألقى الشيخ تفسير القرآن الكريم، مسجد عثمان بن عفان للوقف الإسلامي بمدينة كانو،[29] أغلب الروايات تذهب بأن الشيخ جعفر رحمه الله بدأ هذا التفسير في عام 1997م يلقيه أسبوعيا بعد صلاة المغرب ليوم الجمعة، وكان يتبع العادات التقليدية في بلاد هوسا حيث يُقرأ النصوص القرآنية المراد تفسيرها، ثم يقوم بالترجمة والشرح والتعليق بعد ذلك وكان (الشيخ سعيد هارون)[30] حفظه الله وهو الذي يتلولى ذلك لمدة ساعة ونصف في كل جلسة. ويحضر هذا المجلس جم غفير من الناس رجالا ونساءا صغارا وكبارا، وكان الشيخ رحمه الله تعالى لا يتساهل بهذا التفسير قل أن يتأخر أو يغيب، وقد مكث إحدى عشرة سنة (11) متتالية يفسر القرآن الكريم في هذا المسجد المبارك ابتداءًا من عام 1997م إلى أن استشهد في عام 2006م [31]

هكذا استمر الأمر [32] وقد توقف الشيخ عند تفسير سورة الحجرات عند وفاته، ثم أخذ بزمام الأمر د. محمد الثاني عمر موسى حفظه الله تعالى فإنه أدلى بدلوه وأدى ما عليه وأحسن وأجاد وأفاد وما زال يفيد الأمة بعلومه الجمة.فجزاه الله خير الجزاء.وقد كتب لهذا المجلس التفسير القبول من الناس، وكان من الحلقات التفسيرية التي يواظب عليها الشيخ جعفر رحمه الله تعالى، قلَّ أن يتأخر أو يغيب عنها ويستعد لهذا التفسير إستعدادا كبيرا يليق به. وفي هذا التفسير تظهر ملكاته العلمية وقوة احضار الحجج والبراهين من مظانها وعلى الأخص الاحتجاج بالآيات البيّنات، فإن الشيخ جعفر رحمه الله قد أعطاه الكفاءة العلمية والقوة البلاغية والفصاحة والبيان في لإيصال الحق إلى السامعين مع ما أُعطي من الصوت الجهوري والهيبة العظيمة عند إلقاء خطابه أو وعظه وتفسيره.

4. ثم مسجد الحاج محمد إنـدِمِي بمدينة ميدغري (Masallacin Alhaji Muhammadu Indimi)[33] بدأ الشيخ التفسير في هذا المسجد الجامع المبارك في شهر رمضان عام 1414هـ 1994م إلى أن تمت الختمة يوم 12/12/ 2001م. [34] وقد اشترى الحاج إندمي حفظه الله ساعات البث (Air Time)، في قنوات مختلفة من تلفيزيون وإذاعات التابعة للحكومات الفيدرالية والتابعة لها، حيث كان هذا التفسير يبثُّ يوميا في تلكم القنوات،[35] وهذا مما جعل سرعة انتشار دعوة الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله تعالى في داخل الولاية وخارجها. فقد وجد هذا التفسير قبولا هائلا على أيدي كثير من الناس من العلماء وطلاب العلم وأرباب الحكومات السياسية وغيرها وأصحاب التجارة وطلاب الجامعات والكليات في مدينة ميدغري وخارجها.

ويحضر هذا التفسير حسب الإحصائيات العديدة جمٌّ غفير من مختلف الناس رجالا ونساء صغارا وكبارا، هذا العدد الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ ميدغري بكاملها، ناهيك عن الجمع الغفير الذي كان يحضر صلاة التهجد التي كان يقوم عليها الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله.

5. ومن حلقات التفسير للشيخ جعفر رحمه الله، حلقة تقام في ولاية بوتشي حيث بدا الشيخ تفسير بأسلوب يختلف عن بقية المجالس المذكورة، فإنه يأخذ سورة سورة يلتقط ويختار من بين السور القرآنية ويعطي للسامعين خلاصة عن الدروس المستفادة من تلكم السور، بدأ الشيخ رحمه الله تعالى بتفسير سورة البقرة ثم يختار من السور ما يناسبه. وكان الشيخ الحافظ أحمد سليمان هو الذي يقرأ للشيخ جعفر رحمه الله الآيات التي يريد تفسيرها في كل مجلس.

الخاتمة

لقد تبين من خلال هذا العرض الوجيز إن الشيخ جعفر رحمه الله من العلماء الذين بذلوا جهودهم في خدمة كتاب الله حفظا وتحفيظا وتعليما وتجويدا وتفسيرا بعقد مجالس مختلفة وإقامة حلقات كثيرة لمهمته بعد أن عانى وقاسى من شدة الأنفس فى سبيل ذلك طالبا ومتعلما, ومعلما وواعظا ومحفظا مفسرا وعلى سبيل ذلك أفنى حياته إلى أن اغتيل يوم الجمعة وهو ساجد في صلاة الصبح، فرحمة الله عليه رحمة واسعة.

الهوامش

[1]) أرشيف ملتقى أهل التفسير، ج/1 ص 614
[2]) جميل لبرن: Bankwana da Gwani ص: 1 ط (Al-hikmah Ventures) س ط: 1429هـ / 2008م
[3]) المصدر السابق.
[4]) فقد توفي مالم عبد الله زرمُو سنة 1977م رحمه الله.
[5]) ذكر الشيخ جعفر رحمه الله تعالى في تاريخ حياته العلمية عندما يلقيها في مسجد بيروت بكانو سنة 2006م أنه كان يأخذ العلم من عند الشيخ عبد العزيز المصري على أن يأجره كل يوم في بيته يقوم له ببعض الأعمال المنزلية الضرورية، من شراء حاجات البيت من طعام وشراب وغير ذلك. ووعده أن يعلمه قراءة القرآن وتجويده. الدرس الأول الذي بدا به الشيخ على يد عبد العزيز المصري هو "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" كيف يقرءها وكيف وكيف..
[6]) د. محمد الثاني عمر موسى: أيامي مع داعية الجيل ومفسر التنزيل، الشيخ جعفر محمود آدم، ط: دار الحكمة للكتابي الإسلامي، س ط 1432هـ 2011م ص: 7-13 بتصرف
[77]) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، النكت على كتاب ابن الصلاح،ج/1 /37: ط، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، س ط، الطبعة: الأولى، 1404هـ/1984م.
[8]) سورة التوبة آية 122
[9]) جميل لبرن: Bankwana da Gwani ص: 9 ط (Al-hikmah Ventures) س ط: 1429هـ / 2008م بتصرف
[10]) محمود حافظ، كلماتى مع الخالدين، 2/13، ط، مجمع اللغة العربية القاهرة، س ط، 1427هـ = 2006م

[11]) فقد ذكر الشيخ جعفر في تاريخ حياته العلمية(في مسجد بيروت في بيانه الختامي بعد الختمة 2006) أن نصف ما تعلم في اللغة العربية في حياته كان من عند ذلك الشيخ.

[12]) ذكره الشيخ جعفر نفسه في تاريخ حياته العلمية (بمسجد بيروت في بيانه الختامي بعد الختمة 2006).
[13]) ذكر الشيخ الشيخ بنفسه رحمه الله أنه لما فاز في تلك المسابقة أعطي جائزة ألف نيرا (1000) واشترى دبابة نارية بسبع مأة وخمسين مأة نيرا (750) يستعمل بها في الأمور الدعوية.
[14]) ذكر ذلك في كتابه: أيامي مع داعية الجيل ومفسر التنزيل، ص: 11-12.
[15]) وكان الشيخ جعفر رحمه الله تعالى حين حصل على تلك المرتبة لم يتزوج بعد.
[16]) إن الدراسة الثانوية حينذ أربعة أعوام فقط.
[17]) وكان ذلك السبب أن جاء وفدٌ من الجامعة الإسلامية بامدينة المنورة برئاسة الشيخ الزربان الغامدي، إلى كانو لزيارة بعض المدارس الإسلامية التي طلبت معادلتها بتلكم الجامعة، لإجراء المقابلة الشخصية على الراغبين في الالتحاق بالجامعة الإسلامية، فقد حظي الشيخ جعفر بهذه المرتبة العالية فكان من ضمن المرشحين في ذلك العام وأجريت عليه المقابلة، ثم جاء إشعار قبوله في العام القابل 1410هـ = 1989م.

[18]) هناك حلقات علمية كثيرة في المسجد النبوي الشريف، يقوم عليها المشاخ الكبار والجهابذة العلماء، أولي العلم والمعرفة، منها حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتسميعه، حلقات في علوم شتى، من عقيدة وفقه ولغة وغير ذلك كثير.

[19]) د. محمد الثاني عمر موسى: أيامي مع داعية الجيل ومفسر التنزيل، الشيخ جعفر محمود آدم، ط: دار الحكمة للكتابي الإسلامي، س ط 1432هـ 2011م ص: 23 بتصرف

[20]) وهو يوم الأربعاء

[21]) هولاء كلهم عايشوا الشيخ جعفر رحمه الله تعالى في الجامعة الإسلامية أيام دراسته، كانو يجلسون معه للمذاكرة العلمية ويقرئون معه الكتب الكثيرة غير مقررات الجامعة، ولهم اليد الطولا في تقوية مكانته العلمية وتثقيفه منهجيا وسلوكيا واجتماعيا، وهم أصدقائه وجلسائه في الحياة الجاميعية وبعد تخرجهم أيضا. وهم كلهم على قيد الحياة اليوم، مشتغلين بالأمور الدعوية وغيرها، فجزاهم الله خيرا.

[22]) المصدر السابق ص 24 بتصرف

[23]) كلها لتقي الدين أبوالعباس أحمدبن عبدالحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)

[24]) لم يستطع الشيخ أن يكمل الدراسة في المرحلة الدكتورة حتى وافته المنية، لم يحصل الشيخ جعفر على شهادة الدكتوراه في حياته، لكنه حصل الموت على الشهادة في سبيل الله، إن شاء الله. نسئل الله تعالى أن يتقبل شهادته.

[25]) مقابلة شخصية مع الأخ الفاضل الحاج الحسن بي بي جي يوم الإثنين 24\ شوال\1436هـ = 10\08\015م في مكتبي الخاص بجامعة بايروا.

[26]) كما ذكره الشيخ بنفسه في نفس المجلس يوم أن تمت الختمة 16/ رجب/ 1427هـ

[27]) وكان هذا لتساهل أهل المسجد وقلة اهتمامهم بالدرس.

[28]) د. محمد الثاني عمر موسى في كتاب: أيامي ص 54 وكتاب: (Bankwana da Gwani) للأخ جميل لبرن ص 37-38 بتصرف. ط: (Alhikma Ventures)، س ط: 1429هـ/ 2008م

[29]) هذا المسجد الجامع الكبير الذي أسسه الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله تعالى في عام 1992م عبارة عن مؤسسة كاملة (مؤسسة عثمان بن عفان للوقف الإسلامي بمدينة كانو) بناها الوالد التاجر المحسن المنفق في سبيل الله (ألحاج يوسف عبد الله فنتيا) وتحتوي على مسجد ومدارس مختلفة من إبتدائية ومتوسطة وثانوية ومدرسة إسلامية للسيدات وغيرها، وكان الشيخ جعفر رحمه الله تعالى مديرها العام.

[30]) ذكر د. محمد الثاني عمر موسى حفظه الله: أن الشيخ سعيد هارون من الطلاب الأوائل الذين بدأ الشيخ جعفر بهم دروسه في تفسير القرآن الكريم في مدينة كانو في عام 1406هـ 1986م في كل يومي خميس وجمعة في سكن د. حسين زبير رحمه الله تعالى، وكان ذلك في شارع (أجاسا) بمدينة كانو، وكان من عادة الشيخ رحمه الله يعلمهم عشر آيات في كل يوم الخميس قراءة وتجويدا ثم يفسرها في مساء يوم الجمعة، فطال الجلس حتى حفظ الطلاب سورة البقرة بأكملها بهذه الطريقة. (أيامي.. ص 53) بتصرف

[31]) يلقى الشيخ جعفر رحمه الله تعالى هذا التفسير في مسجد عثمان بن عفان للوقف الإسلامي غدنقيا كانو إلى أن اغتيل فيصباح يوم الجمعة، 25/ ربيع الأول/ 1428هـ 13/ 04/ 2007م وهو ساجدٌ يصلى بالناس إماما في مسجد المنتدى بطوريي مدينة كانو نيجيريا وهو في الركعة الأولى وفي سجته الأولى. تقبل الله شهادته.

[32]) وكان ذلك يوم الجمعة أثناء صلاة الصبح في مسجد الجامع بطوريي ويسمى حينئذ (MasallacinAlmuntadaDorayi) حيث جاء بعض العلوج وقتلوه وهو ساجد يصلي، أطلقوا عليه أربع طلقات في صدره وجوانبه، وكنت ممن غسله رحمه الله.

[33]) وكان إندمي أحد مشاهير أثرياء دولة نيجيريا بل وأفريقية برمتها، وهو من مواليد ميدغري ومن المحسنين الذين يخدمون الدين الإسلامي بأموالهم وأنفسهم، وبسببه حضر الشيخ جعفر رحمه الله تعالى مدينة ميدغري بل كان هو مضيفه ويسكن في بيته في أيام تفسير رمضان المبارك.

[34]) أخذ هذا التفسير ثمانية سنوات (8)

[35]) مثل قناة (BRTV) التابعة لولاية ميدغوري، وقناة (NTA) التابعة للحكومة الفيدرالية. ويستفيد بهذا التفسير الولايات المجاورة الكثيرة مثل يوبي (YOBE STATE)، وقد ذكر د. محمد الثاني عمر موسى حفظه الله،وكان زميلا للشيخ في كتابه (ايامي... ص 54) أن كثيرا من وسائل إعلام الولايات الشمالية، بدأو يبثون هذا التفسير المبارك مثل ولاية (بوتشي و يوبي و كانو و كدونا وغيرها).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أرشيف ملتقى أهل التفسير، ج/1 ص 614
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، النكت على كتاب ابن الصلاح،ج/1 /37: ط، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، س ط، الطبعة: الأولى، 1404هـ/1984م.
- البيان الختامي في مسجد بيروت بعد الختامة القرآنية 2006
- جميل لبرن: **Bankwana da Gwani** ط (**Al-hikmah Ventures**) س ط: 1429هـ / 2008م
- د. محمد الثاني عمر موسى: أيامي مع داعية الجيل ومفسر التنزيل، الشيخ جعفر محمود آدم، ط: دار الحكمة للكتابي الإسلامي، س ط 1432هـ 2011م ص: 7-13 بتصرف
- محمود حافظ، كلماتى مع الخالدين، 2/13، ط، مجمع اللغة العربية القاهرة،
- س ط، 1427هـ = 2006م

مقابلة شخصية مع الأخ الفاضل الحاج الحسن بي بي جي يوم الإثنين 24\ شوال\1436هـ = 10\08\015م في مكتبي الخاص بجامعة بايروا.

اتجاهات جمال البنا في التفسير

إعداد
دكتور جابر موسى سليمان

Dr. Jabir Musa Suleiman
e-mail: jabrimu@yahoo.com
H/P: +2347033126981
قسم الدراسات الإسلامية
جامعة عمر موسى يرأدوا كاتسينا نيجيريا

الملخص

من المعلوم قديماً و حديثاً أن المدارس التي تتناول كتاب الله تعالى بالبيان والتأويل والتفسير وغير ذلك كثرت وتعددت، فكل يدلى بدلوه ليشرب من معين القرآن الكريم، فكان منها ما وافق الصواب وسار على منهج سلف هذه الأمة، وكان منها من خالف سلفها وأحدث في دين الله ما ليس منه. ولم يزل علماء الإسلام على تفرق الأزمان والدهور يولون كتاب الله جل اهتمامهم في رد ما يثار عليه من شبه، وما يحاك له من دسائس لا توهن إلا صاحبها، ولا يُزدرى إلا قائلها - مع اعتبارهم لحق العالم الصادق والصفح عن خطئه-، فمن ذلك تأخير الاحتجاج بكتاب الله، أو هجر السنة النبوية، وعدم الاعتداد بإجماع العلماء، وتحريف القياس عن موطنه الصحيح، وتقديم العقل على ذلك كله، وأدهى من ذلك وأمرّ تحكيم العقل على النص ليتولى العقل البشري الناقص النظر في الخصومة، والبت في القضية، وهذا ما يسمى في الوقت الحاضر بالمدرسة العقلية الحديثة في التفسير. ومن رجالات هذه المدرسة في زماننا **جمال البنّا**. وإن دراسة تراث لإنسان إنما تزيده أهمية، وليس هذا هو المراد في بحثنا وإنما هو تعرية لمنهجه وتحذير من مسلكه، وحماية لجناب منهج السلف في بيان كلام الله تبارك وتعالى، وتوسيعاً للمدارك وما يدور في واقعنا من توجهات لا يحسن بطالب العلم الجهل بها. وعليه فإن هذه الدراسة تسعى إلى بيان عن **"جمال البنّا ومنهجه في التفسير"** كرمز لمدرسة مخالفة للمنهج الصحيح وبغية للحماية عن المناهج الصحيحة المعروفة لسلفنا الصالح .أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى:

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ}(آل عمران: 7)

وقال تعالى:

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} (الأعراف:146)

التعريف بجمال البنا

اسمه:

هو جمال بن أحمد عبد الرحمن البنا[1] الساعاتي [2] الأخ الشقيق الأصغر لحسن البنا-رحمه الله-مؤسس جماعة الإخوان المسلمون، يصنف على أنه كاتب ومفكر إسلامي، من دعاة التجديد.[3]

مولده ونشأته:

وُلِد جمال البَنَّا **في المحمودية بمحافظة البحيرة في 15 ديسمبر عام 1920م**، لأسرة ذات اهتمام خاص بالثقافة الإسلامية، وذات إسهامات لا تُنْكَر في خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية والعمل العام في مصر.[4] وكانت حجرة المكتبة في بيت البَنَّا هي أهم الحجرات على الإطلاق، وفيها تعرف جمال على نبع فيَّاض من الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات في شتى مجالات وفنون الحياة، وقد كانت المكتبة تحتوي ـ إضافة إلى مصادر الثقافة الإسلامية ـ على أعداد من أهم المجلات الثقافية والأدبية التي كانت تصدر في مصر وقتئذ، إضافة إلى عدد من الروايات الأدبية، والكتب الثقافية العامة.[5]

مراحل حياته:

وبعد أربع أعوام من ولادته، انتقلت أسرته من محافظة البحيرة إلى محافظة القاهرة وبعد أن جاوز "جمال" مرحلة الكتَّاب في القاهرة، انتقل مع أخيه إلى **الإسماعيلية** حيث كان شقيقه الأكبر يعمل بالتدريس، وهناك التحق بالتعليم الابتدائي، وبعد الانتهاء من المرحلة الابتدائية التحق بالمدرسة **الخديوية** الثانوية، وكانت من أفضل المدارس الثانوية بالقاهرة في ذلك الوقت.[6]

وبعد عام من الدراسة في المدرسة الخديوية قرَّر عدم إكمال تعليمه، وهو ما عارضته الأسرة بشدة، وكانت حجته أنه لا يريد أن يعمل مهندسًا ولا محاميًا، ولكنه يريد أن يكون كاتبًا، وهي مهنة لا تحتاج إلا إلى الاطلاع الدائم، والمكتبة لديهم عامرة فلِمَ المدارس والجامعة؟ وتحت ضغط الأسرة اضطر لأن يُكمِل تعليمه في مدرسة التجارة العليا كحل وسط ليختصر طريق التعليم.

وبعد أن أنهى دراسته بها، التحق بعدد من الأعمال المؤقتة، لكن النشاط الأساسي له كان القراءة والكتابة، واهتم بشئون العمال والنقابات، ونتيجة لهذا الاهتمام صدر له أول كتبه بعنوان "ثلاث عقبات في الطريق إلى المجد.. الفقر والجهل والمرض" عام 1945م.[7]

وانخرط جمال البَنَّا بعدها في العمل النقابي والكتابة في مواضيعه المختلفة لمدة تقارب نصف قرن من الزمان، كما عمل مترجمًا لسلسلة من كتابات ووثائق واتفاقيات "منظمة العمل الدولية" من عام 1962م حتى عام 1971م، وخبيرًا في منظمة العمل العربية ومحاضرًا في الجامعة العمالية المصرية من عام 1963م حتى عام 1993م.
وقد ألف جمال البنا العديد من الكتب، والمقالات، التي تبنى فيها منهجه في التجديد على حسب زعمه، يصل عددها إلى "108" ما بين كتاب ومقال ومن أهمها ما يلي:

التعددية في المجتمع إسلامي و الجهاد و تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين و تثوير ,القرآن , الإسلام دين وأمة وليس دينا ودولة و موقف الإسلام من العلمانية و. القومية ,الاشتراكية و رسالة الإسلام و أخت الصلاة المهجورة و الحجاب و نحن ودعوتنا و لست عليهم بمسيطر قضية الحرية في الإسلام و العودة إلى القرآن و الدعوات الإسلامية المعاصرة مالها وما عليها و إستراتيجية الدعوة الإسلامية في القرن و لا حرج قضية التيسير في الإسلام وإخواني الأقباط و تجديد الإسلام وإعادة تأسيس منظومة المعرفة الإسلامية و الإسلام وحرية الفكر و ختان البنات و نحو فقه جديد و المرأة المسلمة وغير ذلك من الكتب الكثيرة.

إلقاء ضوءاً على بعض مواضيع كتب جمال البنا ورسائله

إن من الحقائق المسلمة عند الجميع أن الخطأ والزلل فطرة إنسانية التي فطر الناس عليها، لا يسلم أحداً من الهفوات والزلات، إلا من عصمهم الله من الأنبياء والمرسلين. ولهذا من الفوائد التربوية مالا يخفى، ولعل من أهمها أن يبقى العبد مرتبطا بالله، لا يتطرق إليه عجب، ويعرف قدر نفسه، وأنه فقير محتاج إلى إعانة ربه وسداده.

لذا، كان من كمال منهج أهل السنة والجماعة أنهم يَزنون التعامل مع هذه الأخطاء والزلات، ويفرقون بين الزّلة، والزلات، والداعية إلى زلته وبدعته، وغير الداعي، إضافة إلى أن درجة الخطأ تختلف من باب إلى آخر في تفصيلات تطول.

إذاً، فإنني بهذا الصدد لا أقصد البحث عن زلات مسلم من المسلمين أو الحكم على أخطائه في دعواه التجديدية؟ وإنما ألقي ضوءاً على بعض مواضيع كتبه ورسائله التي ستكشف للقارئ أنني أمام فكر جديد، مختلف تماما عن منهج أهل السنة، ولا يَعترف بالسابقين، بل تعدى إلى مرحلة أخطر وهي الطعن بهم، فلا تعجب إذا سمعته يقول عن كتب التفاسير عموما ويطالب: " بصرف النظر عن الاحتجاج بالتفاسير ونرى أنها جنت جناية عظمى على القرآن لأنها صرفت الناس عن مطالعة النص أو الاستماع إليه وما يجديه ذلك من هداية.[8]

لا شك أنني قد وجدت نفسي أمام رجل لم يبق لنا من معالم ديننا شيء، فمعاني القرآن يصرفها إلى ما يريد من غير تقيد بتفسير من أحد كائنا ما كان، والسنة في نظره كلام عادي ليس كلها لها اعتبار التشريعية، والإجماع ليس له وجود في قاموسه، والعلماء استخدمهم الحكام في تسيير دولهم، وظلموا أنفسهم، والأمة بقيت في مراتع الجهل، وضياع الدين استمر قرونا طويلة، سأذكر هنا بعض مواضيع كتبه ورسائله وخصوصاً ما يتعلق ببحثي حول القرآن والتفسير، فمن ذلك:

تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين

يتلخص فيه ما يلي:

1/ قسم التفاسير إلى ثلاثة:

أ ـ المفسرون اللغويون.

ب ـ المفسرون المذهبيون.

ج ـ المفسرون الإخباريون ورواة الأخبار.

ثم أخذ من كل فئة شواذَها، وأكثر من الكلام على الإخباريين ورواة الأخبار والآثار، حيث دخلت عليهم الإسرائيليات، ولم يميزوها، وهذا دليل عنده على أنهم اعتمدوا في تفاسيرهم على أهل الكتاب !! ولذلك ينبغي ترك تفاسيرهم وعدم الاعتماد عليها.

2/ تكلم على بعض التفاسير الحديثة مثل " المنار، والتحرير والتنوير، وتفسير الشعراوي " وغيرها وجعل محاولة المنار والتحرير من المحاولات التي فيها شيء من التجديد.

ثم ختم بقوله: " والمطلوب لآن.. المطلوب إعادته إلى طبيعته الثورية التحريرية الأولى، والخطوة الأولى هي إزالة هذه الغشاوات كل الغشاوات التي أضيفت عليه، بالتفسير والمفاهيم اللاهوتية بحيث يعود القرآن كما أنزل على محمد.[9]

تفنيد دعوى النسخ في القرآن الكريم

وقد ألف جمال البنا كتابا بهذا الغرض وسماه ب: "تفنيد دعوى النسخ"، وقد حاول فيه أن يجمع الآيات التي تتناول النسخ من كتب التفسير وأدلة القائلين به، ثم رد على ذلك بزعمه فقال: " إن القرآن أكثر من ستة آلاف آية لم يجد أنصار النسخ فيها سوى آيتين- كما ستأتي- ادعيا أنهما تجيزان النسخ، ثم قطعوا بوقوعه، وتعاملوا عن الآيات العديدة التي تثبت وتؤكد إحكام القرآن"[10]

و يؤيد موقفه هذا بقوله: إن الفقهاء عند ما توقفوا أمام اختلاف مستويات الأحكام في بعض الحالات ابتدعوا فكرة النسخ وارتكزوا على الآية **{ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها}** (البقرة: 106) وكذلك الآية 101 من سورة النحل " **{وإذا بدلنا آية مكان آية}** (102) ولو رجعوا مابين دفتي المصحف لعلموا أن القرآن لا يستخدم كلمة آية بمعنى نص و لكن بمعنى معجزة أو قرينة أو دلالة وإذا كان ثمة نسخ

فهو ما تنفيه الآية " **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم** "{الحج:52} [11]

ويمكن تلخيص هذا المطلب كالتالي:

(1) جمع الآيات التي ذكرت في كتب التفسير على أنها من قبيل النسخ.
(2) ذكر أدلة من يقول بالنسخ.
(3) ذكر بعض الآيات التي فيها نسخ ثم رد عليها، ووجهها، ومن بين توجيهاته ما يكون حسنا، ومنه ما يكون تكلفا.
(4) بيّن سبب رواج النسخ في عهد السلف فقال: " وراجت تلك الأحاديث لسذاجة الأفهام خاصة وأن المحدثين ما كانوا يسألون عن السند قبل فتنة عثمان " [12].

ولأن من بين تلك الروايات روايات عن الصحابة، وهي صحيحة السند، فقال عنها: " فلا قيمة لها لأن الصحابة والتابعين ليسوا ملائكة معصومين.[13]

تثوير القرآن

ويتلخص فيه ما يلي:

تحدث بشكل موجز عن الثورات، وعوامل نجاحها.

تحدث عن ثورة القرآن على أوضاع الجاهلية.

تحدث عن خمود هذه الثورة القرآنية عما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأرجع السب إلى ثلاثة عوامل:

أ- تفسير القرآن تفسيرا يجعله كتاب قصص.

ب-إيثار المنهج التقليدي النقلي على المنهج التحريري القرآني، وتسخير السنة لتبرير ذلك.

ج- إفحام مضامين لا هوتية أفسدت عقيدة الله وشقت وحدة الأمة، وهو يشير إلى آيات الصفات.

4/ تكلم عن كل واحدة من هذه الأسباب، وذكر في كل واحدة ما سبق ذكره في كتبه حتى يكاد يكون أحيانا منقولا بكامله من كتابه الآخر.

5/ ثم تحدث عن كيفية تثوير القرآن، فقال: " ولكي نحقق تثوير القرآن لا بد من القيام بعمليتين:

- إزالة الغشاوات التي أهالها الأسلاف أكداسا على القرآن الكريم.
- تقديم تصور لما يكون عليه الفهم السليم للقرآن.

ثم قال: " وهذه التفاسير التي تحمل أسماء مقدسة، إن لم تكن موثنة، مثل ابن جرير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، والزمخشري، تعد قدس الأقداس، وهناك عشرات الألوف من الشباب السذج المتحمس الذي يفضل الموت الزؤام على المساس بها، ووراءهم الأئمة الأعلام الذين لا يترددون في الإفتاء بتكفير من يريد الخلاص من هذه التفاسير أو يرون في هذا مؤامرة على الإسلام " [14]

هذه بعض مواضيعه في بعض رسائله، أما سائر أفكار التجديد المزعوم، والقضاء على ثوابت الأمة، وأركان الدين، وأساس المنهج السلفي فتقوم عليها سائر كتب

ملامح منهجه في التفسير

إن الناظر لمؤلفات جمال البنا يلحظ بشكل مباشر أن الأسس التي بنى عليها منهجه في تفسير كتاب الله تعالى يجد أنه لا يتقيد بأي مصدراً من مصادر التفسير المعتمدة، وهكذا لا يعتبر بتفاسير السلف المعروفة المعتمدة كالطبري والقرطبي والرازي وابن كثير وغيرهم، وأحياناً يشبهها بقوله:" كانت هذه التفسيرات أشبه بسياج مغلق لا يسهل اختراقه ويحمل أسماء أئمة توفر لهم الأحكام والعلم والإخلاص وأفنوا حياتهم في خدمة القرآن، ويمكن تلخيص هذه الأسس في المطالب كالتالي:

بعد الاعتماد بمصادر الأحكام الشرعية

فإن المصادر الشرعية معروفة عند أهل العلم، وهي: الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، أما عند (جمال البنا) فإنه لا يعتد بهذه المصادر: فالقرآن لا يرجع في تفسيره إلى التفاسير المعروفة.والسنة لا يعتد بها جميعا، بل لها ضوابط، والإجماع يشترط له أن يعتمد على دليل

أما القياس فقد قال: " لأن استلهام أصل من أصول الإسلام أقوى من القياس على آراء الرجال مهما كانوا أئمة "[15]. وأقوى منها جميعًا الرجوع إلى العقل وتحكيم المنطق السليم وطبيعة الشريعة ومقاصدها حتى وإن كان الموضوع عباديًّا؛ لأنه مادام بعيدًا عن ماهية الله تعالى وعالم السمعيات فإنه يخضع لحكم العقل والنظر، وما يهدي إليه المنطق السليم)[16]

و على هذا فإن أكثر المصادر في رأيه الذي تعصب له هو: " مقاصد الشريعة من عدل أو تيسير أو مصلحة "[17].

ومن هنا تقرر لديه عدم الرجوع لأقوال الصحابة، فضلًا عن غيرهم من التابعين والأئمة، وعدم الاعتداد بها، بل يرى أن النظر فيها مضيعة للوقت، وهدرًا للفكر، حيث يقول عنها أنها: (تعطل ملكات التفكير وتجعلهم - أي المسلمين - أسرى للروايات).[18]

عمومية النص عمومية مطلقة

يشير جمال البنا إلى أن " القرآن الكريم أطلق أوصافا عامة لم يشأ أن يحددها لأنه يريد أن تتجاوب مع التطورات ".[19] وقال أيضا وهو يقارن بين المناخ الذي عاش فيه الفقهاء الأوائل رحمهم الله والعصر الحديث: " ولكن الصورة تختلف اختلافا جذريا في العصر الحديث، لأن استفاضة الثقافة والمعرفة ونشر المراجع الإسلامية القديمة والحديثة، ومناخ الحرية وانعتاق الفكر من أسار العقلية النقلية ".[20] ولا تظن أنه يوافق بذلك منهج أهل السنة في أن ألفاظ القرآن عامة، بل يشير الدكتور إلى قضية خطيرة أنقلها بحروفها: " على أن هذا ليس معناه أن تمنع الكتابة عن القرآن، فهيهات، فالقرآن

هو البحر الذي يحوي أسرار الإسلام وشريعته، ولآليها الثمينة ولكن أن تكون الكتابة إلهاما منه وتأثر به، فالكاتب هنا يكتب عما فهمه وتأثر به ولكنه لا يقول هذا تفسير القرآن كأنه صاحبه، والله هو صاحب القرآن، فمن هذه الناحية فإن البحر لا يرفض صيد صائد، ولا يضن على أحد.. ولا يحول دون النظر إليه والتأمل فيه وملاحظة رياحه، وأمواجه وامتداده الجميل الرهيب.[21] مما سبق يمكن القول بأن جمال البنا يشير إلى أن النص القرآني يحتمل أكثر من فهم ما دام أن الكاتب أو القارئ تأثر بذلك الفهم، فيسبق الفهم أولا ثم الاعتقاد، فتتحد قراءة القراء وتتباين الأفهام، ومع ذلك النص يحتمل ويتسع فهو بحر لا تكدره الدلاء فتبين لنا أنه بذلك هدم حقيقة النص، ووسع التحريف، وسوغ التأويل، وأبطل التفاسير وألغى المعاني، وجعل المحكم متشابها وتأكيدا لهذا الفهم فقد قال: " ومثل هذا ما يقال عن أن القرآن حمال ذو وجوه وأنه يمكن أن يتضمن حكما كما يتضمن نقيضه، ويمكن أن يفهم واحد ما لا يفهمه الآخر، فهذا كله من مزايا القرآن، لأنه يفسح المجال للتعددية.[22]

ويلحظ أن هذا الأمر قد أثر على منهجه في تفسيره الآيات حيث يلجأ إلى ترك المعاني المعتمدة في التفاسير ويأتي بمعنى يراه عصري على حسب زعمه، يتناسب والعصر الحديث، ويظهر الإسلام بلغة عصرية جميلة، معتمدا أن القرآن ذو أوجه، وكل ما فهم القارئ فهو صحيح.

تحكيمه لضغط الواقع

إن من يطالع كلام جمال البنا عن بعض الآيات التي يذكرها يلاحظ أنه أحيانا يترك تفسير الصحابة، أو إجماع المفسرين، أو أنه يختار رأيا في تفسيره أداه إليه ضغط الواقع، وليس اجتهاده ونظره لمسوغات الترجيح.

فمثلا قال في انتقاده للنسخ: " ولم أقرأ كتبا من الكتب التي وضعها المستشرقون المغرضون إلا وأجد ذكرا لآية السيف التي نسخت قرابة مائة آية من آيات الصفح والسماح والحرية يستشهدون بها على وحشية الإسلام "[23]

وقال مبينا أن الفنون والآداب تقوم في العصر الحديث بدور بارز في التثقيف وصقل الشخصية: " واذكر ما رواه أستاذ في الجامعات الأمريكية من أصل عربي، من أن إحدى السيدات ألحت في زيارته بمنزله، ورغم غرابة هذا الطلب، فقد رحب الرجل ودعاها، فلم تكد تدخل وتشاهد بانيو كبير في الصالة حتى سألته عنه، وعندما قال لها إنه خاص به وأنه يعزف عليه أحيانا حتى ولت على أعقابها، وفهم الأستاذ بعد ذلك أن رؤية هذا البانيو دلها على أنه أستاذ مثقف متمدن كالأوربيين، وأنه ليس شرقيا بدائيا كما قد يتبادر إلى ذهن بعضهم ".[24]

وهذه القضية لها دور على منهجه في التفسير حتى يترك أقوال الصحابة والسلف في القرون الثلاثة ودافعه في هذا الترك هو استغلال المستشرقين لها، ويظهر أن جمال البنا له علاقة وثيقة بكتاباتهم، ورحم الله أهل العلم حيث منعوا من قراءة كتب الزنادقة والملحدين إلا لمن هو متضلع من علم الشريعة، ولئن كان أهل العلم قديما يقولون بأن

سبب المنع هو الخوف على دينه من تعلق الشبهات بها، فإن من قرأ كتب جمال البنا يجزم بأن من أسباب المنع لئلا يتأثر بضغط الواقع تحتها. فقد دعا إلى التعددية في المجتمع الإسلامي،ويقصد بها التعدد في حرية الديانة، وكان ذلك لانبهاره بالتعددية الغربية، فقد قال: " ولو استمر التقدم الحضاري للمجتمع الإسلامي ولم يبتلى بما أوقفه لكان من المحتمل أن تصل التعددية في هذا المجتمع إلى مستوى قريب مما وصلت إليه التعددية في المجتمع الأوربي."[25]

وقال: " فأشهد صادقا غير حانث أني وجدت عشرات، أو مئات من الأفراد لها عقول لا تفضل عقول الأنعام، ولا تريد أن تفكر، وتسأل في كل صغيرة وتافهة، وتستفتي المفتي، أو تلوذ باستخارة، وتتحير أمام ما تعده مشاكل، وهو ما لا يقف الطفل الأوربي الصغير أمامه ".[26]

واستمع إليه ينادي بترك الوقوف عند حدود الإطار السلفي إلى " إعطاء الشريعة دفعة جديدة، ولإبرازها في ثوب يتفق مع مقتضيات العصر قدر ما يختلف عن الثوب التقليدي ".[27]

تحكيم العقل على الشرع، وليس مجرد تقديم

تعدى جمال البنا مرحلة تقديم العقل على الشرع، إلى مرحلة أخطر منها بكثير وهي تحكيم العقل على الشرع، ولئن كانت المرحلة الأولى تعطل الشرع لأنها تقدم العقل عليه، فإن المرحلة الثانية تهدم النص هدما.

يقول في معرض عرضه لفتوى لأحد مشايخ الأزهر محمد زكي إبراهيم وهي مسألة " طلاء الأظافر والوضوء " فالشيخ يرى جواز الوضوء ولو غطت اليد بالمناكير، ودليله أقيسة كما قال: " فقسنا هذا الطلاء على الخضاب " " وقسناه على صحة وضوء الصباغ " " وقسناه على جواز الوضوء مع عدم تحريك الخاتم " إليه المنطق السليم ".[28]

ولا شك أن هذا الاتجاه كان له الدور الأكبر على منهجيته في التفسير، ومن هنا تقرر لديه عدم الرجوع لتفاسير الصحابة، فضلا عن غيرهم من التابعين والأئمة، وعدم الاعتداد بها، بل يرى أن النظر فيها مضيعة للوقت، وهدرا للفكر، " ويعطل ملكات التفكير ويجعلهم أسرى للروايات "[29]

وهذا يجعلنا أمام معضلة لا تعالج معالجة وجهات نظر؛ بل أمام منهج جديد خارج عن أصول هذه الملة، يحتاج إلى تحديد موقف منه يتمثل في الرفض النهائي، حتى الرجل نفسه كان يحس بذلك فقد قال : " مع هذا كله فنحن نعلم أن هذا الكلام لن يكون سائغا لدى كثير من الناس الذين تحجرت عقولهم واستعبدتهم أقوال الأئمة منذ انغلاق باب الاجتهاد فاستمرأوا التقليد وعجزوا عن التفكير وهيمنت عليهم قداسة السلف ".[30]

ولقد ذهل جمال البنا من أن آخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها، وأن أي ترك لأقوال الصحابة، يعني انقطاع الصلة بيننا وبين المصدر المبلغ عن الله دينه، وهو

النبي صلى الله عليه وسلم، ولئن استطاع العقل أن يعرف بعض أمور القرآن فسيخفى عليه جزء منها.

الطعن في الرواية في التفسير:

ويلحظ أن جمال البنا في تفسيره قد استغل دخول أحاديث كثيرة لا تصح؛ بل من قبيل الوضع = للطعن على مرويات السنة، فمن يقرأ كلامه يتقرر لديه أن الأصل عدم الوثوق بالسنة التي فسرت القرآن، وأن ابن عباس رضي الله عنهما له روايات كثيرة مكذوبة عنه، ولست أتحدث عن منهج جمال البنا في السنة النبوية فقد عرضها في كتابه " نحو فقه جديد " لكني سأقتصر على جزء من ذلك وهو منهجه في السنة التي تخدم التفسير، فهو يرى أن هناك عوامل ساعدت على انتشار الوضع، منها:

(1) أن السنة لم تدون إلا بعد مرور المائة سنة الأولى من عصر الإسلام، فكان الناس خلال مائة سنة يتداولون الأحاديث شفهيا، وشيء بدهي عدم التوثيق في ذلك، لأن الذهن لا بد أن يغلط، والحافظة تخون.

(2) أن معظم أحاديث التفسير تدور على ابن عباس، وهو من صغار الصحابة رضي الله عنهم، ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير، فلم يسمع منه كثيرا من الأحاديث.

(3) قبل تدوين السنة مرت الأمة بحالات من الفتن بدايتها قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت هذه المرحلة في نظرجمال البنا مرحلة زاهرة للوضع في الحديث النبوي مما يحتج به أهل كل منهج لمنهجهم، والقرآن مستند كل فرقة، فكان من يريد الوضع يأتي إلى القرآن ويركب عليه أسانيد ينسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فمن هنا يرى جمال البنا " أن مئات من الأحاديث الموضوعة لا تزال موجودة في كتب الصحاح "[31].

(4) افتراض التعارض بين القرآن والسنة النبوية، من غير أن يتهم العقل بعدم القدرة على الجمع، فإذا جاء حديث كان ظاهره يخالف آية لا يتردد جمال البنا في ترك الرواية بل يتعدى إلى مرحلة الطعن على الرواية ولو كانت متفقا عليها، كما فعل في الحديث الصحيح " من بدل دينه فاقتلوه[32]."

وجمال البنا يستغل أحاديث الوضع ليجدها فرصة ليستدل من السنة بما يظن أنه يؤيد أفكاره، ويترك منها يشاء، ومن هنا رفض فكرة تفسير القرآن بالسنة، فقال: " لقد كفانا الله تعالى المؤنة عندما قال: **"ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر "** (القمر: 17)

وكررها أربع مرات.. ولم يكن القرآن ليكررها إلا ولها حقيقة وحقيقتها ما ذكرنا أن القرآن يعطي أثره بالانطباع لدى كل واحد يريد أن يذكر ".[33]

ولقد تناسى البنا الجهد الذي يعد مفخرة لهذه الأمة في صيانتهم جانب السنة، واحتياطهم له، حتى أصبح من الأمانة السلفية في نقل الحديث أن من آداب المحدث أن ينقل المحدث الرواية كما هي ولو كانت خطأ مع التنبيه على خطئها، أي أنه لا يتولى

بنفسه تصحيح الرواية، فيكون كتابه مجالا للتعديل، فينفتح الباب أمام كل من شك في لفظة من ألفاظ الحديث أن يقوم بتعديلها.[34]

وقد امتلأت كتب آداب الحديث بفصول حول الخطأ في الرواية، وصيانة الكتاب، ونقل الرواية كما سمع، والتمييز بين كلامه، وأجزاء الحديث، وغير ذلك مما يعد من خصائص أهل السنة والجماعة.

فليس من السهل بعد ذلك أن يقال بأن روايات كثيرة دخلت ولم تمحص، فضلا عن وجود أحاديث موضوعة في كتب الصحاح ! فإن الله حفظ كتابه، وحفظ الله له حفظ لدين هذه الأمة من التحريف، ومن هنا أصبحت هذه الأمة لا تجمع على ضلالة ومما يتقرر في علم المصطلح أنه لا يوجد حديث موضوع غفلت الأمة عنه بكاملها لأن ذلك يصادم أصل حفظ الله على الأمة دينها، قال الشافعي في الرسالة: " لا نعلم رجلا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فرق علم كل واحدة: ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه موجودا عند غيره "[35].

ووجود بعض الموضوعات في كتب السنة لا يعني القدح فيها، ولا التشكيك فيها بالكلية، فما بالك بتنقيحها، وبيان أوهام الرواة، والتنبيه على علل الأحاديث، وسبر المرويات والمقارنة بينها، كل ذلك يعطينا العلامة الكاملة في الاطمئنان على حفظ السنة النبوية.

و إنما يقول هذا من لا علم له بالحديث وعلومه.

عدم الاعتداد بالإجماع:

إن جمال البنا لا يعتد با لاجماع، بل فرّغه من معناه، ومعلوم أن الإجماع عند أهل العلم دليل على وجود الدليل، لأن الأمة لا تجمع على خلاف الدليل، بينما جمال البنا إن أشكل عليه شيء مما أجمعت الأمة عليه استدل على بطلان إجماعها بأن الإجماع لا يكون خلاف الدليل، وأدعى أيضا أن الإجماع يتغير بإجماع مثله، فإذا أجمعت الأمة على أمر في عصر من العصور كان لمن بعدهم أن ينقض إجماعهم ليأتي بإجماع بدلا منه، وقال أيضاً: " وإجماع الأمة في عهد ما، لا يحول دون أن يتغير إجماعها في عهد آخر، فإن قيل إن الأمة لا تجتمع على ضلالة رد عليه بأن المقصود بالأمة الأمة المحمدية إلى يوم القيامة ".[36]

و لا يرد عليه بأن يقال هذا قول جديد لا تعرفه هذه الأمة، ولم يسبق لك قائل بها، وكان السلف يحذرون من هذا المسلك أيما تحذير = إلا أن جمال البنا يعتبر هذا الكلام دليلا لصحة مذهبه، لأن الأمة ـ على حد زعمه ـ عاشت قرونا تحت وطأة الإسناد، يحدوها إليه " متطلبات العصر من طاعة للسلطان، وتوجيه للجمهور للرضا والتسليم وتميز الأغنياء "[37].

وإنما يرد عليه بتناقضه في بيان الإجماع الحجة عنده والذي لا تجتمع الأمة فيه على ضلالة فهو إجماع الأمة إلى يوم القيامة !! فكيف يكون ذلك، وهل يتصور؟! أن لا نحكم على مسألة بأنه مجمع عليها حتى ننتظر يوم القيامة لنتيقن ألا يخالف أحد!

ومن يقرأ مجموعة من كتبه يرى التناقض الظاهر فأحيانا يستشهد بالإجماع، وأحيانا ينسى كلامه فلا يقر به، بل يستهجنه، وهذا عاقبة من لم يتقيد بمبادئ الطريق المستقيم، والجادة المسلوكة، التي سار عليها السلف، اقتداء بالصحابة الكرام، المهتدين بهديه صلى الله عليه وسلم.

تقليله من شأن العلماء:

وبدون مبالغة لا يكاد مؤلف من مؤلفات جمال البنا يخلو من همز ولمز للسلف الصالح، فهو يرى أنهم أتباع سلاطين، وعلماء جماهير، يتلقون علمهم ـ خاصة المفسرون منهم ـ من قصص أهل الكتاب بدافع حب المعرفة لما عندهم، ثم انتقل ذلك إلى مؤلفاتهم، وكذلك أنهم استخدموا الأسانيد في تركيبها على أحاديث لترويج مذاهبهم الفقهية أو العقائدية.

ومن ذلك قوله: " لا يهولنك تلك الروايات وجمهرة الصحابة والتابعين التي رويت على لسانهم أقوال حتى لو صحت جدلا ـ وهي لا تصح ـ فلا قيمة لها لأن الصحابة والتابعين ليسوا ملائكة معصومين، وليس لهم صفة وأن الحديث عنهم بالجمع وجزافا لا بد وأن يكون قابلا للبطلان فليس الصحابة هم الذين أبصروا الرسول لأن الصحبة التي تستحق العدالة هي الصحبة الطويلة والملازمة الدائمة وأن تثبت أعمالها أقوالها "[38].

إلا أن الذي يهم بحثنا من الصحابة جميعا هو حبر القرآن وترجمانه ابن عباس رضي الله عنهما، فقد قال جمال البنا: " وفي حياة ابن عباس رضي الله عنهما حدث تاريخي وقع عندما ولاه الإمام علي بن أبي طالب ولاية البصرة، ولم يرسل ابن عباس " ميزانية " هذا المصر الهام فاستحثه الإمام علي فتثاقل بينهما مراسلات مؤثرة انتهت بان استحوذ ابن عباس على ما في بيت المال وأخذه ثم ذهب إلى مكة فابتنى قصرا واشترى جواري...إن هذا الحدث يلقي ظلالا كثيفة على شخصية ابن عباس وعلى المرويات التي تكون قد صدرت عنه فعلا (وليست مكذوبة عليه) لأن لهذا الحدث، بل السقطة الجسيمة دلالتها السئية ولا ينجيه منها أي تأويل ولا نرى ذكرا لهذا الحدث في تراجم ابن عباس لدى المحدثين إما جهلا منهم، وإما تستراً، وإذا كانوا يرفضون المساس بكعب ووهب فما بالك بابن عباس والحق أحق أن يتبع وهو يقضي على الرجال كائنا ما كانوا "[39].

وفي المقابل حظي ابن عربي وابن الفارض بما نتمنى أن يحظى به الصحابة رضي الله عنهم في كتابات جمال البنا فقال: " وحتى لا نظلم التصوف فيجب أن تعترف أنه بجانب هذه السوءات فقد كانت له حسنات في نشر الإسلام في آفاق جديدة، وفي تنظيم الجماهير وفي مقاومة التكالب على المادة الدنيوية المغرقة، وأنه أبرز شخصيات مثل ابن عربي وابن الفارض اللذين تقبلا كل الأديان ورفعا لواء دين الحب".[40]

عدم الاعتداد بأسباب النزول:

أسباب النزول من الأمور المهمة في تفسير كتاب الله " وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم وأفردوا فيه تصانيف منهم على بن المديني شيخ البخاري ومن أشهرها تصنيف الواحدي في ذلك وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى قال الشيخ أبو الفتح القشيري بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا.

لكن جمال البنا لا يعتبر بذلك كله، فإن أسباب النزول لها تعلق بالأحاديث وهي طريق التهمة عنده، فقال: " هذه أمثلة عارضة فحسب تبين أن تفسير القرآن طبقا لأسباب النزول يمكن أن يغير المعنى، أو يذهب به، فإذا كان المعول والعمل هو بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فإن أسباب النزول تكون فضولا ولا معنى لها وككل فضول فإنها تكون على حساب الهدف المطلوب على وجه التحديد بحيث تميعه، وإذا كانت أسباب النزول تحمل المفسرين على أن يجعلوا العبرة بخصوص السبب كما يتضح ذلك من أن ابن عباس عندما قدم سبب النزول " لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا... الآية " قال: أولا " مالكم ولهذه الآية إنما دعا النبي يهود فسألهم... الخ إذا كانت أسباب النزول ستقصر العمل على خصوص السبب فإنها ستذهب بالقرآن ككتاب هداية للناس كافة إلى يوم يبعثون وتجعله كتاب قصص وحكايات ".[41] فقد قصر فائدة سبب النزول على إمكانية تعميمه أو تخصيصه، ولأن العبرة بالعموم فلم يعد لها فائدة، فأخطأ في الأصل ثم كان خطؤه في الفرع تبعا لذلك، ومن يطالع نصوص أهل العلم في كتب علوم القرآن يعلم أن فوائد معرفة أسباب النزول لها أعظم الأثر في معرفة التفسير، وهكذا استمر جمال البنا يطعن بالأسانيد، ورواتها، وأهل العلم، والأئمة منهم، والرواة عنهم، ويطعن بالمناهج العلمية المعتبرة عند الأمة، وطرائق العلم المسلوكة، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وبالخلاصة قد اختصَرَ جمال البنا بيان منهجه بنفسه بقوله: "نحن لا ندخل في صراع فكري مع الفقهاء في قبولهم تفسير الصحابة والتابعين لاختلاف المناهج التي يدور عليها النقاش، فنحن نأخذ بمنهج طبائع الأشياء والأمر الثابت القطعي، والعقل، والمنطق، وهم يأخذون بالأقوال فيدافعون عن المرويات بالمرويات، وهذا لا يستقيم، ولا يعملون ذهنهم أو فكرهم أبدا، وإنما قيل وقال ".[42]

القرآن لا يفسره إلا القرآن وحده:

حصر جمال البنا تفسير القرآن على القرآن فقط وذلك ليسلم له مذهبه في رده تفسير آيات كثيرة، وليختار من تفسيره لنفسه ما يشاء، وليحمّل الآية ما لا تحتمل، فقال: (لأن من الثابت أولًا أن الله تعالى قال: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من

مدكر} [القمر: 17]، فدلَّ على تيسير القرآن للذكر بما لا يحتاج ضرورة لتبين، وأكثر من هذا وضوحًا وصف الله تعالى القرآن بأنه مبين، والمبين لا يحتاج إلى بيان).[43]

وخلاصة القول إن جمال البنا لا يعتد بالمصادر الشرعية المعروفة عند أهل العلم، فالقرآن عنده لايرجع في تفسيره إلى تفاسير المعروفة، والسنة لا يعتد بها جميعاً، والمصادر المعتبرة في رأي جمال البنا هي: مقاصد الشريعة من عدل أو تيسير أو مصلحة.

نماذج من تفسير جمال البنا للآيات

من يطالع كتبه يجد فيها بعض التفسيرات، التي لم يسبق إليها، وشيء بدهي على أصحاب توجه التجديد أنهم لا يعتمدون على السابقين فضلا عن أصحاب التوجه السلفي، وسأنقل بعضاً من تفسيراته، حيث حشد جمال في كتبه كثيراً من الآيات التي قام بتفسيرها، خاصة تلك الآيات التي تتوافق مع هواه في تمرير الفكر التجديدي، والاستعانة بعمومات القرآن، ومن ذلك:

أولاً: تفسيره لقول الله تعالى {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: 256) بزعمه أنه سبحانه وتعالى **نفى الإكراه من عالم الدين** كله، حيث فسر الآية بنفي الإكراه على الدين، ولذلك يجوز **التعددية الدينية** في المجتمع المسلم، فيجوز على رأيه أن يكون في المجتمع المسلم الحرية في اتخاذ الدين الذي يريد الإنسان، وأن يكون لأي دين غير الإسلام تواجد بين المسلمين ويفتح المجال لحرية تعدد الديانات، ويؤيد كلامه هذا في كتابه "التعددية في المجتمع الإسلامي". و قد قاده هذا إلى القول **بنفي حد الردة** وله في ذلك كتاب سماه " بنفي حد الردة".

ثانياً: تفسيره لقوله تعالى: "{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[سورة المائدة: 3].

قال: فمن الواضح أن الآية تتحدث عن صنوف الطعام المحرمة والاستسقام بالأزلام، وبدون ذلك لا يكون هناك محل {}، وإن توجيه الحديث بدأً من {} إلخ.. هو إلى أمة المسلمين وقتئذ، وفي ذلك الوقت بدليل كلمة "اليوم"، فالاستشهاد بالآية في استبعاد التدرج عند دعوة غير المسلمين أو من في حكمهم ممن اجتذبتهم الجاهلية الحديثة عن دينهم، ويراد إعادتهم إليه هو استشهاد لا يستقيم، ويكون في غير محله"أ.ه[44].

فجمال البنا يرى أن هذه اللفظة من الآية "اليوم أكملت لكم دينكم" خاصة من وجهين:

1- تخصيصها بذلك الوقت، وبذلك الزمن.
2- تخصيصها بتلك الأنواع المحرمة من المطاعم.

وقد فات جمال أنها أنزلت في حجة الوداع، في يوم عرفة كما صح بذلك الحديث الصحيح من حديث عمر بن الخطاب[45] رضي الله عنه، ومعلوم عند علماء المسلمين، وعوامهم أن حجة الوداع عاش بعدها النبي صلى الله عليه وسلم بضعة أشهر ثم توفي، فتكون كلمة اليوم تدل دلالة واضحة على اكتمال الشريعة بالدليل الذي ذكره جمال لكن بغير فهمه.

و من الغريب أن جمال البنا أتى بآية التي اعتبرها رجل يهودي مفخرة من مفاخر الأمة المحمدية التي تنزل عليها مثل تلك الآية حتى قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه "يا أمير المؤمنين آية تقرؤنها في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت ونعلم ذلك اليوم الذي نزلت فيه لاتخذناه عيدا"[46]، ومع ذلك بالأسف الشديد حاول جمال البنا أن يخصصها مع أن يهودياً فهم عمومها من خلال لفظها، وأيضاً جعل أهل العلم هذه اللفظة من الآية أصلاً في رد جميع البدع في جميع الأزمان.

لكن حمله على ذلك الفهم ما يريد أن يقرره من أن حكم التدرج في التشريع الإسلامي باق على تدرجه ولم ينسخ، وأنه يحق للدعاة أن يتدرجوا في دعوتهم لغير المسلمين على ما كان عليه الأمر في بداية الإسلام ثم هكذا إلى أن يقرروا جميع الأحكام، ولذلك قال "فإذا كان المسلمون الأول حديثي عهد بشرك وتطلب ذلك التدرج في دعوتهم إلى الإسلام وإلزامهم فروضه، فإن الناس في أمريكا وأوربا غارقون في الشرك حتى الأذقان فضلاً عن غربتهم التامة عن الملابسات والعادات والتقاليد الإسلامية... فإذا أريد دعوتهم إلى الإسلام أفلا يكون من الحكمة أخذهم بالتدرج..؟"أ.ه[47].

فيقوم الدعاة على حسب كلام جمال بالتشريع بالتدرج، فيتدرجوا في الخمر، والشرك، وغير ذلك.

ولا أعرف إلى لحظتي هذه أن الدعاة السابقين من هذه الأمة المباركة، والمجاهدين من الصحابة ومن بعدهم أنهم فعلوا ما دعا إليه جمال البنا مع أنهم يدعون الروم، ولماذا لم يرض به أبو بكر رضي الله عنه في حربه للمرتدين؟ فلا أدري لماذا غاب هذا الفهم عن السابقين، مع أنه أيسر في الدعوة؟!!!

وكفى بترك الأمة له - على امتداد قرونها، وتتابع دعوتها - دليلاً على بطلانه.

ثالثاً: تفسير قوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: 29].

حاول عاجزاً عن صرفها لصراحتها ووضوح معناها، فوقف جمال حائراً فقال: "والنص الذي جاء به هذا التعبير، نص نعجز عن التوصل إلى مفهومه الحق، وليس لدينا في الصحيح الثابت تفسيراً له من الرسول... فالآية تتحدث عن فئة من أهل الكتاب

لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا تحرم ما حرمه الله ورسوله ولا يدينون دين الحق، ونحن نعرف أن أهل الكتاب سواء كانوا من اليهود أو النصارى يؤمنون بالله ويؤمنون باليوم الآخر، كما أنهم يحرمون ما حرم الله من قتل أو زنا أو سرقة، ومن ثم فيبدو أن هناك فئة شاذة ينطبق عليها وصف القرآن، ويفترض أن تكون هذه الفئة قد نصبت نفسها لعداوة الإسلام، وأبدت استكباراً تطلب مقاتلتها ودفعها الجزية بشيء من الصغار"أ.ه[48].

فيكون على كلام جمال أن هذه الآية من كتاب الله معطلة في الوجود، إلى أن تأتي تلك الفرقة الشاذة فعند إذن نعمل بالآية، ولا شك أن هذا تعطيل لكتاب الله الخالد، وصرف للفظ عن ظاهره، وإنما قاله لأنه عين معنى في نفسه وقام يبحث عن تصديقه في الآيات، ولا يخفى عور هذا المسلك، وفساد هذا الطريق.

الخاتمة:

فقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى نتائج كالآتي:

(أ) خطورة هذا الفكر التجديدي على الأمة؛ لأنه لا يريد أن يُبقى لها من ماضيها شيئاً ويشكك في علومها، ويتهم رجالاتها، ويطعن في رؤوسها.

(ب) تبنى جمال في كتبه مجموعة من الآراء، وحاول أن يحرف نصوص الشرع ليستدل بها عليها، ومن ذلك:

(1) حرية الفكر، والتي يهدف من ورائها إلى أنه يحق لكل شخص أن يختار الدين الذي يريده، ويتحمل مسؤولية هذا الاختيار، والله يتولى حسابه، وبهذا يفتح مجال التعددية الدينية في البلدان الإسلامية.

(2) نفيه لحد الردة.

(3) صرف جميع آيات القرآن الدالة على الجهاد، والآمرة به، إلى أن المراد بها جهاد الدفع، ودرء الفتنة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبدء بقتال، فإن بدء كان لغلبة ظنه أنه سيُهاجَم على دولته!!! على حد زعمه.

(4) نفى النسخ في القرآن، ولام السلف كثيراً على تكرارهم هذه الكلمة في مصنفاتهم التفسيرية، ولا يوافق على مبدأ النسخ من أصله، بل يراه أحد خيانات أهل العلم لكتاب الله.

(ج) حاول الباحث جاهداً بعد قراءة في مجموعة من كتبه أن اكتشف الأسس التي بنى عليها جمال كلامه، فخرجت بمجموعة منها:

- أولاً: عدم الاعتداد بمصادر الأحكام الشرعية.
- ثانياً: عمومية النص عمومية مطلقة.
- ثالثاً: تحكيمه لضغط الواقع.
- رابعاً: تقديم العقل على الشرع وجعله حكماً عليه.
- خامساً: الطعن في الرواية في التفسير.
- سادساً: عدم الاعتداد بالإجماع.

- سابعاً: تقليله من شأن أهل العلم.
- ثامناً: استشهاده بما لا يثبت أو بالمتشابه.

(د) ذكرتُ جملة من تفسيراته لآيات من كتاب الله، وظهر لي كيف أنه يتصرف في القرآن حسبما ظهر له، ومن دون الرجوع إلى كتب التفسير، ولا النظر في أقوال الصحابة فيها، وكيف فهموا الآية؟!

(ه) ظهر لي في نهاية البحث أن ابتلاء هذه الأمة ليس من أعدائها فحسب، بل حتى من بني جلدتها، وممن يتكلم بلسانها، وهذا مما يزيد ابتلاءها، وفي المقابل يزيد مكانتها عند ربها

الـهوامش:

[1] البنا: عبارة عن عائلة أخرجت إلى الأمة الإسلامية نموذجين مختلفين تمام الاختلاف، كان الأول هو نموذج الشهيد حسن البَنَّا، الذي حافظ على الشريعة ودعى إليها، ولكن نفس العائلة أخرجت لنا نموذجًا لصاحب خرافات وأكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان، ألا وهو جمال البَنَّا، فكان كلامه قبحًا لا جمالًا، وكان فكره هدمًا لا بناءً. انظر: أحمد عادل، جمال البَنَّا.. خرافات وأكاذيب.

[2] صاحب كتاب " موسوعة الفتح الرباني في ترتيب وشرح مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في 24 جزءاً"، الذي أفنى ثلاثين عامًا من عمره في كتابته.

[3] انظر: موقع موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية
http://ar.wikipedia.org/wiki/جمال_البنا 19/08/2010

[4] انظر: أحمد عادل، جمال البَنَّا.. خرافات وأكاذيب. ص 4

[5] المصدر السابق

[6] المصدر السابق

[7] المصدر السابق

[8] جمال البنا، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، د. ط، د. ت) ص 11

[9] المصدر السابق

[10] انظر: جمال البنا ومنهجه في التفسير بحث صيفي إعداد يزيد بن عبد اللطيف الخليف ص 9 نقلاً عن **تفنيد دعوى النسخ** لجمال البنا

[11] جمال البنا، العودة إلى القرآن ص 103

[12] جمال البنا، تفنيد دعوى النسخ (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ط 1، 2004م)، ص 49

[13] المصدر السابق

[14] جمال البنا، تثوير القرآن، (القاهرة: دارالفكر الإسلامي، ط1، 2002م) ص96.

[15] انظر: لا حرج قضية التيسير في الإسلام، جمال البَنَّا، ص(94).

[16] انظر: لا حرج قضية التيسير في الإسلام، جمال البَنَّا، ص(94).

[17] المصدر السابق ص 8

[18] الصدر السابق ص (95).

[19] جمال البنا، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص (7)

[20] جمال البنا، لاحرج، المصدر السابق ص 60

[21] المصدر السابق

[22] جمال البنا، استيراتيجية الدعوة الإسلامية، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ط1، د.ت)، ص 57
[23] جمال البنا، **تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين** ص 7
[24] جمال البنا, **الجهاد**، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ط1، 2002م)، ص23
[25] جمال البنا، **التعددية في المجتمع الإسلام**ي، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ط2005،1 م) ص 18
[26] جمال البنا، **تجديد الإسلام و إعادة تأسيس منظومة المعرفة الإسلامية**، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ط1، د. ت) ص4
[27] جمال البنا، هل يمكن **تطبيق الشريعة**،(القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ط1، 2005م)، ص3
[28] المصدر السابق ص 94
[29] المصدر السابق ص 95
[30] جمال البنا، **تجديد الإسلام**، ص 238
[31] جمال البنا، **الإسلام كما تقدمه دعوة الإحياء الإ سلامي**، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ط1، د.ت)، ص 78
[32] اخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد برقم (6524).
[33] البنا، جمال، **تجديد الإسلام، ص** 236
[34] انظر:جلال الدين السيوطي، **تدريب الراوي**، تحقيق: أبو قتيبة الفريابي، (الرياض: مكتبة الكوثر، ط2، 1415ه)، ج1، ص526.
[35] محمد بن ادريس الشافعي، **الرسالة**، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص41.
[36] البنا، جمال، **تفنيد دعوى النسخ**، ص92.
[37] البنا، جمال، **تثوير القرآن**، ص70.
[38] البنا، جمال، **تفنيد دعوى النسخ**، ص4.
[39] البنا، جمال، **تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين**، ص98.
[40] البنا، جمال، **تثوير القرآن**، ص82.
[41] تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص (114)
[42] تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، ص (91)
[43] انظر: مقالة بعنوان: جمال البنا خرافات وأكاذيب ص 4 نقلاً عن تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، جمال البَنَّا، ص(88).
[44] المرجع السابق ص40.
[45] متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، برقم (45)، ومسلم في كتاب التفسير، برقم (3017).
[46] المصدر السابق.
[47] البنا، جمال، **لا حرج**، ص39.
[48] البنا، جمال، **الجهاد**، ص 73.

ثبت المراجع و المصادر

(1) البنا، جمال، د.ت، **إستراتيجية الدعوة الإسلامية**. ط1. دار الفكر الإسلامي، بيروت.

(2) البنا، جمال، د.ت، **الإسلام كما تقدمه دعوة الإحياء الإسلامي**. ط1. دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
(3) البنا، جمال، 2002م، **تثوير القرآن**. ط1. دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
(4) البنا، جمال، د.ت، **تجديد الإسلام وإعادة تأسيس منظومة المعرفة الإسلامية**. ط1. دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
(5) السيوطي، جلال الدين، 1415ه، **تدريب الراوي**. تحقيق: أبو قتيبة الفريابي. ط2. مكتبة الكوثر، الرياض.
(6) البنا، جمال، 2005م، **التعددية في المجتمع الإسلامي**. ط1. دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
(7) البنا، جمال، د.ت، **تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين**. د.ط. دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
(8) البنا، جمال، 2004م، **تفنيد دعوى النسخ**. ط1. دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
(9) شاكر النابلسي، **جمال البنا لا تعتذر عما كتبت**. موقع إيلاف على الشبكة العنكبوتية، http://www.elaph.com/ElaphWeb/ElaphWriter/2006/10/181105.htm.
(10) البنا، جمال، 2002م، **الجهاد**. ط1. دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
(11) الشافعي، محمد بن ادريس، د.ت، **الرسالة**. تحقيق: أحمد شاكر. د.ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
(12) البخاري، محمد بن إسماعيل، 1407ه، **صحيح البخاري**. تحقيق: مصطفى البغا. ط1. دار اليمامة، بيروت.
(13) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، د.ت، **صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(14) البنا، جمال، 1405ه، **لا حرج**. ط2. الدار السعودية للنشر والتوزيع. السعودية.
(15) الموقع الرسمي لجمال البنا على الشبكة العنكبوتية، http://www.islamiccall. org/ the%20islamiccall.html.
(16) موقع موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية، http://ar.wikipedia.org/wiki/% D8%AC %D9 %85%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7.
(17) البنا، جمال، 2005م، **هل يمكن تطبيق الشريعة**. ط1. دار الفكر الإسلامي، القاهرة.

أسلوب الاختيار وصوره الجماليّة في سورة البقرة: دراسة أسلوبيّة

محمد خامس محمد
محاضر بكلّيّة المنار كدونا- نيجيريا
التّابعة لمعهد التّربية بجامعة أحمد بلّو، زاريا
PHONE: 08066969858
E-MAIL: khamismuhd2007@yahoo.com

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى عرض أسلوب الاختيار القرآنيّ وصوره الجماليّة من خلال سورة البقرة إلى جانب جمع النّماذج والتّحليل للظّاهرة حسب النّظريّة الأسلوبيّة. وكذلك يعتني باكتشاف مجموعة من الخصائص الشّكليّة والمعنويّة في إطار أسلوبيّ. وتوصّل البحث إلى إثبات وجود الاختيار في الكتاب العزيز، وأنّ له ملامح واضحة في البلاغة والأدب والنّقد.

المقدمة:

يرجع تحديد هذا البحث في إطار ظاهرة من ظواهر الأسلوبيّة في سورة البقرة مع الاكتفاء بذكر نماذج لها على سبيل المثال لا على سبيل الإحاطة والشّمول. فترتكز الدّراسة على صور الاختيار في الحروف والأدوات والألفاظ والجمل والعبارات، على منهج الدّراسة الأسلوبيّة الحديثة. وتنطوي الدّراسة على ذكر نماذج الاختيار في سورة البقرة بمختلف أنواعه وصوره الجماليّة. ينبغي قبل كل شيء معرفة مفهوم الاختيار وأقسامه، مع ضرب أمثلته في سورة البقرة مع التّحليل والتّوضيح.

واختار الباحث هذه السُّورة لأنّها موسوعة لغويّة تحتوي على مضامين أسلوبيّة، ودقائق عربيّة رفيعة، ممتلئة بالعبر والنّصائح البديعة والصّور الجماليّة؛ وفيها صور لطيفة جامعة لأجواء الأنس والرّحمة بأسلوب فريد من نوعه في اختيار الألفاظ والعبارات مما يجعل النّفس تستريح له. ويتّضح ذلك خلال ذكر النّماذج في السّورة. وتتناول الدّراسة مفهوم الاختيار ونشأته في الدّراسات اللّغويّة، وصوره الجماليّة في سورة البقرة، ثمّ الخاتمة والمصادر والمراجع والهوامش.

مفهوم الاختيار في اللغة والاصطلاح:

كلمة الاختيار في اللّغة هي الانتقاء والاصطفاء، مأخوذة من خار الشيء: انْتَقاهُ واصْطَفَاهُ، يقول أَبو زُبَيْد الطَّائِيّ[1]:

إنَّ الكِرَامَ عَلَى مَا كَـانَ مـن خُلُـقٍ رَهْـطُ امْـرِئٍ خـارَه لِلـدِّينِ مُخْتَـارُ

ومنه قوله تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ، ما كان لهم الخِيرةُ}[القصص: 68]. أي: ليس لهم أن يختاروا على الله. والفرق بين الاختيار والاصطفاء: أن الاختيار أخذ خير ما في الشيء على وجه الحقيقة، والاصطفاء أخذ ما يصفو منه، وإن

كان قد كثر استعمال أحدهما موضع الآخر. فالاختيار هنا هو الأخذ من الكثير حسب مواصفات محدودة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي ٱلإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا"[2]، أي: من كان مختارا في الجاهلية هو المختار في الإسلام إذا فهم الدين. ومنه قول عبد الغني النابلسي[3]:

وما أنت مجبورٌ وربك خالق لك الاختيار المحض من غير مريـــــــــــــــــــــــــة

وحيث اختيارٌ فيك خلْقه ربنا كباقي صفات مثل حول وقوة

وأمّا مفهومه الاصطلاحيّ فهو "اختيار سمات لغويّة معيّنة يقوم به المنشئ لغرض التّعبير عن موقف معيّن، ومن مجموع الاختيارات الخاصّة لمنشئ معيّن يتكوّن أسلوبه الّذي يمتاز به"[4]. ويقول أحمد حسن الزّيّات عندما يعرف الأسلوب بأنّه: "طريقة الكاتب أو الشّاعر الخاصّة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام، وهذه الطّريقة فضلاً عن اختلافها بين الكُتّاب والشّعراء تختلف في الكاتب أو الشّاعر نفسه باختلاف الفنّ الّذي يعالجه، والموضوع الّذي يكتبه، والشّخص الّذي يتكلّم بلسانه أو يتكلّم عنه"[5]. فهو احتمال السّياق استعمال صفتين مترادفتين أو متقاربتين أو جملتين متساويتين فيفضل إحداهما لملاحظة سياقيّة أو دلاليّة، ويكون هذا الانتقاء والاختيار من بين البدائل الكثيرة لملاحظة أسلوبيّة[6]، حين يؤثر المنشئ كلمة على كلمة أو تركيبًا على تركيب لأنّها أصحّ عربيّة أو أدقّها في إيصال ما يريد؛ ويمكن أن يدخل تحت هذا النّوع من الانتقاء كثير من موضوعات البلاغة المعروفة كالفصل والوصل والتّقديم والتّأخير والذّكر والحذف وغيرها. وله شأن رفيع في وضوح المعنى.

ولا مزية للفظ على آخر في الدّلالة إذا كان أحدهما أدلّ على معناه في الآخر. والقرآن الكريم أرفع كتاب يحمل في طيّاته جوانب البيان والمعاني والأسرار الفنّيّة من خلال حسن اختياره للحروف والأدوات والألفاظ والعبارات في سوره. وما الأسلوب من جهة اللّغة إلاّ "اختيار لقاموس لغويّ أوّلاً ثم اختيار للعلاقات بين عناصر القاموس ثانيًا، وكما أنّه من جهة التّعابير وجود تعبيرين أو أكثر لهما نفس المعنى غير أنّهما يختلفان في طرائق تأديته، فليس متعلّقًا بالتّعبير فقط ولكن بالتّفكير"[7]. واللّغة تزخر بمفرداتها ومعانيها وتراكيبها، وتتيح الفرصة لمن يشاء أن يغترف من ينابيعها ويتزوّد بزخارفها عن طريق اختيار الألفاظ اللّائقة والمعاني المناسبة والتّراكيب المفضية إلى الغرض المنشود. وكلّ منشئ يختصّ بأسلوبه الخاصّ عن نظرائه من المنشئين في الصّياغة والتّعبير والاختيار من معجمه اللّغويّ، فقد يميل إلى استخدام بعض الكلمات دون بعضها الآخر، وقد لا يستخدم كلمات كثيرة في اللّغة الّتي يتكلّم بها على الإطلاق لكونها لا تعجبه، مع أنّه يفهم معانيها، كما أنّ هناك كلمات كثيرة أخرى لا يستخدمها ولا يعرف معانيها لخروجها عن نطاق بيئته وثقافته، فتراه دائمًا يحاول في انتقاء الجمل والرّبط بينها، فيستعمل بعض الصّيغ دون بعض، أو يستعمل أدوات معيّنة دون أخرى، وهكذا[8]. فالكاتب عندما يختار مفرداته لِيَصُبّ فيها أحاسيسه وعواطفه لا بدّ له من التزام الدّقّة والوضوح حتّى يتمّ الجمال والحسن في الكلام. فكلّ جملة تنبعث عن

الاختيار كما أثبت ذلك تشومسكي في قوله: "الجُمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات للكلمات داخل الجملة"[9].

نشأة الأسلوبية:

ظهرت كلمة الأسلوبيّة في أوائل القرن العشرين نتيجة ظهور العلوم اللّغويّة واللّسانيّة الحديثة "الّتي قرّرت أن تتّخذ من الأسلوب علمًا يدرس لذاته، أو يوظّف في خدمة التّحليل الأدبيّ، أو التّحليل النّفسيّ، أو الاجتماعيّ، تبعًا لاتّجاه هذه المدرسة أو تلك"[10]، ظهرت على يد العالم السويسري (*شارل بالي*) *فرديناد ديسوسير* (1858-1913م) فأصدر كتابه -في الأسلوبيّة الفرنسيّة -ثم أصدر كتابًا آخر. ثم جاء بعده بعض علماء اللّغة الّذين تأثّروا بمنهجه في أبحاثهم اللّغويّة أمثال *بند يتكوكروتش* (Croce Benedctto) *وكارل فوسلر* (Vossler Karl)، *وليوسبيتزر*، (Spitzer Leo) *ورومان جاكبسون* (Jakobson Roman) وغيرهم على اختلافهم في النّظريّة والاتّجاه[11]. رغم حداثة هذه الدّراسة هناك نخبة من النّقّاد العرب الّذين بذلوا جهودهم في تطويرها، من أشهرهم الدّكتور محمد الهادي الطرابلسي، في كتابه المسمّى: "خصائص الأسلوب في الشّوقيّات[12]"، وللكتاب أهمّيّة كبرى في الدّراسة الأسلوبيّة العربيّة. والدكتور عبد السلام المسدي في كتابه: "الأسلوبية والأسلوب" وهو من أهم الكتب النظرية الأسلوبية، والدّكتور صلاح فضل، أصدر في هذه الدّراسة كتابًا سماه: "علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاتـه"[13].

أنواع الاختيار:

يمكن تقسيم الاختيار إلى قسمين، هما[14]: اختيار الألفاظ المفردة، واختيار الجمل والعبارات. فالأول اختيار لفظ مفرد مناسب للمقام والدلالة على المعنى. فيجب على الأديب أو الكاتب أن يختار ألفاظه قبل النظم لكي يتصف كلامه بالحسن والجودة والجمال، ولذلك نرى -كما نقل محمد العاشر -أن ابن الأثير يشبه الألفاظ باللآلئ حيث قال حكم الألفاظ: "حكم اللآلئ المبددة فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم"[15]. ويرى الباحث -والله أعلم -أن يعتبر اختيار الألفاظ نوعين، هما:

أ -اختيار الحروف:

وهو أن يختار السياق حروفا خاصة للوصول إلى ألفاظ لأهداف فنية لو استعمل غيرها محلها لما تمّت الدلالة الحقيقية على المراد، أو لأدى إلى لفظ غير مناسب، وبالتالي إلى معنى غير لائق. فمثاله اختيار الواو دون الفاء في قوله تعالى: {وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ}[16] للدلالة على التراخي بمعنى "ثم" بدلا من الفاء التي تفيد الترتيب، لأنهم يحتاجون إلى الخروج به إلى مكان بعيد لئلا يقفى أثره.

ب -اختيار الأدوات:

وهو أن يختار السياق أداة لو بدلت بغيرها لتغير المعنى المراد به لفظًا. مثاله اختيار "حتى" بدلا من "إلى" في قوله: {لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} بمعنى "إلى"، ليفيد الجناس غير التّامّ، ولما احتوت عليه من الغاية والزيادة، وتعميم الدلالة على أن "حتّى" بمعنى الحين، فتقدير الكلام: "إلى أن يحين حين"، ومن ذلك قول تأبّط شرا:

صَـلِيَتْ مِنِّـي هُـذَيْلٌ بِخِـرْقٍ لاَ يَمَلّـوا الشَّـرَّ حَتَّـى يَمَلّـوا

أي حين يملّوا. والثّاني هو اختيار المقام أسلوبًا لو غُيّر بغيره لتحوّل المراد أو أتى بمعنى نازل غير مراد. مثاله اختيار "أحد عشر كوكبًا" من قوله تعالى: {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} للاختصار، مع أن لكل كوكب اسما، وأخرج الشّمس والقمر من ضمن الكواكب لمزيّتهما ومهمّتهما، فلو شاء لقال: إنّي رأيت ثلاثة عشر كوكبًا، وهذا ليس فيه ذوق جميل ورونق حسن، ولأنّ الشّمس تدلّ على أمّه، والقمر يدلّ على أبيه، والكواكب الحادي عشر على إخوته.

فحسنُ نظم العبارة القرآنيّة وجمال أسلوبها هو دقّة اختيار ألفاظها وملائمتها للمعنى وسبكها في تسلسل منطقيّ وَفْقَ نظام متماسك، وموقعها وشكل بنيتها والأصوات الموحية بدلالة بنية اللفظ والتّركيب بحيث لا نجد بديلاً عنها في دقّة التّعبير والإحاطة بالمعنى أمرٌ واجب.

صوره الجمالية في سورة البقرة:

والغاية من الدّراسة إظهار صور الاختيار القرآنيّ في سورة البقرة من بين خصائص الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة الّتي تبحث عن الاتّجاهات العامّة لعلمِ اللّغة من النّواحي الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والجماليّة، والّتي هي منهج نقديّ لسانيّ يقوم على دراسة النّص الأدبيّ دراسة لغوية لاستخلاص أهم العناصر المكوّن له، إذ تجعل منطلقها الأساس النّص الأدبيّ[17]. وللاختيار صور عديدة منها: التّكرار، والحذف أو الذّكر (الزّيادة)، والتّقديم أو التّأخير، والاستفهام، والعدول، والانزياح وغير ذلك، فيما يلى أمثلة لبعض هذه الصّور في سورة البقرة.

أ. التكرار:

هو رصد الظّواهر الأسلوبية المتكررة داخل النص الأدبي، بحيث يمكن أن تشكّل ظاهرة أو مثيرا أسلوبيا نابعا من هذا التكرار. وقد قام بالبحث فيه الأستاذ الدكتور أحمد علي محمد في بحثه بعنوان: "التكرار وعلامات الأسلوب في قصيدة (نشيد الحياة) للشابي "دراسة أسلوبية إحصائية". وهي مقالة منشورة في مجلة جامعة دمشق، سنة 2010م. وإليك أمثلة صور اختيار التكرار ودوره الجمالي من سورة البقرة:

١. **اختيار تكرار الحروف:** تكرار النون والميم في السورة:

حرف النون أكثر الحروف دورانا في سورة البقرة لأنه من أغنى الحروف إيقاعا ونغما موسيقيا، ويليه حرف الميم وهما حرفا غنة. وهكذا تتّسق الأصوات في جمال

لغوي ينفذ إلى النفس ويحرّك عواطفه بمشاعر مختلفة؛ ففي الآيات الثلاث الأولى يشعر القارئ ببطء الإيقاع مما يوحي بانتهاء مقدمة السورة عند قوله: **ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ** [سورة البقرة: ٥]. ثم ترد الآيتان اللّتان تليها ببيان ملخّص الصّنف الثّاني من أصناف النّاس الّذين عاشوا مع الرّسول صلى الله عليه وسلم في مكة، وهم الكفار، واختار الانتهاء بحرف الميم عند قوله تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [سورة البقرة:٧]، فالملاحظ هنا اختلاف حرفي الفاصلة من النون إلى الميم.

٢. اختيار تكرار الألفاظ:

اختار تكرار لفظ "على": ورد ذلك أيضا في قوله تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [سورة البقرة:٧]، "كرّر الجار للاحتياج إليه لأنّه لو لم يُكرَّر لكان انتظامًا للقلوب والأسماع في تعدية واحدة. وحين استجد للأسماع تعدية على حدة كان أدلّ على شدة الختم في الموضعين"[18]. واختار كذلك تكرار اسم الموصول (ما) في قوله: «يؤمنون بالغيب» و«يؤمنون بما أنزل إليك» وإن كان الموصوف واحدا، فهو تكرار للفظ دون المعنى. وفائدته التّرسيخ في الذّهن، والتّأثير في العاطفة ويكثر في الشعر[19]. كما اختار تكرار لفظ "الكتاب"، ويظهر ذلك بكلّ وضوح عندما ينظر الإنسان إلى الأحرف المقطّعة نحو: ألم، وحم، وطس، ونحوها، يجد كثرة تردّد الألفاظ الّتي وليت هذه الأحرف على نسق معيّن في القرآن، أو يكثر استعمالها فيها. فمن ذلك هذا اللّفظ (الكتاب) و(القرآن) وغيرهما من الألفاظ. فيظهر أن هذين اللفظين تكرّرَا على نظام واحد معيّن؛ حيث إنّ كلّ سورة يلي الأحرف المقطّعة فيها ذكر (الكتاب) وحده ولم يذكر معه لفظ (القرآن) تردد فيها أكثر منه، وقد لا ترد فيها لفظ القرآن، وقد يجتمع اللّفظان في سورة، فحينئذ يتساويان أو يتقاربان بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر بأكثر من لفظ واحد. ويظهر ذلك في مواضع كثيرة من القرآن منها موضع البقرة عندما تردد هذا اللفظ أكثر من لفظ القرآن في سبع وأربعين موضعا، فالموضع الأول منها قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ [البقرة: ٢]، في حين لم يرد لفظ القرآن ولا مشتقّات القراءة إلا مرّة واحدة، وهو قوله تعالى: ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [البقرة:١٨٥] وذلك لأنّ مفتتح السّورة يدلّ على تردّد قسم من الألفاظ، وهذا من عجائب التّعبير ودقيقه دالاً على حسن جمال القرآن الكريم وعلوّ منزلته في استخدام الأساليب البديعة.

واختار تكرار لفظ "الله" أكثر من تكرار لفظ "الرب"**:** تردّد لفظ "الله" في سورة البقرة فيما يقارب (282) مرة، بينما تكرر لفظ "الرّبّ" (47) مرّة فقط. بخلاف سورة الأنعام فإنّه أُعيد لفظ "الرّبّ" أكثر مما كُرِّر لفظ "الله". ولعلّ يرجع السّرّ في ذلك إلى التّوسّع والتّنوّع والمناسبة. وفيه حسن وجمال ورونق.

ب. الحذف:

هو حذف كلمة أو جملة فأكثر مع قرينة أو بدونها تدلّ عليه لغرض الإيجاز، وقد تحذف ليكون أبلغ وأدلّ على المقصود. مثال اختيار الحذف حذف المفعول به: وهو

حذف مفعول فعل المشيئة، وقد أشار إليه الزّمخشري في تفسيره "الكشّاف" عند قوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [البقرة: 20] إذ يقول: "ومفعول شاء محذوف؛ لأنّ الجواب يدلّ عليه. والمعنى: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها. ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد ولا يكادون يبرزون المفعول إلاّ في الشّيء المستغرب كنحو قوله: فلو شئت أن أبكي دمًا لبكيته"[20].

ج. الذكر (الزّيادة):

وهو زيادة حرف أو كلمة أو جملة فأكثر بقرينة أو بغيرها لقصد الإطناب الّذي يحتاج إليه المقام. وعرّفه السّامرائي بقوله: "هو ما ذكر في موطن ولم يذكر في موطن آخر يبدو شبيهًا به لأنّ الموطن اقتضاه"[21]. من ذلك اختيار زيادة "من" في قوله: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [سورة البقرة: 23] للدّلالة على التّبعيض، "ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن، -كما ورد في الحديث -وأوّله بعد الفاتحة، حسن دخول (من) فيها ليعلم أنّ التّحدّي واقع على جميع سور القرآن من أوّله إلى آخره، وغيرها من السّور لو دخلها (من) لكان التّحدّي واقعًا على بعض السّورة دون بعض، ولم يكن ذلك بالسّهل"[22]. ومثاله أيضا اختيار زيادة كلمة (كانوا) في قوله تعالى: ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ [سورة البقرة:57]، لأنّ الكلام هنا عن بني إسرائيل وقد مضوا؛ فلو تدبّرنا مثيلة هذه الآية في سورة آل عمران لوجدنا أنّها لم تأت بتلك الزيادة لأنّ السّياق هناك مَثَلٌ ضُرِبَ لكلّ من يظلم نفسه سواء كان من الماضين أو الحاضرين. كما أفاد ذلك الكرمانيّ عند الكلام عمّا في السّورة بقوله: "إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا..."[23].

د. التّقديم والتّأخير:

هو تقديم ما حقّه التّأخير، أو تأخير ما حقّه التّقديم لغرض من الأغراض الأسلوبيّة. وقد تناوله مروان سعيد عبد الرحمن ضمن رسالة الماجستير بعنوان "دراسة أسلوبيّة في سورة الكهف"، 2006م. فمثال التّقديم والتأخير في سورة البقرة قوله تعالى: ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ [سورة البقرة:48]، قُدّم لفظ الشّفاعة هنا وأخّر لفظ العدل قطعًا لطمع الكفّار في زعمهم أنّ آباءهم وأصنامهم يشفعون لهم يوم القيامة؛، كما عُكّس في آية أخرى من السّورة. وأخّرها في الآية الأخرى "لأنّ التّقدير في الآيتين معا: لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة، لأنّ النّفع بعد القبول، وقدّم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدّمًا فيها"[24].

هـ. الاستفهام:

وهو طلب معرفة ما لم يكن معروفًا من قبل، عن طريقة الألفاظ المهيّئة له. وقد تخرج تلك الألفاظ أحيانًا عن معانيها الأصليّة لتفيد الجمال في الأسلوب. ومثاله قوله تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [البقرة:67] خرج الاستفهام هنا عن معناه الحقيقيّ وأتى بمعنى السّخرية والاستخفاف، فردّ عليهم موسى بقوله: أعتصم بالله أن أكون من الجاهلين. ففي اختيار الهمزة بدل "هل" حسن وجمال.

و. الإفراد والجمع:

هو جعل أحدهما محلّ الآخر لغرض بلاغيّ يقصد إليه الكاتب. فمثاله اختلاف الضّميرين بين الإفراد والجمع في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [البقرة:17]، "فقد وحّد الضّمير في (استوقد) و(حوله) نظرًا الى جانب اللّفظ لأنّ المنافقين كلّهم على قول واحد وفعل واحد، وأمّا رعاية جانب المعنى في (بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ) فلكون المقام تقبيح أحوالهم وبيان ذاتهم وضلالهم فإثبات الحكم لكلّ فرد منهم واقع"[25]. ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّار إلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ [البقرة:80]، إنّ الوصف في سورة البقرة جاء مفرداً لأجل الإيجاز، وجاء جمعاً في آل عمران للإسهاب، فناسب الإفراد الإيجاز كما ناسب الجمع الإسهاب في توافق مع نسق الكلام وحال المتلقِّي وهذا ما يجعل من القرآن الَّذي أنزل على سبعة أحرف احتمال خطابه لعدَّة وجوه...[26].

الخاتمة:

يظهر من الدّراسة أنّ ظاهرة الاختيار من أنماط الدّارسة الأسلوبيّة الحديثة الّتي تخدم النّصوص الأدبيّة وغير الأدبيّة، فالقرآن الكريم يحمل في طياته وجوه الإعجاز الجماليّة والدّلالية في ألفاظه ومعانيه، فقد حاول الباحث إبراز ذلك في شكل وجيز حتّى لا يملّ القارئين. كما أنّه بيّن أن الاختيار يمكن تقسيمه إلى اختيار الألفاظ واختيار العبارات، ثم تطرّق لبيان أنماطه في سورة البقرة. وتوصي الورقة بأن يهتمّ الباحثون بالدّراسة عن الظّواهر الأسلوبيّة في القرآن.

الهوامش والمراجع:

[1] -الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الأول، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، بدون أخبار النشر، ص: 2800

[2] -الألباني، محمد ناصر الدين، (الألباني)، صحيح الجامع، الجزء الثالث، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، بدون أخبار النشر، ص: 228.

[3] -عبد الغني النابلسي، الديوان، بدون أخبار النشر، ص: 304.

[4] -محمد العاشر أول، (الدكتور)، صور من أسلوب القرآن في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة، رسالة الدكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو، 2007، ص: 92.

[5] -محمد سعد، الاختيار في الدراسات الأسلوبية الحديثة، مقالة منشورة في موقع الإنترنيت، الفصيح لعلوم اللغة العربية، ص:3.

[6] -عبد العظيم إبراهيم محمد المعطي، (الدكتور)، علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 142هـ -2001م ص: 64.

[7] -الأستاذة، سامية محصول الجزائر، أسلوب الاختيار في الدراسات الأسلوبية، مقالة منشورة في مجلة دراسات أدبية، وهي مجلة علمية محكمة، 1/9/ 2010م، ص: 1.
[8] -فتح الله أحمد (الدكتور)، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، 2008م، ص: 14.
[9] -قليل يوسف، مدخل إلى الأسلوبية، مقالة في مجلة العلوم الاجتماعية، 2010م، ص: 8.
[10] -عقيلان عبد الكريم، الأسلوبية مفهوما ونظرة تطبيقية، 2010م، الساعة: 20:23م، مقالة منشورة في الإنترنيت، ص: 8.
[11] -جعفر إسماعيل، حديث أم زرع، دراسة أسلوبية، بحث تكميلي مقدم لقسم اللغة العربية للحصول على شهادة الليسانس في اللغة العربية، وهو غير منشور،2011، ص: 16.
[12] -مقالة منشورة في موقع الإنترنيت، بعنوان: الأسلوبية وروادها، 8/ 01/ 2005م، ص:2.
[13] -المرجع السابق، والصفحة نفسها.
[14] -أفاد هذا التقسيم محمد العاشر محمد الأول، (الدكتور)، في رسالته الدكتوراه، صور من أسلوب القرآن الكريم في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة، ص: 92، و99.
[15] -المرجع السابق، ص: 96.
[16] -يوسف: 10.
[17] -مقالة منشورة في موقع الإنترنيت: منتديات الوليد، الأسلوبية وروادها عربيا، رؤية في اشكالية دراستنا الأسلوبية، 2005م، ص:2. بلا مؤلف.
[18] -الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف، موقع التفاسير، الجزء: ١، بلا تاريخ، ص: ٣٠.
[19] -درويش (المتوفى: 1403هـ)، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية -حمص -سورية، (دار اليمامة -دمشق -بيروت)، (دار ابن كثير -دمشق -بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ، الجزء:٢، ص: ١٨٠.
[20] -الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف، موقع التفاسير، الجزء: الأول، بلا تاريخ، ص:٥١.
[21] -السامرائي فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، 1998، الطبعة الخامسة، ص: 75.
[22] -الكرماني، محمود بن حمزة، (تـ 505)، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة -مصر، ص:69.
[23] -الكرماني، محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن، ص:72.
[24] -الكرماني، محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن، ص: 71.
[25] -درويش (المتوفى: 1403هـ)، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه: ١٨٠.
[26] -فرح باقر الفاضلي، أطروحة العدول في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، خطة الماجستير منشورة على موقع مقالاتي، مقدمة إلى كلية التربية للبنات، جامعة كوفة، تحت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2011م.

الإجازة القرآنية مفهومها وضوابطها وأحكامها واتجاهات العلماء فيها

إعداد:
الدكتور عبد المعين محمد علي جيدي القبيسي
أستاذ القراءات وأصول الفقه،
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، ومركز البحوث والدراسات القرآنية
جامعة بايرو، كنو، نيجيريا

الحمد لله رب العالمين القائل لرسوله محمد ρ: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ ﴾ [النمل: ٦]. والصلاة والسلام على سيد القراء المنزل عليه: ﴿ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ ﴾ القيامة: ١٨.

وبعد: فإن الإجازة القرآنية ربانية المصدر وسنة القرءان المتبعة حيث أنزل الله القرءان على نبيه عن طريق الملك جبريل عليه السلام وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقن القرءان حرفا حرفا من لسان الملك جبريل، وكان يدارسه ويعارضه كل عام في شهر رمضان إلى جاء العام الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم فعارضه مرتين، وختم التنزيل.

وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه القرءان ويرشد الناس إلى أولى الصحابة بالأخذ عنه كقوله صلى الله عليه وسلم:)أقرؤكم ابي بن كعب)[1]وكقوله في ابن مسعود رضي الله عنه:)من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد).[2]

وهذا إرشاد منه صلى الله عليه وسلم في أهمية التلقي للقرءان من أهله المؤهلين والمجازين من المؤهلين. والإجازة القرآنية، وتسلسل التلقي القرآني ضمان لحفظ القرءان، وأخذه كما أنزله الله سبحانه، ولذلك كان العلماء سلفا وخلفا يهتمون بهذه الشعيرة القرآنية والسنة النبوية، احتفاء بأن يكونوا ممن اتصف بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من تعلم القرءان وعلمه)).

وهذه السنة القرآنية أصبحت اليوم منسية ومعطلة في كثير ممن يعنون بالشأن القرآني، حتى أصبح المجازون رسميا بالقرءان وقراءاته كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود.

ولأهمية الإجازة القرآنية، واهتمام العلماء بها سلفا وخلفا، وطرق العلماء فيها، وأنواع الإجازة القرآنية ومراتبها، نكتب هدا البحث مرتبا كالتالي:

- مقدمة البحث: اهتمام العلماء بالإجازة القرآنية
- المبحث الأول: تعريف الإجازة القرآنية والهدف منها
- المبحث الثاني: شروط الإجازة القرآنية والإشهاد عليها
- المبحث الثالث: أنوع الإجازة القرآنية ومراتبها
- المبحث الرابع: أحوال العلماء في الإجازة: التشدد والتساهل في الإجازة القرآنية

مقدمة البحث: اهتمام العلماء بالإجازة القرآنية

منذ أن نزل القرآن الكريم وهو محاط بعناية الله ورعايته حتى أكمله الله لهذه الأمة ورضي لها وجعله لها منهاجاً وشرعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ ﴾ (المائدة). وشاءت عناية الله عز وجل ألا يكل حفظ هذا الكتاب إلى عباده حتى لا يضيع كما أضاع أهل التوراة كتابهم وحرفوه حينما وكل حفظه إليهم قال سبحانه وتعالى:﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﴾ (المائدة)، فحفظ الله لكتابه القرآن الكريم باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﴾ (الحجر).

ومن وسائل حفظ الله لهذا الكتاب ما سخره في كل عصر ومصر من علماء بكتاب الله عاملين به، وقراء مجودين، وحفظة مسندين، وطلبة مجدين جعلوا القرآن مسلاتهم بالغدو والآصال، فهم وإياه دائماً في حل وترحال.

لقد كان السلف الصالح لهذه الأمة من أشد الناس حرصاً على الاهتمام بكتاب الله تلاوة وتعليماً بعد سماعهم الأحاديث الدالة على الترغيب في تعلمه واستظهاره من نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [3]، فلا يقدمون على تعلمه شيئا من العلوم، فما أن يعقل الطفل حتى يبدأ في تعليمه حروف (أبي جاد) ثم قصار السور من المفصل، ويلقن ذلك تلقيناً خمس أو عشر آيات حتى يتم حفظ كتاب الله أو ما تيسر منه بحسب همته وسعة حفظه وإدراكه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم". وعنه: "جمعت المحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: ما المحكم؟ قال: المفصل"، قال ابن كثير: "فيه دلالة على جواز تعليم الصبيان القرآن لأن ابن عباس أخبر عن سنِّه حيث موت النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات، وعمره إذ ذاك عشر سنين"[4].

وقد كان بعض الشيوخ من المحدِّثين لا يقبل في حلقة درسه من الطلاب إلا من درس القرآن أولاً. قال حفص ابن غياث المتوفى سنة 194هـ: "أتيت الأعمش سليمان بن مهران سنة 148هـ فقلت: حدثني، فقال: أتحفظ القرآن قلت: لا قال: اذهب فاحفظ القرآن ثم هلمّ أحدثك، قال: فذهبت فحفظت القرآن الكريم ثم جئته فاستقرأني فقرأته فحدثني"[5].

ولما كان الإسناد من خصائص هذه الأمة فقد رعته حق الرعاية، وأولته جل الاهتمام في كثير من العلوم وأول ذلك الكتاب والسنة، وأقوال العلماء في العناية بالأسانيد معلومة وهي في كتب الحديث مبثوثة، منها قول الإمام أحمد رحمه الله: "الإسناد العالي سنة عن سلف"[6]، وقال الشافعي: "مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى ولا يدري"[7]، وقال عبدالله بن المبارك: "الإسناد من الدِّين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[8].

وتتبع أقوال المحدثين في ذلك يطول، غير أن الذي ينبغي بيانه هو عناية علماء القراءات بالأسانيد ورحلتهم في طلبها وبيان العالي منها والنازل والمتصل والمنقطع وما به علة قادحة وطرق الأخذ والتحمل، هذا كله موجود عند القراء كما عند المحدثين، فهو عند القراء موجود وجهودهم فيه مشكورة.

وهذا فن قد يخفى على كثير من طلاب العلم لاعتقاد البعض أن تتبع الأسانيد والكشف عنها وتتبع طبقات النقلة والرواة هو من اختصاص علماء الحديث، وفاتهم أن لعلماء القراءات باع طويل في معرفة رجالهم وطبقاتهم ورواتهم بل ولا زالوا يحافظون على أسانيدهم إلى يومنا هذا في الوقت الذي تقطعت فيه كل الطرق والأسانيد في العلوم الأخرى، وذلك من تكفل الله تعالى بحفظ كتابه وإحاطته بعنايته الكاملة.[9]

قال ابن الجزري رحمه الله تعالى مبينا ذلك الجهد الذي بذله علماء القراءات في الحفاظ على أسانيدهم والعناية بها: "ومن نظر أسانيد كتب القراءات وأحاط بتراجم الرواة عرف قدر ما سبرنا ونقحنا واعتبرنا وصححنا، وهذا علم أهمل وباب أغلق وهو السبب الأعظم في ترك كثير من القراءات والله تعالى يحفظ ما بقي"[10].

وقال ابن مجاهد رحمه الله تعالى المتوفى سنة 324 هـ مشبها للآثار الواردة في حروف القرآن بالآثار الواردة في الحديث من حيث القبول والردّ والصحة والضعف حاضاً على النظر في الأسانيد وفحص الروايات من قبل العلماء العارفين، قال رحمه الله تعالى: "وأما الآثار التي رويت في الحروف فكالآثار التي رويت في الأحكام، منها المجمع عليه السائر المعروف ومنها المتروك المكروه عند الناس المعيب من أخذ به وإن كان قد روي وحفظ ومنها قد توهم فيه من رواه فضيعه روايته ونسي سماعه لطول عهده فإذا عرض على أهله عرَّفوا بوهمه وردوا على من حمله وربما سقطت روايته لذلك في إصراره على لزومه وترك الانصراف عنه، ولعل كثيراً ممن ترك حديثه واتهم في روايته كانت هذه علته، وإنما ينتقد ذلك أهل العلم بالأحكام والأخبار والحلال والحرام والأحكام، وليس انتقاد ذلك إلى من لا يعرف الحديث ولا يبصر الرواية والاختلاف وكذلك ما روي من الآثار في حروف القرآن منها المعرب السائر الواضح ومنها المعرب الواضح غير السائر ومنها اللغة الشاذة القليلة ومنها الضعيف المعنى في الإعراب غير أنه قد قرئ به ومنها اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير وبكلٍ قد جاءت الآثار في القراءات"[11].

وابن الجزري حينما فرغ من ذكر أسانيده التي تلقى بها القراءات في كتابه النشر قال: "فهذا ما تيسر من أسانيدنا للقراءات العشر من الطرق المذكورة، التي أشرنا إليها وجملة ما تحرر عنهم من الطرق بالتقريب نحو ألف طريق – فهي زهاء ألف طريق تجمع كما قال في الطيبة – وهي أصح ما يوجد اليوم في الدنيا وأعلاه لم نذكره فيه إلا من ثبت عندنا أو عند من تقدمنا من أئمتنا عدالته وتحقق لقيه لمن أخذ عنه وصحت معاصرته، وهذا إلزام لم يقع لغيرنا ممن ألف في هذا العلم"[12].

وانظر إلى شرط ابن الجزري فهو كشرط البخاري رحمه الله في كتابه الجامع الصحيح المسند الذي يعرف بصحيح البخاري، فقد اشترط في الرواة الذين نقل عنهم المعاصرة واللقاء لمن روى عنهم، ولذلك فضل على صحيح مسلم كما فضله البعض، ثم قال مبينا جهده في تنقيح ما أورده من روايات في كتابه: "لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفاً إلا ذكرته ولا خلفاً إلا أثبته ولا إشكالاً إلا بينته وأوضحته ولا بعيداً إلا قربته ولا مفرقاً إلا جمعته ورتبته، منبهاً على ما صح عنهم وشذ وما انفرد به منفرد وفذ، ملتزماً التحليل والتصحيح والتضعيف والترجيح معتبراً للمتابعات والشواهد، رافعاً إيهام الترتيب بالعزو المحقق إلى كل واحد جمع طرق بين المشرق والمغرب"[13].

المبحث الأول: تعريف الإجازة القرآنية والهدف منها

تعريف الإجازة.

والإجازة في اللغة: من الجوز أي: وسط الشيء، والجواز الشاة يبيض وسطها، وللفظ "الإجازة " أكثر من معنى، فمن معانيها قطع الطريق، هذا هو المعنى الأول، ومن معانيها إنفاذ الأمر والرأي، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الشهادة على أعمال العبد يوم القيامة: "فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدا منى "[14]، ومنها الجائزة أو العطية، وهي مشتقة أيضاً من جواز الماء والجواز هو الماء الذي يسقاه المال من الماشية.

والإجازة في اصطلاح المحدثين هي: الإذن في الرواية لفظاً أو خطاً، وأركانها أربعة: المجيز والمجاز له والمجاز به ولفظ الإجازة[15].

ولقد عُني النبي صلى الله عليه وسلم بإقراء الصحابة رضي الله عنهم وقد تلقى عليه الصلاة والسلام بأبي هو وأمي القرآن عن جبريل عليه السلام عرضاً وسماعاً كما قال تعالى﴿ئۈ ئې ئې ئى﴾ (القيامة).

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه إلى قوله أنزل الله لا تحرك به لسانك"الحديث[16]. وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم أسرّ إلى فاطمة "أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني هذا العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي"[17].

من هذه الآية ومن الأحاديث المتقدمة وما شابهها يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القرآن مشافهة عرضاً وسماعاً على جبريل عليه السلام وهي أصل في هذا الباب، إذ يعرَّف العرض بأنه قراءة الطالب على الشيخ، وهو أثبت وأوكد من السماع. والسماع هو التلقي من لفظ الشيخ، وهذا النوع أي أعني السماع لا يكفي في تأدية القرآن صحيحاً كما نزل، إذ ليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته.

إن الإجازة القرآنية نوع من الإجازات العلمية المتعددة، وهناك إجازات المحدثين وهي الأصل في هذا الباب، وإجازات الفقهاء وإجازات القراء وإجازات القضاة وإجازات الخطاطين وإجازات الشعراء بل وإجازات الأطباء، وإن هناك إجازات أخرى تقديرية وتكريمية بين العلماء بعضهم بعضاً وبين العلماء والملوك والأمراء، فشملت الإجازات العلمية سائر العلوم الدينية وتجاوزتها بشكل سريع إلى العلوم الإنسانية والمادية بل وأصبحت الإجازة بحدّ ذاتها أمنية لكل مسلم في نيلها والحصول عليها بل ويلحون في طلبها.

الهدف من الإجازة القرآنية

إن الهدف من الإجازة القرآنية: نيل السند في قراءة صحيحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أمر محمود شرعاً، كيف لا وقد جاء عن بعض السلف يرحمهم الله تعالى الرحلة في طلب الحديث، أفلا تكون الرحلة في طلب سند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة صحيحة أمراً محموداً بل صاحبها مأجور مشكور إن شاء الله، ولكن يعيب في هذا الشأن طلب الإجازة القرآنية من غير متقن فيتعلق صاحبها بالسند دون قراءة صحيحة وبعبارة أخرى عينه الأولى على المقرئ والعين الأخرى على الإجازة، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.

المبحث الثاني: شروط الإجازة القرآنية والإشهاد عليها

وأما شروط الإجازة القرآنية فقد ذكرها العلماء مابين مكثر ومقل وهي كالآتي:

- أولاً: شروط مشتركة بين المجيز والمجاز له: وهي أن يكون: مسلماً، عاقلاً، بالغاً، ثقةً، مأموناً، ضابطاً، خالياً من أسباب الفسق ومسقطات المروءة.
- ثانياً: شروط خاصة بالمجيز أو المقرئ:
- أولاً: العلم الشرعي وأساسه معرفة ما يحل له وما يحرم منه ولا سيما ما يسميه العلماء علم الحال اي معرفة أحكام الضروريات التي يزاولها كل يوم في حياته في امر دينه ودنياه.
- ثانياً: معرفته لأحكام التجويد خاصة إذ به يعرف وبعلمه يتصدر.
- ثالثاً: معرفته لعلم الوقف والابتداء والرسم والفواصل وهو فن العدد
رابعاً: تحصيل طرف من علوم القرآن الكريم والتفسير.
- خامساً: العلم بأسانيد القراء، وهذا من أهم شروط الإجازة وآكدها، إذ به يعرف صحة السند من عدمه وعلوه من سفله.
- سادساً: العلم باللغة العربية. وقد قسم ابن مجاهد يرحمه الله تعالى في بداية كتابه السبعة الذين يقرئون وهم يعرفون اللغة العربية إلى أربعة أقسام.
- سابعاً: يلزم المقرئ المجيز حفظ كتاب حاوٍ لما يقرئ به من أصول القراءات وفرشها لئلا يداخله الوهم والغلط.
- ثامناً: ألا يقرئ إلا بما قرأ أو سمع.[18]

الإشهاد على الإجازة القرآنية

إن الإشهاد على الإجازة القرآنية عند الشيخ مهمة في الإجازة وثبوتها، إذ إن الشهادة في دين الله معتبرة بها تقام الحدود وبها ترفع المظالم، والإشهاد على الإجازة تكون بحضور من هم في طبقة الشيخ ما أمكن ذلك أو من أحد تلاميذه أو من غيرهم ممن هم من أهل الثقة والعدالة. يقول ابن الجزري رحمه الله تعالى: "وأما ما جرت به العادة من الإشهاد على الشيخ بالإجازة والقراءة فحسن يرفع التهمة ويسكن القلب، وأمر الشهادة يتعلق بالقارئ يشهد على الشيخ من اختار، والأحسن أن يشهد أقرانه النجباء من القراء المبدعين لأنه أنفع له حال كبره"[19]

المبحث الثالث: أنوع الإجازة القرآنية ومراتبها

الإجازة القرآنية على مراتب بعضها أعلى من بعض، ويكون ذلك حسب أهلية المجاز بما بجاز له، وقد رتبها إمام المحققين في القراآت ابن الجزري على مراتب:

- أولا: الإذن والأهلية، وهذا أعلى مراتب الإجازة، حيث يبين المجيز أهلية المجاز: (التلميذ) بماأجاز له، إضافة إلى إذنه له بالرواية عنه بما سمع، ولا يكتب ذلك إلا لمتقن.
- ثانيا: الإجازة والأهلية، وهذه أضعف من المرتبة السابقة؛لأن الإجازة أضعف من التصرح بالإذن بالرواية.
- ثالثا: الإذن بالرواية من دون ذكر الأهلية.
- رابعا: الإجازة كذلك من دون ذكر الأهلية.
- خامسا: الإجازة عند التأهل مثل أن يقول الشيخ: أجزت له أن يقرئ بكذا عند تأهله لذلك، وهذه إجازة صورية ولا تدل على مرتبة علمية.

قال الإمام ابن الجزري " وأعلى ما يكتب للمجاز: الإذن والأهلية، لا يكتب إلا لذاك وذاك، ثم الإجازة والأهلية، ثم الإذن مجردا، ثم الإجازة كذلك، ويجوز له أن يقول: أجزت له أن يقرئ بكذا عند تأهله لذلك"[20].

أنواع الإجازة

وأما أنواع الإجازة فهي كذلك على صور:

- أولا: الإجازة بأحد أوجه الرواية: وأما الإجازة بأحد أوجه الرواية فقد اتفق جميع العلماء من أهل القراءات على جواز ذلك، وهي أن يأتي القارئ بوجه واحد من أوجه القراءة.
- ثانيا: الإجازة بالقرآن كله والعرض لبعضه: وأما الإجازة بالقرآن كله وعرض التلميذ على الشيخ بعض القرآن سواءً كان في القراءات السبع أم في العشر، فيقول ابن الجزري يرحمه الله تعالى في ترجمة محمد بن أحمد الأصبهاني: "ودخل الروم فلقيني بأنطاكيا متوجهاً إليها من الشام فقرأ عليّ للعشرة بعض القرآن وأجزته ثم توجه إلى مدينة دراندا فأقام بها يقرأ الناس"[21].
- ثالثا: الإجازة بالسماع: وأما الإجازة بالسماع فقد تقدم، وأيضاً شرطه هو أن لا يتأتى إلا لمن بلغ درجة كبيرةً في الإتقان.
- رابعا: الإجازة بأحرف الخلاف فقط: وأما الإجازة بأحرف الخلاف فقط فأيضاً لا تكون إلا لمن بلغ درجة في الإتقان ولا يتحقق هذا إلا بكثرة العرض على الشيخ، يقول أبو عمرو الداني: "إذ إنّ حسن الأداء بكثرة العرض".

المبحث الرابع: أحوال العلماء في الإجازة: التشدد والتساهل في الإجازة القرآنية

وأما التساهل والتشدُّد في الإجازة القرآنية فالناس فيه طرفا نقيض، أسوق ما قال الإمام الذهبي في ترجمة محمد بن أحمد بن مسعود المعروف بابن صاحب الصلاة المتوفى سنة 525هـ، قال الأبار: "لم آخذ عنه لتسمحه في الإقراء والإسماع سامح الله له". قلت- الذهبي: وأنا رأيت له ما يدل على تسمحه بخطه أن بعض القراء قرأ عليه في ليلة واحدة ختمة كاملة برواية نافع"[22].

وأما التشدد فهو طرف مقابل لذلك، يقول ابن الجزري في ترجمة الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق بن محمد بن أحمد بن يزيد أبو العباس الحلبي نزيل مصر: "وروى عنه الداني أنه قال: لم يمنعني أن أقرأ على أبي طاهر إلا أنه كان فظيعاً، وكان يجلس للإقراء وبين يديه مفاتيح فكان ربما يضرب بها رأس الطالب إذا لحن؛ فخفت ذلك فلم أقرأ عليه وسمعت منه كتبه"[23].

نتائج البحث:

- الإجازة القرآنية والسند القرآني خصيصة من خصائص هذه الأمة.
- الإجازة القرآنية وتسلسل التلقي القرآني ضمان لجودة تلقي القرءان، وتحقيق للوعد الإلهي بحفظ القرءان.
- الإجازة القرآنية إحياء لسنة تلقي القرءان كما كان الصحابة والسلف الصالح تلقوه ونقلوه الى من بعدهم.
- إن الشهادات الجامعية الأكاديمية على الطريقة الغربية في كليات علوم القرءان الكريم وعلومه لا تغني عن الإجازة العلمية القرآنية بطريقة علماء الإسلام سلفا وخلفا.

الإجازة القرآنية تدل على مرتبة علمية خاصة، وأهلية دقيقة لما تتضمنه من المعارف والعلوم إذا اتصفت بالشروط العلمية المعروفة عند أهليها.

الهوامش والمراجع:

---

(1) -أنظر فتح الباري على صحيح البخاري، 55/8.

(2)- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله ابن مسعود، رقم الحديث:4340.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث 5027.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، باب تعليم الصبيان القرآن، رقم الحديث 5036.

(5) - الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، دار الفكر -، بيروت، الطبعة الثالثة، (1404هـ).

(6) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى،(1403هـ)، 4/3

(7) - المصدر نفسه، 4/3.

(8) - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب الإسناد من الدين، رقم الأثر:32

(9)- محمد بن فوزان العمر، إجازات القراء، ص 10 وما بعده.

(10) - ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، المصدر السابق، 218/1.

(11) - ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، السبعة في القراءات، دار المعارف - القاهرة،الطبعة الثانية، (1400هـ)، 48/1.

(12) - ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، المصدر السابق، 218/1.

(13) - ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، المصدر السابق،48/1.

(14) - أخرجه مسلم في صحيحه، باب حدثنا قتيبة بن سعد، رقم الحديث: 7629.

(15) - الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (مادة"جوز" 177/2). وانظر أيضا: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، 5/1

(16) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث: (5).
(17) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث: (3624).
(18) - وقدتقدمت هذه الضوابط في مؤهلات المقرئ العلمية، صـ71.
(19) - ابن الجزري، محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، المصدر السابق، /67.
(20) - المصدر نفسه، / 76.
(21) - المصدر نفسه، /77
(22) - الذهبي، محمد بن أحمد: معرفة القراء الكبار، 308/1
(23) - ابن الجزري، غاية النهاية، 107/1.

الأستاذ عبد الله بن فوديي ومنهجه في التفسير باللغة

إعداد:
الدكتور أمين الله آدمو الغمبري
محاضر بقسم الدراسات الإسلامية والشريعة
جامعة بايرو كنو – نيجيريا
elgambarimiyattiallah@gmail.com
+2347038521722

ملخص البحث

يعتبر تفسير عبد الله بن فوديي من الطراز الذي أتى بحظ وافر من الشروط التي لا بد منها للمفسر بأن يتخذها حدودا ومناهج لعمله، وكان فيه نوع واضح من الإلمام بتلك الفنون الخمسة عشرة إلماما بالغا كان غوره في ذلك بعيدا، ومتسعا في معرفة الأدلة وخلاصتها؛ اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع، وعلم القراءات، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والفقه وأصوله، والحديث وأصوله ثم علم الموهبة. وأما الجانب الذي يهم البحث في هذه الورقة بكثير في هذا كله فهو منهجه في التفسير باللغة بوجه خاص ليبرز لنا البحث طريقة المفسر ابن فوديي في العرض والتحليل للمعاني التي تفيدها الآيات القرآنية عن طريق توظيف بعض القواعد الهامة التي لا بد منها في هذه الصناعة، وذلك بالتقعيد والتقنين. والله ولي التوفيق.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ونبينا محمد وآله وأصحابه وسلم.

أما بعد:

فيعني الباحث بمنهج الأستاذ هنا طريقته الخاصة في العرض والتحليل للمعاني التي تفيدها الآيات القرآنية وهي الطريقة المؤدية إلى الكشف عن دقائقها بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير تفسيره، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة ملموسة. وبعبارة أخرى، فإن منهج الأستاذ تابع لنظام البحث وفق التنظيم لمعلوماته ومسائله التي يعالجها من خلال الآية. والمنهج عنده في التقعيد اللغوي للتفسير، العرض والتحليل، وضم المسائل بعضها إلى بعض ثم السعي أخيرا إلى إثبات المرجوح من الآراء المتضاربة، ويتسم أسلوبه بالصدق والأمانة العلمية لأنه أكثر في إسناد كل قول إلى قائله وكل حكم إلى الجهة التي صدر منها. غاية ما في أمره من ذلك البحث وراء الحقيقة في التأويل والتفسير والتقعيد، وفيما سنتناوله من البيان حول منهجه في التفسير باللغة من خلال تفسيره ما يبرر القول باتسامه بالرأي وإن كان مقصودنا بذلك الرأي المحمود الذي يستند حكمه في التفسير والتأويل، وفي الترجيح والتوضيح إلى أصول صحيحة يرجع إليها العلماء في تفاسيرهم اللغوية كما يأتي:

(1) منهجه في عرض القواعد المتعلقة بالنحو والتصريف

(2) منهجه في عرض القواعد المتعلقة بالأساس البلاغي
(3) منهجه في الاحتجاج بالشعر العربي في التفسير
وذلك كله بتفاصيله كالآتي:

المبحث الأول: منهجه في عرض القواعد المتعلقة بالنحو والتصريف

منهجه وطريقته في ذلك الأخذ والرد ويكفي دليلا علي ذلك كون الشيخ المولى أحمد بن إسماعيل الكوراني صاحب التفسير المسمي:"غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني" دعامة من الدعائم التي قام عليها تفسير الأستاذ بن فودي ومع ذلك يقومه في عدة مواقف لغوية،كما في رده عليه فيما ذهب إليه من أن "ذات" الواردة في قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ النمل: ٦٠، بأنها أفردت على إرادة جمعها كقولك النساء ذهبت. فقال الأستاذ معقبا علي هذا قائلا:

"...قاله في غاية الأماني قلت بل إفراد الوصف أفضل لا لإرادة الجماعة بل لكون حدائق جمع كثرة لغير عاقل فإفراد وصفه أفضل كما علم في النحو..."1

وكثيرا ما يحبذ انبناء تفسيره اللغوي على ما عليه جمهور أهل اللغة في توضيح معني الكلمة في القرآن كما صرح بذلك عندما يحاول التفريق بين الكتاب والسجل كما وردت الكلمتان في قوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ الأنبياء: ١٠٤، فقال:

"...كطي السجل"الصحيفة...والكتاب بمعني المكتوب وقيل ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه والأول قول الأكثر.2"

ومن المعلوم في علم التصريف أن الكلمة قد يتغير معناها بمقتضي ما يطرأ عليها من الزيادات، والأستاذ ابن فودي في تعامله مع عدة كلمات قرآنية يشبه بعضها بعضا في الشكل والصورة –كأفعل التفضيل مثلا- يسترعي انتباه القارئ لكتاب الله تعالى إلى مراعاة أمثال هذه الكلمات كي لا تنقلب الموازين على يدي المفسر فيعطي الكلمة معنى غير ما تفيده بناءا علي التشابه في الصورة وشكلها وهي ليست له أصلا ومعنى. مثال ذلك كلمة: "أحصى" من قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الكهف، فالكلمة كما تراها في شكلها وصورتها شبيهة باسم التفضيل، كما تشبه كلمة: "خيرات" من قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ الرحمن. نفس الاسم لكنهما في حقيقة أصلهما ومعناهما ليستا كذلك وقد يخيل إلى القارئ أن "الخيرات"جمع "خير" اللفظة التي تحمل صيغة أفعل التفضيل في وعائها فيفسرها على ذلك خطأ. والصحيح من ذلك كما ذكر الأستاذ:

"...والأصل خيرات مشددا فخفف لا جمع خير اسم التفضيل إذ ذاك لا يجمع هذا الجمع.3"

ومثال آخر في ذلك توضيحه المسألة مرة أخرى عند تفسير الآية: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ التوبة: ٨٨، حيث يقول:

"...وقيل الخيرات الحور لقوله تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ وهي جمع خيرة تخفيف خيرة.4"

أما كلمة "أحصى" المذكورة في سورة الكهف، فقد فسّرها بعضهم بمعنى أفعل التفضيل وردّ الأستاذ على من تورطوا في مثل هذه الهوة التفسيرية وضعفهم تضعيفا لا يرى الخير بعده في مجاذبة النقاش معهم في هذا المضمار؛ لأن محاولتهم في إلباس الفعل ثوب الاسم نوع من التكلف، كما يقول:

"...وأحصى فعل ماض... وأمدا مفعول به لأحـــصـــــى أيهم ضبط أمدا أوقات لبثهم... وقيل: أحصى أفعل تفضـيل وفيه ضعف وتكلّف بتطويل ما لا طائل تحته، ولذا أضربنا عنه"[5]

وقوله: هذا بالإضراب عن ما لا طائل تحته يشعر بنوع من أساليبه في عرض المسألة ومناقشتها، وفي تقعيد القواعد للتفسير والتوضيح وحب الاقتصار في ذلك كله تجنبا للجدل والتمنطق الذي يتخذه طائفة من المفسرين الكلاميين كالزمخشري الذي الذي أطنب الجدل في خصوص هذه المسألة إطنابا لا يعجب الأستاذ، فاختار لنفسه خير أسلوب هو الوسطية.

المبحث الثاني: منهجه في عرض القواعد المتعلقة بالأساس المعجمي

يعني ذلك طريقته في معالجة المنهج الصحيح لتحديد مفردات القرآن في المستويين المختلفين:

(1) مستوى الاستعمال العربي العام.
(2) ومستوى الاستعمال القرآني الخاص.

ولو أن الباحث لم يجد في المستوي الأول لضياء التأويل عزما قويا لأن خلاصة عرضه لهذا الجانب قائمة على جملة من التطبيقات للقواعد ذات الصلة به. وهذا الموضوع خارج عن نطاق هذا البحث. ولسوف يجد القارئ بعض الأمثلة لتلك التطبيقات للتدليل على ذلك في هذا البحث. وأما في المستوي الثاني فإن عرض الأستاذ للقواعد المتصلة به على درجة كبيرة من العزم حيث استطاع أن يقعد-كثيرا-في تفسير أصناف مفردات القرآن الكريم حسب أصولها وعلاقتها بالمعنى. والألفاظ التي في القرآن تنقسم إلى خمسة أقسام: 1- الألفاظ الأصيلة، 2-الألفاظ المعربة، 3-الألفاظ المتباينة، 4-الألفاظ المترادفة، 5-والألفاظ المشتركة. فالثلاثة من هذه الألفاظ هي مناط الاهتمام في الضياء. فالألفاظ الأصلية والمتباينة لم يتعرض لذكر شيء من قواعدها الأستاذ في هذا الكتاب حسب استقراء الباحث. ذلك لأن الأولى هي ما ارتجلتها العرب ونطقت بها قبل نزول الوحي وهي أكثر ألفاظ القرآن الكريم فلا إشكال عليها. ولأن الثانية هي ما وضع كل لفظ منها لمعنى، كالإنسان، والفرس، والطير، والماء، وهي كذلك أكثر ألفاظ اللغة العربية التي بها نزل القرآن الكريم، فلا كلام عليها.[6]

وهذا وجه آخر في منهجه من حيث تحرى الإيجاز في المسألة وخاصة إذا كانت وافية بالمقصود. ونبذ التحذلق في ما لا داعي إليه، والاهتمام بالأهم من كل الأمور واختيار أوسطها، وخير الأمور _ كما يقولون _ الوسط، وحب التناهي الغلط. وفيما يلي سنشير إلى جانب من هذا المنهج وأسلوبه في عرض بعض مسائل الأساس المعجمي من الحيثيات الثلاث المذكورة. التعريب، والترادف، والاشتراك.

ينهج الأستاذ في الأقسام الثلاثة منهج من يقر بوجود المعربة في القرآن ويسلك طريقة من يثبت وجود المترادفة فيه إلى حد ما، وعدمها فيه إلى حد كبير، بناءا علي تكرار قوله بعدمها في كثير من مفردات آيات الذكر الحكيم، وعلى قلة القول بوجودها فيها. ويذكر كذلك قواعد في المشتركة. كما في النماذج التالية:

تفسيره بتعريب كلمة: "صلوات" في قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ الحج ٤٠،"كنائس لليهود أصله صلوتا إسم للمصلي بالعبرانية فعرب.[7]"

ومن باب وجود الترادف وعدمه يقول عند تفسير الآية: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ النور: ٢٧، بما نصه:

"بالإستئذان والإذن استفعال من الأنس ضد الوحشة والمعنى يؤذن لكم، وضع الإ ستئذان موضعه لأنه يردف الإذن."[8]

وفي الآية: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ التكوير، بما يلي: "أقبل بظلامه في أوله أو أدبر في آخره وعسعس من الأضداد، وكلا المعنيين حسن،[12]"

وقد تم تفسيره وفق هذا الأسلوب لكثير من الألفاظ المشتركة والأضداد أو الأشباه والنظائر ككلمات: الغابرين[13]، والصلاة[14]، والإمام[15]، وأسروا،[16] ووراء[17] وغيرها.

المبحث الثالث: منهجه وأسلوبه في معالجة القواعد المتعلقة بالأساس البلاغي

لقد كان الأستاذ حريصا على إبراز ما في القرآن العظيم من قمة بلاغته العليا التي تعتبر في الكلام البليغ باعتبارات فنية مختلفة، وبلغ إلمامه بالتقعيد للجوانب البلاغية في تفسيره شأوا نعترف له فيه بالجودة، ومما نلمس له من ذلك بيانه عند تفسير الآية: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ يونس: ١٠٧ حيث يثير مسألة اختيار اللفظ المناسب لوصف كل من الضر والخير ويقرر وجوب مراعاة المفسر لذلك كقاعدة خلاصتها هي: اعتبار المقام في المقال.كما يقول:

> "...رجح جانب الترغيب حين آثر في الشر لفظ المس الدال على القلة والوصول إلى الظاهر فقط ولم يصرح بالإرادة وإن لم يكن إلا معها حتى كأنه واقع بالعرض،... وفي الخير لفظ الإرادة المطلقة الشاملة للظاهر والباطن وجعل المخاطب مرادا والخير تابعا وصرح بانه لا راد لذلك المراد لأنه واقع قطعا، وسماه فضلا إشعارا بالرأفة والعناية، وهذه نكت تعتبر في الكلام البليغ باعتبار المقام فى المقال[18].

ومن ذلك تفسيره الفني البلاغي الذي أخرج من خلاله قاعدة أخرى مفادها هي: وجوب مراعاة ائتلاف الألفاظ بالمعاني وائتلاف الألفاظ بالألفاظ في التفسير، الأمر الذي نتج له من ذلك ما سماه في توضيح قوله تعالى: چ ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ يوسف، تجاور اللفظ الغريب بالغريب للمعنى الغريب. ولنقرأ ما قال في ذلك:

"...في هذه الألفاظ من البدائع ائتلاف الألفاظ بالمعاني والألفاظ بالألفاظ، ولما كان ذكر يوسف في ذلك الوقت أغرب شيء أتى في ذلك بأغرب ألفاظ القسم وهو التاء وأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض، فتجاور اللفظ الغريب بالغريب للمعنى الغريب[19].

وبالإيجاز، فإن جملة ما تعرضت لها دراستي من ناحية قواعد التفسير بالأساس البلاغي بجملته في عملي برمته من خلال ضياء التأويل مقتصرة علي عدة موضوعات ذات الصلة بالمعاني والبيان، ففي المعاني أكثر الأستاذ من ذكر القواعد المتصلة بالخبر وخروجه عن مقتضي ظاهره والإنشاء وبعض موضوعاته من أمرٍ، ونهيٍ، واستفهامٍ، وترجٍّ، ونداءٍ. وبعض القواعد المشتركة بين الخبر والإنشاء كالفصل والوصل، والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والقصر والإيجاز والإطناب وما إلى ذلك. وفي علم البيان أسهب إشارته إلى القواعد المختصة بالمجاز والتشبيه والاستعارة ونحوها. وبالرغم من أنه تعرض لجوانب البديع في ضيائه فإن الباحث لم يتناول شيئا منها لأن الغاية المقصودة من هذه الدراسة أولا وأخيرا هي إبراز المعاني الكامنة في الآيات القرآنية لا إلى ما في الألفاظ القرآنية من التحسينيات اللفظية لفا ونشرا، جناسا وطباقا ومشاكلة وغير ذلك.

وعلى العموم، فإن الأستاذ يتحرى أسلوب التفويض في كل مسألة أعضل عليه تحليلها، مع الاعتراف بعجزه عن دركها فيقول بعد عرضها وتقديمها: الله أعلم. كقوله في تفسير الآية: چ و و ۉ ۉ ې چ (البقرة: ٣٥)

"وهو من قربه كسمعه وأما قرب منه؛ فهو لازم ككرم. ولم يذكر في القاموس قرب على وزن فعل بالفتح إلا قرب الإبل، ونحوها سارت ليلا لطلب الماء وكثيرا ما أرى في شروح الحديث كالقسطلاني وغيره يقربه بضم الراء ولا أدري هل هو من تداخل اللغات أو له مادة كنصر والله أعلم[20].

المبحث الرابع: منهجه في الاحتجاج بالشعر العربي في التفسير

يحتج الأستاذ في ضيائه كثيرا بالنصوص الأدبية اقتناعا منه بأن الشعر ديوان العرب، وأن فيه تاريخهم وآثارهم، وبه يفتخرون، ويمتدحون، ويرغبون، ويرهبون. والعرب –كما هو معروف- قوم وهبوا الفصاحة والبراعة في البيان، وفي الحديث "إن من الشعر حكمة."[21] والأستاذ ابن فودي في اقتناعه بذلك لم يكن بدعا وقد مضى سلف الأمة من المفسرين على الاحتجاج بأشعار العرب، وما قصة نافع بن الأزرق مع ابن عباس ببعيدة عن ذلك. وقد ذكرت عن ابن عباس أقوال كثيرة تدل على جواز ذلك في

تفسير القرآن الكريم، ولسوف يتم وقوفنا على ذلك بالتفصيل عند الحديث عن غريب القرآن في الباب الذي فيه تناول الباحث الدراسة عن الأساس المعجمي إن شاء الله تعالى. ومن هنا وجدنا للأستاذ ابن فودي صحة منهجه في التفسير بالشعر العربي في عصوره المختلفة، ويمكن إجمال المعاني والمسائل التي يحتج لها بالشعر في ضيائه في ما يأتي:

1/ شرح بعض ألفاظ القرآن وخاصة غريب ألفاظه. وفي هذا الميدان يوضح عدة ألفاظ قرآنية على ضوء ما ورد عن بعض شعراء الجاهلية في تفسيرها كالنابغة حيث يقول:

"تخوفهم حتى أذل ســـراتــهم = بطعن ضرار بعد نبح الصفائح[22].

وبقول أبي كثير حيث يقول:

"تخوف الرحل منها تامكا قردا = كما تخوف عود النبعة السفن.[23]"

وكل من البيتين إستشهد بهما لتبيين معنى الكلمة: تخوف.كما في الآية: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭽ النحل: ٤٧، وبقول الأعشى الجاهلي في تفسير عكس الكلمة: تعس الذي هو "لعن" ليتذوق القارئ معناها ويفهمها فهما صحيحا كما في الآية:" ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ محمد: ٨، حيث يقول:

" لحا الله قوما لم يقولوا لعائر = ولا لابن عم ناله الدهر لعلعا.[24]"

2/ بيان مسائل العقيدةالإسلامية، وفي ذلك يتحيز نظم عقيدة السنوسي الكبرى للشيخ محمد طاهربن إبراهيم فيرم الفلاني سطورا كثيرة في جزأين من أجزاء الضياء الأربعة كاستشهاده بالنظم عند بيان الآية: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭽ النساء: ٤٨، حيث يرى أنها نص في موضع النزاع إذ قوله: "لا يغفر أن يشرك به" مجمع عليه، وقوله: "ويغفر ما دون ذلك" ردّ علي المعتزلة والخوارج وقوله: "لمن يشاء"رد على المرجئة لبيانه أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن. فاحتج لذلك بأبيات فيرم كما يأتي:

"والــحــق فيه أنهم قسمان: = مــؤمــنهم وكافر، فالــثاني
مخــلد في النار بالإجــماع = و ذاك ضـــــربان بلا نزاع
محفوظ عمره من المعاصي = في جنة والخلف عنه قاصي
وغيره قسمان:ذو الصـغائر = لا غيــرها وصاحب الكبائر
إن تاب في الجنة قل هذان = والغير في مشيئة الرحمان[25]."

وله احتجاج متكرر في أماكن مختلفة غير ما ذكرنا بأبيات الشيخ فيرم الفلاني في العقيدة[26].

3/ تفهيم القارئ وجوه القراءات كما يروي عن الشاطبي في لاميته في معرض إيضاح ما ورد من القراءات في لفظ: أئمة، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ التوبة: ١٢ من تسهيل الهمزة الثانية وفق قراءة نافع وابن كثير، وبتحقيقها للباقين من القراء. ويقرر الأستاذ خطأ البيضاوي في رأيه بأن إظهار الياء لحن مستندا إلى صحة هذه

القراءة لأن هشاما قرأها بالإظهار، ولأن قوما من النحويين ذهبوا هذا المذهب وجاء في ذلك ببيت من أبيات الشاطبي ليعزز به مذهبه:

"وأئمة بالخلف قد مد وحده = وسهل سما وصفا وفي النحو أبدلا.[27]"

وهذا الذي نرى من احتجاجاته في العقيدة وعلم القراءات بالأبيات الشعرية المختلفة نوع من الشعر التعليمي على نحو ما عرف لدى الأدباء.

الخاتمة

لقد تبين من هذه الصور المصغرة من قواعد التفسير باللغة من خلال تفسير عبد الله بن فودي ضياء التأويل في معاني التنزيل أن المؤلف سلك في تأليفه منهجا مستقيما يجعل منه مصدرا يرجع إليه، وكتابا يعتمد عليه لما يحمله في أطوائه من المعلومات القيمة في ميدان التفسير. ذلك المنهج الذي يمثل خطوطا عريضة لا بد منها لدي من أراد التصدي لهذا العمل الخطير. وهي تتمثل في تلك الفنون الخمسة عشر من نحو، وتصريف، واشتقاق، وبلاغة بفنونها الثلاثة: المعاني، البيان والبديع. وحديث، وفقه، وأصول، وأسباب نزول، وقراءات وبقيتها...وتبين أنه اختار من بين منهج المفسرين ما عليه أكثرهم،فكان تفسيره تحليليا التزم فيه النظم القرآني والسير معه سورة سورة، وآية آية، وتناولها بالعرض والشرح والتحليل والبيان مع الإشارة إلى القواعد التي لا بد من الالتزام بها في التفسير من الأسس المتعددة وخاصة ما عليه مدار هذا البحث،وهو أربعة: معجمي، ودلالي، ونحوي ثم بلاغي.

ويستنتج من كل ما تمت الدراسة حوله في هذا البحث ما يأتي:

- إن عنوان الكتاب يعكس مضمونه، لأن ما عمل فيه مؤلفه جامع بين التفسير والتأويل، فالانسجام بين الشكل والمضمون بين،والترابط بينهما واضح.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام علي المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث ومراجعه

[1] - ابن فوديي، بن محمد، عبد الله: ضياء التأويل في معاني التنزيل، دار إحياء اللغة العربية، القاهرة، ط/2، ج/3، ص/176.

[2] - المصدر السابق، ج/3، ص/81

[3] - المصدر نفسه، ج/4ص/166.

[4] - المصدر نفسه، ج/2ص/91.

[5] - المصدر نفسه،ج/3ص/4

[6] - يونس، محمد، الكبير دراسات في أصول التفسير،دارالامة،كانو.الطبعة الثانية 1425هـ-2005م.ص/244.

[7] - ابن فودي، بن محمد، عبد الله: ضياء التأويل، المصدرالسابق، ج/3ص/93 وأمثلة ذلك كثيرة من الألفاظ التي قال بتعريبها. انظر: ج/4ص/97وج/1 ص/115.
[8]- المصدر نفسه، ج/3ص/124
[9]- المصدر نفسه، ج/2ص/34وراجع كذلك:ج/ص/128.
[10] -المصدر نفسه، ج/2/ص/128
[11] - ابن تيمية، بن عبدالحليم، أحمد: مقدمة في أصول التفسير، المصدر السابق، ص/50
[12] - ابن فودي، بن محمد، عبدالله: ضياء التأويل، المصدر السابق،ج/4ص/264.
[13] المصدر نفسه، ج/3ص/214.
[14]- المصدر نفسه، ج /3ص/243
[15] - المصدر نفسه، ج/2/ص215-216وج/2ص/259
[16] - المصدر نفسه، ج/ 2، ص/117
[17] - المصدر نفسه، ج/1، ص/ 42
[18] -المصدر نفسه، ج/2ص/127.
[19] -المصدر نفسه، ج/2ص/177
[20] - المصدر نفسه، ج/1ص/26
[21] - القزويني، بن يزيد، محمد: سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت لبنان، ط2، باب الشعر، 1387 ج/2 ص/410
[22] - السقا، مصطفى: مختار الشعر الجاهلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط4، ج1، ص: 147.
[23] - نسب هذا البيت الزمخشري في الكشاف إلى زهير بن أبي سلمى، وفي الأساس كذلك له، والحقيقة أن زهيرا ليس بهذلي، ونسبه صاحب اللسان إلى ابن مقبل، وكيف وقد قال الشيخ الهذلي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال شاعرنا فهو هذلي، ووقع في تفسير البيضاوي أن الشيخ الهذلي أجاب عمر بقوله: نعم، قال شاعرنا أبو كبير، وقال الخفاجي: البيت من قصيدة له مذكورة في شعر هذيل، فنسبة البيت إلى أبي كبير أثبت له في وصف راحلة أثر الرحل في سنامها فتقتص من وبره، والتامك: بكسر الميم: السنام المشرق، والقرد: بكسر الراء: المتبلد الوبر، والنبعة: قصبة شعر النبع تتخذ منه القسيّ والسفن. راجع: ابن عاشور، محمد الطاهر، بن محمد، التونسي: تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل السديد، من تفسير الكتاب المجيد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، ج12، ص: 134.
[24] - هذا البيت من إنشاد أبي عبيد عن أبي زيد كما ذكر ذلك الأزهري، راجع: الأزهري، بن أحمد، محمد، أبو منصور: تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص: 71.
[25] - المصدر نفسه، ج/3ص/186، وانظر: نظم العقيدة الكبرى للشيخ محمد الطاهر بن الشيخ إبراهيم الفلاني المالكي الأشعري البرناوي، المسمّى: "فيرمّ"، مطبوع على الآلة الكاتبة من البيت: 966 – 970.
[26] - ابن فودي، بن محمد، عبد الله: ضياء التأويل، ج3، ص:25، وص: 67، وص: 68.
[27] - سيد، لاشين، أبو الفرح، وخالد، محمد، الحافظ: تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط1، 1413هـ، ص/ 75.

الإعـجاز التشـريعي عند سيـد قطب

إعداد
دكتور شعيب مختار شعيب
مركز البحوث والدِّراسات القرآنية
جامعة بايرو، كنو
dooringim@yahoo.com

مقدمة:

يُعَدُّ الشـهيد سـيد قطـب (1906 – 1966م) مـن أعـلام النهضـة الإسـلامية فـي القـرن العشرين، ومن أوسعهم وأعمقِهم أثراً في مجـال الفكـر والحركـة. أقبـل علـى دراسـة القـرآن الكريم بعد رحلة طويلة قضاها مع أفكارٍ أرضية متضـاربة، وثقافـاتٍ متعـدِّدة، كـان أسـيرَها ردحاً من الزمن؛ فسعِدت المكتبـةُ الإسـلامية بنتاجِـه الثـريِّ المبـارك الـذي تفتَّـق عنـه فكـرُه وقلمُه. وقد كتب الله لفكره الانتشار والقبولَ، حتى لا تكاد تخلُو مكتبةٌ إسلامية من مؤلَّـف لـه، وقلما تجد مثقَّفاً أو داعية وليس له مطالعاتٌ في مؤلفاته[1].

وإن القارئ العاديَّ لما كتبه سيد قطـب قـد يظـن أن الإعجـاز القرآنـي لـم ينَـلْ حظَّـه مـن الدراسة عنـده، لأنـه لـم يُفْـرد الموضـوعَ بمؤلَّـف مستقِلّ؛ وقـد يحسـب الـبعض أن "نظريـة التصوير الفني" التي تمثِّل امتداداً للإعجاز البيانيّ، وأفقاً من أرقى آفاقِه هي كل مـا عنـده أو ما شابه ذلك، وأنه لا يُثبت للقرآن الكريم إعجازاً غير هذه الصورة. ولكنه، بعد إمعان النظـر في كتبه وخاصة "الظلال"، يتفاجأ بأن سيد قطب لا يرى الإعجـاز القرآنـي عامـاً لا يخـصُّ جانباً دون آخر فحسب، بل كانتْ له صَوْلاتٌ وجولاتٌ في شتَّى صوره وألوانِه، وخاصـة مـا يتعلَّق منها بالتشريع.

وتهدِفُ هذه المقالة إلى إبراز أهمية ومكانة الإعجاز التشـريعي مـن بـين مباحـث إعجـاز القرآن، ومدى عناية سيد قطب به (تنظيراً وتطبيقاً)، وإثبات عُمق الفكرة وأصالتها في فكـره من خلال طائفة من صورِه ومظاهره. علـى أنّ المكتبـة الإسـلاميّة خاليـةٌ عـن دراسـة جـادّة للعلماء القدامى حول هذا اللّون من ألوان الإعجاز، مع عمقـه وأصـالته[2]. وتفضـيلُ الإعجـاز البياني عليه راجعٌ إلى أنه الأصل، ومتوافرٌ في كل سورة طالت أم قصرت، بخلاف التشريع فإنّه متأخر نسبيًّا. ولكنَّ إعجاز القرآن يتحقَّقُ بهـذا كمـا يتحقـق بـذاك. وفـي الفقـرات التّاليـة يتجلّى ذلك بوضوح شديد، وأن سيد قطب من أشدّ العلماء المعاصرين عنايةً به.

مفهوم الإعجاز التشريعي:

تتجاذب المصدرَ الرباعي لمادة "عجز" ثلاثة معان لغوية، لا تخرج عن مدلولها الأصلي الذي هو الضعف وعدم القدرة، وهـي الفـوت، يقـال: أعجزنـي فـلانٌ أي فـاتني ولـم أدركـه؛ والسبق، يقال: أعجز فلان إذا سبق فلم يُدْرَك؛ وإثبات العجز، يقال: أعجـزه فـلان إذا صـيّره عاجزًا، وأثبت عدم قدرته على القيام بأمر مَّا[3]. ولا يختلف معناه الاصطلاحي عـن اللغـوي؛ إذ الإعجاز في لسان الشرعيين يعني إظهار صدق النبي ρ في دعوى الرسـالة بإثبـات عجـز الجيل المعاصر له والأجيال بعده عن معارضته في معجزته الخالدة، وهي القرآن[4].

وأما الإعجاز التشريعي فهو إثبات عجز البشرية قاطبة عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من تشريعات وأحكامٍ تتعلَّق بالفرد والأسرة والمجتمع في كافة المجالات، فضلاً عـن التفـوُّق عليه. فإن القرآن الكريم معجزٌ في نظمه وتشريعاته ومناهجه، معجز في النظـرة الكلّيـة إلـى

هذا الوجود، وفي النظرة الكليَّة إلى الإنسان، وفي النظرة الكلية إلى نظام الحياة الإنسانية، تلك النظرة الشاملة المتناسقة الصادقة، مع أن الذي أتى به رجلٌ أميٌّ نشأ في بيئة بعيدة عن مراكز الحضارة والتقدم، بل في أمة أميّة لا تكتب ولا تحسب. أتى به منذ أربعة عشر قرناً بأحكام غاية في السموّ والكمال، ولم تدنُ منها حتى الآن أحدث التشريعات الوضعيّة[5]. وهذا ما أكَّده سيد قطب قائلاً:

> "إن الذين يدرسون النظم الاجتماعية، والأصول التشريعية، ويدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن، يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية، ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدّخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومرونة... كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحدٌ، أو مجموعة العقول في جيل واحد، أو في جميع الأجيال"[6].

الصياغة القانونيّة:

إن الصياغة القانونية تتميّز عن غيرها بأنها دقيقة واضحة، وواضحة دقيقة؛ حيث إن البند الواحد قد يُقسّم إلى فقرات، وتستقلّ كل فقرة بتقرير الحكم الذي تستهدفه، ولا ينتقل من نقطة إلى أخرى إلا بعد استيفاء تلك النقطة، والإتيان على جميع الاحتمالات، والاستدراكات. وهو أرقى ما وصل إليه رجَال القانون في العصور الأخيرة[7].

وكان سيد قطب يرى أن الإعجاز التشريعي للقرآن يتجلّى بوضوح حتى في صياغته لآيات التشريع، فإنه يصوغها صياغةً قانونيةً دقيقةً واضحةً، فيها جميع خصائص التشريع والتقنين. بيد أنها سالمة من الجفاف الذي تتّسم به صياغات البشر، فإن الدقة المطلقة لا تطغى على جمال التعبير وطلاوته[8]. استمِعْ إليه، وهو يتحدث عن تشريع الدَّيْن، يقول:

> "إن الإنسان ليقف في عجب وفي إعجاب أمام التعبير التشريعي في القرآن، حيث تتجلى الدقة العجيبة في الصياغة القانونية حتى ما يبدّل لفظ بلفظ، ولا تقدم فقرة عن موضعها أوتؤخر، وحيث لا ينتقل من نقطة إلى نقطة إلا وقد استوفى النقطة التشريعية، بحيث لا يعود إليها إلا حيث يقع ارتباط بينها وبين نقطة جديدة يقتضي الإشارة إلى الرابطة بينهما"[9].

وكان سيد يشير إلى الآيات المصوغة صياغة قانونيّة، ويعلّق عليها مُجلِّياً وجه الدقة فيها، كما سيتجلى في النّماذج الآتية:

1. قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ [البقرة: ١٩٦]. إن الفقرة الأولى في الآية تتضمن الأمر بإتمام أعمال الحجّ والعمرة إطلاقا، متى بدأ الحاجّ أو المعتمر فأهلّ بعمرة أو بحج أو بهما معًا، وتجريد التوجّه بهما لله.

ويستدرك على هذا الأمر العام حالة الإحصار، وهي حالة استثنائية، بتقديم ما استيسر من الهدي. وبعد هذا الاستدراك من الأمر الأول العامّ، يعود السياق فينشئ حكماً جديداً عامًّا من أحكام الحج والعمرة، وهو عدم التعرض للشعر بالحلق أو القصر حتى يبلغ الهدي محله. واستدراكاً على هذا الحكم العام الجديد يجيء استثناء المريض أو من برأسه أذى يدعو إلى إزالة الشعر؛ على أن يتقدم بأحد أنواع الفدية الثلاثة. ثم يعود

السياق إلى حكم جديد عام في الحج والعمرة، وهو التمتع، وأن على من فعله الهدي لمن تيسر له ذلك. وقد لمس سيّد كل ذلك فعلّق قائلاً: "وأول ما يلاحَظ في بناء الآية هو تلك الدقة التعبيرية في معرض التشريع، وتقسيم الفقرات في الآية لتستقل كل فقرة ببيان الحكم الذي تستهدفه، ومجيء الاستدراكات على كل حكم قبل الانتقال إلى الحكم التالي"[10].

2. وعندما تحدث عن الآيات الواردة في تناول بعض أحكام الزواج، والمعاشرة، والإيلاء، والطلاق، والعدّة، والنفقة، والمتعة، والرّضاعة، والحضانة فقد أشار إلى طبيعة القرآن في معرض التشريع، وقد تضمنت هذه الآيات اثني عشر حكماً يلي كل حكم تعقيب أو تعقيبات مناسبة قال: "إن هذه الأحكام تُذكر بدقة وتفصيل.. لا يُبدأ حكم جديد حتى يكون قد فُرغ من الحكم السابق وملابساته، ثم تجيء التعقيبات الموحية بعد كل حكم، وأحياناً في ثنايا الأحكام"[11].

3. قوله تعالى: ﭽ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ[النساء: ٢٤]. فالنكاح حلالٌ من غير المحرمات المذكورة (وهن اللائي ورد ذكرُهن في الآية 23 وصدر الآية التي تليها)، بشرط دفع الصّداق على الهيئة المذكورة في الآية، ليخرج من يدفع ماله لشراء الأعراض من غير نكاح! قال سيد قطب:

> "ومن ثمّ قال ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼوجعلها قيدًا وشرطًا للابتغاء بالأموال، قبل أن يُتم الجملة، وقبل أن يمضي في الحديث. ولم يكتف بتقرير هذا القيد في صورته الإيجابية المثبتة: (محصنين) بل أردفها بنفي الصورة الأخرى: (غير مسافحين) زيادة في التوكيد والإيضاح في معرض التشريع والتقنين"[12].

وفي ظلّ هذه النّماذج يتّضح أن الإعجاز التشريعي يتجلى حتى في الصياغة القانونية، حيث تجتمع فيها جميع الخصائص والمزايا من الدقة، والوضوح، والتفصيل، والتقسيم، والاستيفاء.

صورٌ من الإعجاز التشريعي

إن تشريعات القرآن كلّها تتمتع بدرجة قصوى من السمو والكمال والإعجاز، لذلك لن أتوسع في نقل الصور، بل أكتفي بما يلقي بعض الأضواء على ذلك.

1/ تحريم الخمر

لقد نجح الإسلام نجاحاً باهراً في القضاء على ظاهرة شرب الخمر في المجتمع الإسلامي الأول، حيث امتنع المسلمون امتناعاً جماعياًّ عن تعاطي الخمور في المدينة المنوَّرة فور نزول الأمر الإلهيِّ بتحريمها[13] فيما أخفقت الولايات المتّحدة في محاولة ذلك رغم جهودها وتضحياتها وخسائرها الفادحة. يقول سيد قطب:

> "أما في أمريكا فقد حاولت الحكومة الأمريكية مرةً القضاءَ على هذه الظاهرة، فسنَّتْ قانوناً في سنة 1919، سمّي قانون "الجفاف" من باب التهكم عليه؛ لأنه يمنع الريّ بالخمر! وقد ظلّ هذا القانون قائماً مدة أربعة عشر عاماً، حتى اضطرت الحكومة إلى إلغائه في سنة 1932.

وكانت قد استخدمت جميع وسائل النشر والإذاعة والسينما والمحاضرات للدِّعاية ضد الخمر. ويقدّرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضدّ الخمر بما يزيد على ستّين مليوناً من الدولارات. وإنَّ ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على عشرة بلايين صفحة، وما تحمَّلَتْه في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدّة أربعة عشر عاماً لا يقِلُّ عن 250 مليون جنيه. وقد أُعْدم فيها 300 نفس، وسُجن كذلك 532،335 نفساً، وبلغت الغرامات 16 مليون جنيه، وصادرت من الأملاك ما يبلغ 400 مليون وأربعة بلايين جنيه. وبعد ذلك كله اضطرَّت إلى التراجع وإلغاء القانون. فأما الإسلام فقضى على هذه الظاهرة العميقة في المجتمع الجاهلي، ببضع آيات من القرآن"[14].

لقد أخفقت الولايات المتحدة وفشلت فشلاً ذريعاً، في حين كسب المنهج الرباني المعركة ببضع آيات من القرآن، وعلى مراحل، وفي تؤدة، دون حرب، ودون تضحيات، ودون إراقة دماء؛ أو كما قال أبو الحسن النّدوي (ت 2000م): "نزل تحريم الخمر والكؤوس المتدفقة على راحاتهم، فحال أمر الله بينها وبين الشفاه المتلمظة، والأكباد المتقدة، وكُسرت دنان الخمر، فسالت في سكك المدينة"[15].

وما من شك أن مقارنة بسيطة بين الحالتين تُظهر بوضوح شديد أن التشريع الذي جاء به هذا القرآن فوق الطاقة البشريّة، وأنه وحده العلاج الشافي للأدواء والعلل التي تعاني منها البشريّة. ونضرب صفحاً عن العوامل الأخرى التي يذكرها بعض الباحثين[16] في تعليل الإقلاع الجماعي عن تعاطي الخمور في المدينة المنورة؛ لأن العامل الذي سبقت الإشارة إليه يبقى هو سيّدَ الموقف.

2/ تحريم الرّبا:

إن الربا بلاء عظيم، وشرّ مستطير، لذلك حرمه الإسلام تحريماً قاطعاً، وتوعّد الذين لم ينتهوا عنه بحرب خطيرة من الله ورسوله، تلك الحرب التي تبدو ذات طرفين، وهي في الحقيقة ذات طرف واحدٍ. يقول سيد قطب عند حديثه عن حكمة القرآن في تحريم الربا والتفظيع الغليظ عليها:

"فهذه الحملة المفزعة البادية في هذه الآيات على ذلك النظام المقيت، تتكشف اليوم حكمتها على ضوء الواقع الفاجع في حياة البشرية، أشدّ مما كانت متكشفة في الجاهلية الأولى. ويدرك من يريد أن يتدبر حكمة الله، وعظمة هذا الدين، وكمال هذا المنهج، ودقة هذا النظام – يدرك اليومَ من هذا كله مالم يكن يدركه الذين واجهوا هذه النصوص أول مرّة، وأمامه اليوم من واقع العالم ما يصدّق كل كلمة تصديقاً حياً مباشراً واقعاً. والبشرية الضالة التي تأكل الربا وتوكله تنصب عليها البلايا الماحقة الساحقة؛ من جراء هذا النظام الربويّ في أخلاقها ودينها وصحّتها واقتصادها. وتتلقى – حقًّا – حرباً من الله تصب عليها النقمة والعذاب... أفرادًا وجماعات، وأمماً وشعوباً، وهي لا تعتبر ولا تفيق"[17].

إن تحريم الربا ليس إلا بعض أحكام القرآن الاقتصادية ذات التأثير الواسع النطاق، والتي لو طُبِّقت لأصبح الناس إخوة متحابِّين، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، ولا كيد ولا عراك ولا

خصام، مما يسعد النفوس المحرومة، ويكسو الأجساد العارية، ويشبع البطون الجائعة. وما أصدق قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [البقرة: ٢٧٩].

3/ طريقة الإثبات:

لقد شرَع الله I إجراءات معيّنة للإشهاد على الوصيّة في حالة الضّرب في الأرض، والبعد عن المجتمع، وأن هذه الإجراءات لازمة لضمان أداء الشهادة بالحق، وداعية للشهداء إلى تحرّي الحق، وذلك في قوله Y ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [المائدة: ١٠٦] إلى قوله تعالى: ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ [المائدة: ١٠٨].

لا شك أن لطبيعة المجتمع الذي نزلت هذه الأحكام لتنظيمه دخلاً في شكل الإجراءات، وطبيعتها، ولكن ذلك لا يعني أن هذه الإجراءات استنفدت أغراضها وفقَدَتْ فاعليَّتها، وأن هذه التشريعات انتهَتْ صلاحيّتُها، كَلَّا[18]!

إن تشريعات القرآن جاءت لكل الناس عرب وغير عرب، وعلى اختلاف عاداتهم وتقاليدهم، ولكل زمان ومكان، فجاءت جامعة تحكم كلَّ شيء، مانعة لا يخرج عن حكمها شيء، كاملة لا يعتريها نقص أو قصور. لقد جاءت بنصوصٍ عملية غنية بالمبادئ والنظريات التي تندرج تحتها تفصيلاتٌ ما قد يستجدّ من متطلبات الحياة ومتغيراتها مما يسدّ حاجة الفرد والجماعة في حينها وبعد ذلك[19]، أحكام من عند الله غير قابلة للتغيير والتبديل كما هو الحال في القوانين البشريّة؛ إذ ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [يونس: ٦٤]. ورغم ذلك فإن الحاجة إليها ملحّة وماسّة؛ لأنها من تشريع الخالق الذي لا تخفى عليه خافية، والذي هو أدرى دون سواه بما ينفع خلقه، ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [الملك: ١٤].

وهذا ما دعا سيد قطب إلى نفي ذلك الاحتمال بكل صراحة قائلاً: "ولقد تملك المجتمعات اليوم وسائل أخرى للإثبات، وأشكالا أخرى من الإجراءات، كالكتابة، والتسجيل، والإيداع في المصارف وما إليها. ولكن أوَ فقد هذا النصّ قدرته على العمل في المجتمعات البشرية"؟ واستطرد قائلاً: "إننا كثيراً ما نُخدع ببيئة معيّنة، فنظُنُّ أن بعض التشريعات، وبعض الإجراءات قد فقدت فاعليتها، ولم تعد لها ضرورة، وأنها من مخلفات مجتمعات مضى زمنها؛ لأن البشرية استجدت وسائل أخرى"!

لكننا حين ندرك أن هذه الوسائل المستجدّة غير قادرة على تلبية حاجات الشعوب البدائية والمتدرجة من البداوة، والتي هي الأغلبية الساحقة من البشرية، وكذلك حالات الطوارئ والضرورة حتى عند الأفراد من البيئات الراقية، يتجلى أن وسائل الإثبات التي أعدها هذا الكتاب هي – وحدها – القادرة على العمل في كل بيئة، وفي كلّ حالة، في البدو والحضر، في الصحراء والغابة. ويتوّج ذلك بتعليقه قائلاً: "إن هذه معجزة هذا الدين، ومعجزة شريعته، وآية أنّه من عند الله، وأنها من اختياره سبحانه"[20].

رابعاً: سبق القرآن في التشريع المدني والتجاري

سبق القرآن الكريم في أحكامه الفكر البشري الحديث في إثبات الالتزامات، فقد سنَّ الكتابة كوسيلة لإثبات الدين المؤجّل، صغُر هذا الدين أم كبر، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [البقرة: ٢٨٢]، ويقول تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ. ومن الناحية

القانونية يدخل تحت مدلولِ الدَّيْن كافةُ التصرفات من عقود وبيع ورهن وقرض وإجارة وعارية وغير ذلك.

ولقد استثنى القرآن الدَّيْن التجاريَّ من الكتابة: چۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ې ې ى ى چ. وعلة هذا الاستثناء أن التجارة تقوم على السرعة والتكرار والائتمان، واشتراط الكتابة قد يُعرِّض البائع للخسارة، أو يُضَيِّع فرصةً على المشتري. ولقد أخذت أحدث النظريات القانونية السائدة بهذه النظرية[21].

وفي مجال الإثبات أيضاً حرَّمت نصوصُ القرآن التشريعية شهادةَ الزور أو الامتناع عن أداء الشهادة فيقول الحق تبارك وتعالى: چں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ چ، ويقول سبحانه: چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ چ [البقرة: ٢٨٣]، ويقول جل ثناؤه: چ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ [النساء: ١٣٥].

وهذه النصوص القرآنية تُحرِّم كتمان الشهادة، كما تحرم الامتناعَ عن أدائها، وتُحرِّم أيضاً شهادةَ الزور. والقوانين الوضعية الحديثة، وإن حرمت شهادة الزور أو كتمان الشهادة، إلا أنها لم تَصِلْ بعدُ إلى تحريم وتجريم الامتناع عن تحمّلها[22]، مما يؤدي إلى تعقيد وعرقلة المعاملات وبُطْئِها. وقد اعترف الفقهاء المحدثون في الشّرق والغرب بأن التشريع الإسلامي سابقٌ في سَنِّ هذه المبادئ للتشريع المدني والتجاري بحوالي عشرة قرون[23]. يقول شبريل – عميد كلية الحقوق بفيينا -: "إن محمدًا الذي تفخر البشرية بانتسابه إليها استطاع أن يأتي بتشريع قبل بضعة عشر قرنا، سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي عام"[24].

خصائص التشريع القرآني:

لقد تمخّضت تلك النماذج التي تمّ استعراضها في الفقرة السابقة عن عدة خصائص ومزايا للتشريع القرآني، يسُتحسن الوقوف عندها، والتركيز عليها؛ لأنها تصبح كقواعد كليّة يندرج تحتها سائر الفروع والجزئيات. ولا يغيب عن بالنا، ونحن نتحدث عن هذه الخصائص أنها جميعاً منبثقة عن أصل عظيم، وهو أنه وحيٌ صادر عن الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. فمن هذه الخصائص:

1/ شمولية الرؤية:

إن من أخصّ خصائص هذا التشريع أنه يتمتع بإحاطة وشموليّة لا توجد في أي تشريع أرضي وضعي، ومن ثّم كان تشريعًا للبشرية جمعاء. وقد أشار سيد قطب إلى ذلك بقوله:

> "فهو يعالج النفس المفردة، ويعالج الجماعة المتشابكة بالقوانين الملائمة للفطرة المتغلغلة في وشائجها ودروبها ومنحنياتها الكثيرة، يعالجها علاجاً متكاملاً متناسق الخطوات في كل جانب، في الوقت الواحد، فلا يغيب عن حسابه احتمالٌ من الاحتمالات الكثيرة، ولا ملابسةٌ من الملابسات المتعارضة في حياة الفرد وحياة الجماعة؛ لأن مشرّع هذه القوانين هو العليم بالفطرة في كل أحوالها وملابساتها المتشابكة"[25].

فالتشريع القرآني ليس لجنس دون جنس، ولا لوطن دون وطن، ولا لعرقيّة دون عرقيّة، ولا لطائفة من الناس دون أخرى. كما أنه لا يُعنى بالعقيدة أو العبادة فقط، ولا يعمل على

نشر الآداب والفضائل فقط، أو يتهيّب من خوض ميدان المناهج والنظم، "ولكنه تشريع يضُمُّ ذلك كلَّه في نسق فريد، ونظم بديع"[26].

وبالمقابل نجد الرؤية النصفية هي التي تطغى على جميع التشريعات التي أنتجتها القرائح البشرية، تلك التشريعات التي لا تستمدّ من ذلك النّبع الإلهي الصافي؛ لأن صانعها هو الإنسان، ذلك المخلوق القاصر المحدود الخبرة؛ إذ ليس في مقدوره، مهما أوتي من طاقة عقلية، أن يستوعب حاجات المجموعة البشرية في مختلف أقطارها وأعصارها. وحتى لو قدّر له ذلك، "فإنّ النزعات النفسيّة المنحرفة تطغى على سلطان العقل، ولا يستطيع العقل أن يكبح جماحَها في كل حال"[27]. ونتيجة لذلك كلّه، فقد تُعالَج ظاهرةٌ فردية أو اجتماعية بدواء يؤدِّي بدوره "إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد"[28].

ولا أدلّ على صدق هذه الحقيقة من إخفاق الولايات المتحدة في فرض قانون "الجفاف" لمنع تعاطي الخمور على أراضيها[29]؛ لأنها رأت نصف الحقيقة وغاب عنها النصف الآخر، فلم تأخذ في الاعتبار سوى ما تسمح به الرؤية الجزئية. لكن التشريع القرآني، حين واجه نفس الظاهرة قبلها بقرون، حسَب لها أَلْفَ حسابٍ، وسلّط عليها رؤيته الكلية الشاملة، واستخدم جميع الآليات المناسبة للقضاء عليها، بدءاً بالأخذ بسنة التدرج، والضرب على أوتار الفطرة، إلى تلك الرعاية الضخمة على الصعيد الماديّ؛ ومن ثم كان نجاح الإسلام في القضاء على ظاهرة شرب الخمر حتماً مقضياً.

ولعل هذه الخصّيصة هي التي ارتاع منها جماعة من الملاحدة في مؤتمر المستشرقين عام 1954م، واضطروا إلى أن يقولوا إنَّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل فرد واحد، بل من عمل جماعة كبيرة، بعضهم داخل الجزيرة العربية وبعضهم خارجاها! "ولو أنهم احتكموا إلى المنطق السليم لما وسعهم إلا القول: إنه وحي رب العالمين"[30]؛ لأن النظام الذي جاء به القرآن أكبر من أن يحيط به عقلٌ بشرى واحدٌ، أو مجموعة العقول في جيل واحد، أو في جميع الأجيال.

2/ الثبات:

ومن خصائص التشريع القرآني أيضاً أنه ثابتةٌ أصوله ومبادؤه، لا تتغيّر ولا تتبدّل، مهما تطاولت الأزمان وتباعدت البلدان. فإنه لم يأت ليؤدي دوراً وقتياً، أو يحل مشكلة وقتية، ولكنه جاء ليؤدي رسالة الأجيال السابقة واللاحقة. فقد اكتفى التشريع القرآني بإرساء قواعد عامة هي المرجع الذي يُحتكَم إليه، ولم يحدّد طريقة خاصة للتطبيق، بل تركها لظروف كل مجتمع ومتقضياته التي تتغير بتغير الزّمان والمكان. ومصداق ذلك – في ظل النماذج السابقة – تحريم الرّبا[31]، فإنه، وإن تطورت أساليبه في العصر الحديث حتى أصبحت الصورة القديمة – بالنسبة إليها - لعبة صبيانية، إلا أن التحريم يمتدّ إلى جميع صوره وأشكاله المستجدة؛ فالأصول لا تتآكل ولا تتزايد.

3/ المرونة:

وهذا يعني أن تظل تلك الأصول دائمة العطاء؛ لأن التشريع القرآني، بالإضافة إلى ما سبق يتمتع بقدرة عالية على مواكبة ما قد يستجدّ من متطلبات الحياة ومتغيراتها مما يسد حاجة الفرد والجماعة في الحاضر والمستقبل، دون خروج عن أصل تلك المبادئ، وهذه مرونة التشريع القرآني وسمةٌ من سماته[32].

وهذا ما نلمسُه حين تحدّث سيّد قطب عن قانون طريقة الإثبات، فقد جلّى كيف أن القانون قادرٌ على تلبية حاجات الأمم البدائية والمتطورة، كلتاهما تجد فيه كفايتها؛ لأن وسائله معدّةٌ للعمل هنا وهناك، في كل بيئة، وفي كل حالة.

4/ التّوازن:

إن التشريع القرآني يوازن بين مصلحة الفرد والجماعة، فلم يترك الفرد تطغى مطامحه ومطامعه على الجماعة، ولم يترك كذلك الجماعة تطغى على فطرة الفرد وطاقته، أو تنال من نشاطه بتحطيم ميوله ونوازعه، كما كان الشأن في بعض النظريات الاقتصادية الحديثة، التي سمّوها اشتراكية وتقدمية، وأسبغوا عليها الكثير من الصفات، ثم أثبتت الأيام فشلها الفاضح الذريع، وضياعَ الشعوب التي أخذت بها[33].

ويأنف كذلك أن يحيل الحياة لقمة خبز، أو شهوة جسد، أو دراهم معدودة، بل قرر الكفاية لكل فرد، كلّ بقدر حاجته مما يجعل حياة الناس تعاوناً وتكافلاً لا حربَ فيها ولا نزاع ولا خصام. فإذا كان لا يقبل الهدنة في حربه الشعواء على النظام الربويّ، فإنه فتح لمبتغي الخير أبواباً كثيرة، شريطة أن تكون بعيدة عن أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [البقرة: ٢٧٩].

5/ السبق التاريخي:

بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ التشريع القرآني سابقٌ إلى سنّ قوانين عالمية تتيح للبشرية – أفراداً وجماعات ودولاً – التعايشَ السلمي. وقد بينت سبق القرآن للتشريعات الوضعية في مجال التشريع المدنيّ والتجاري[34]، وليس ذلك إلا واحداً فقط من الأمثلة الكثيرة.

خاتمة:

لعل مما سبق يتبين أن الإعجاز التشريعي لا يقِلُّ خطورةً عن الإعجاز البيانيّ في إثبات مصدر القرآن، وأنه وحي من الله تعالى، بل قد يكون أوسعَ مجالاً؛ لأنه يخاطب العرب وغير العربِ على حدٍّ سواءٍ، بينما الإعجاز البياني لا يدركُه إلا العربُ ومن هو في حكمِهم؛ وأن سيد قطب قد أولاه عنايةً خاصةً تتجاوز حدودَ التأصيل والتنظير إلى فضاء التطبيق والتدليل..

الحواشي والـمصادر

[1] شعيب، شعيب مختار، "الإعجاز القرآني عند سيد قطب"، بحث مقدم إلى قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو، كنو لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، 2008م، ص: 1 – 5.
[2] القرضاوي، يوسف، ثقافة الداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت, الطبعة السادسة، 1403هـ ص: 15.
[3] مصطفى، إبراهيم وآخرون المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، الطبعة الثانية، بدون تاريخ ج:2، ص:585.
[4] القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1421هـ، ص: 25.
[5] رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م، ج1، ص: 171 – 172.
[6] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط15، 1408ه/1988م، ج:3 ص:1785.
[7] Grisham, John, The Pelican Brief, Dell Publishers, New York, 2004, p. 96.
[8] قطب، سيد، المرجع السابق، ج1، ص: 334.
[9] نفس المرجع، ج1، ص: 334.
[10] نفس المرجع، ج1، ص: 194.
[11] ـ نفس المرجع، ج1، ص: 236.
[12] نفس المرجع، ج2، ص: 624.
[13] تدّرجت أحكام القرآن في تحريم الخمر، وذلك منعًا للمشقة على الناس، ولصعوبة تركهم لها دفعة واحدة، خاصة وأنهم كانوا في الجاهلية منغمسين فيها، حريصين عليها أشدّ الحرص.
[14] نفسه، ج2، ص: 663.
[15] الندوي، أبو الحسن علي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار ابن كثير، دمشق، ط66، 1420ه، ص: 124.
[16] بدري، محمد، حكمة الإسلام في تحريم الخمر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، برجينيا، ط1، 1416ه، ص: 21.
[17] قطب، سيد، المرجع السابق، ج1، ص: 318.
[18] نفس المرجع، ج3، ص: 994.
[19] مجلة الوعي الإسلامي، العدد: 247، رجب 1415ه، ص: 43.
[20] قطب، سيد، المرجع السابق، ج2، ص: 994.
[21] مجلة الوعي الإسلامي، المرجع السابق، ص: 43.
[22] الشعراوي، محمد متولى، معجزة القرآن، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ط2، بدون تاريخ، ج1، ص: 83.
[23] قطب، سيد، المرجع السابق، ج1، ص: 334.
[24] مجلة الوعي الإسلامي، المرجع السابق، ص: 42.
[25] قطب، سيد، المرجع السابق، ج4، ص: 2250.
[26] القرضاوي، يوسف، المرجع السابق، ص: 18.
[27] القطان، مناع خليل، المرجع السابق، ص: 267.
[28] قطب، سيد، المرجع السابق، ج4، ص: 2250.
[29] كما سبق في النموذج الأول من الفقرة السابقة.

[30] نفس المرجع، ج5، ص: 2195.
[31] كما سبق في النموذج الثاني والأخير من الفقرة السابقة.
[32] مجلة الوعي الإسلامي، المرجع السابق، ص: 41.
[33] نفس المرجع، ص: 40.
[34] كما سبق في الفقرة الثانية من هذه المقالة.

الكتاتيب القرآنية في ولاية زمفرا - ما لها وما عليها

إعداد:
تجاني الحاج ثاني
Department of Arts and Humanities,
School of Continuing Education,
Bayero University, Kano
tijjanisani73@yahoo.com
+2340832538513

الـمقدمة:

إن القرآن الكريم منبع الأصيل لسعادة الدارين، وهو المورد الذي لا يستغني عنه المسلم، ففيه الحكمة والموعظة الحسنة، والقصة المؤثرة، والكلمة الطيبة، وهو شفاء لصدور المسلمين على مر الدهور والعصور، فعلم القرآن من أشرف العلوم الإسلامية وأجلها على الإطلاق لكون موضوعه كتاب الله تعالى، وكان الاشتغال بالقرآن الكريم من أفضل العبادات سواء كان بتلاوته أو بتدبر معانيه أو بتعلُمه أو تعلِيمه.

وكان علماء زمفرا من الذين لعبوا دورا ملموسا في تعليم أبناء المسلمين قراءة القرآن، وفتحوا لأجله الكتاتيب القرآنية في المدن والقرى وانتشرت لذلك الثقافة الإسلامية في الولاية.

فهذه الورقة تهدف إلى إلقاء الضوء عن المدارس القرآنية المنتشرة في ولاية زمفرا، نشأتها، منهاجها، مساهماتها وما تواجهه من المشاكل مع تقديم ملاحظات لحلول لها.

قسم الباحث الورقة إلى مقدمة وخمسة نقاط على النحو التالي:

- نبذة تاريخية عن نشأة التعليم الإسلامي في نيجيريا
- المدارس القرآنية بعد دخول الإنجليز في نيجيريا.
- مساهمات المدارس القرآنية في نشر الثقافة الإسلامية في زمفرا
- المدارس القرآنية في ولاية زمفرا بين المشاكل والتحديات
- الخاتمة
- قائمة المصادر والمراجع

نشأة التعليم الإسلامي في نيجيريا

من الجدير بالذكر أنه لاتوجد دولة باسم نيجيريا قبل سنة 1914م، والذي هو المعروف إذ ذاك هو بلاد السودان التي تشمل أغلب ما يعرف اليوم بغرب إفريقيا. وسيستعمل الباحث هذا الإسم في المقالة ليدل على الموقع الجغرافي المعروف اليوم بنيجيريا.

التعليم الإسلامي في نيجيريا قبل الاستعمار:

إن الكتاتيب معروفة عند العرب قبل الإسلام، وهو يطلق على المكان الذي يتعلم فيه التلميذ الكتابة والقراءة ثم تطور إلى استعمال اسم الكتّاب بصيغة الجمع نظرا لكثرة من يكتب هناك من المعلمين والمتعلمين، وكان أولا يطلق عليه (مجلس الكتّاب) ثم حذف المضاف وبقي المضاف إليه وهو الكتّاب.[1]

وأما عن نشأة الكتاتيب في الإسلام فيرجع إلى أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه لما تولى الخلافة أمر ببناء المكتب إلى جانب المسجد النبوي وجمع فيه أولاد المسلمين، وكلّف عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازم الأولاد وأن يعلمهم بالرفق والعطف وأجرى عليه رزقه من بيت المال.[2] ولم يقف سيدنا عمر على هذا الجهد بل أمر ببناء المكاتب في سائر المدن الإسلامية بحيث يحضرها كل من أراد أن يتعلم الكتابة والقرءة والقرآن الكريم من الصغار والكبار، ولذا كانت تبنى بجانب كل مسجد صونا لحرمة المساجد أن يدنسها الصبيان عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم" [3]

الإسلام هو الدافع إلى نشأة المدارس القرآنية وانتشارها في نيجيريا، فالتاريخ يشير إلى أنها بدأت مع دخول الإسلام إلى أرض مملكة برنو القديمة ثم انتشرت إلى بلاد الهوسا فيما بعد، ولقد لعب الاتصال التجاري بين البلاد العربية وغرب إفريقية دورا فعالاً في دفع عجلة التلاقح الثقافي بما في ذلك انتشار الإسلام ومعه الكتاتيب القرآنية.

ولقد كان للصلة التجارية بين العرب وبلاد هوسا أثرا ملموسا في انتشار الدين الإسلامي وتعاليمه بما فيه من اللغة العربية والثقافة الإسلامية، لأن الإسلام أوجب على كل مسلم أن يطلب العلم، فكان لابد للمسلم أن يتعلم على الأقل ما يكفيه لآداء فرض عينه كأحكام الصلاة والصيام وغيرها.[4] وهكذا ظل التعليم فيما بين القرن العاشر والرابع عشر لم يتطور تطورا كبيرا ولم يخرج من إطار ضيق محدود ولعل ذلك يرجع إلى ما يراه الناس في ذلك الوقت أن العلم هو معرفة شيء من القرآن وما يكفي للمسلم أن يؤدي فرض عينه فقط، أو لأجل قلة العلماء الأكفاء والذين يحملون حركة العلم والتعليم قبل القرن الرابع عشر الميلادي.

وأما في القرن الرابع عشر إلى السادس عشر كانت هناك عوامل ساعدت في ازدهار حركة التعليم الإسلامي في نيجيريا ومنها: زيارة الوفود والأفراد لبعض المماليك، أمثال الوناغرة من مملكة مالي الذين نزلوا في حارة مَدَابُو (Madabo) وأسسوا مركزا علميا في مدينة كنو.[5] ومنها السفر إلى الحج: وكان المسلمون في نيجيريا يقومون بأداء فريضة الحج مع كونه شاقا جدا لأنه يستغرق عدة سنوات ذهابا وإيابا. وكان الحجاج هؤلاء يقومون بالتكسب في الطرقات إما بالتجارة أو الصناعة أو كليهما، ويقوم البعض بالتدريس خلال السفر كما يقوم بالتعلم إذا صادف من هو أعلم منه في الطريق.[6] ومنها زيارة بعض الفلانيين من مالي إلى بلاد الهوسا الذين نزلوا في كنو وأحضروا معهم كتب التوحيد واللغة. ومنها زيارة الأفراد أمثال الشيخ عبد الكريم المغيلي، والشيخ محمد زهرة[7] الذي جاء بكتاب الشفاء للقاضي عياض، وكتاب البخاري، والتف حوله العلماء وأخذوا عنه علم الحديث.[8]

ونتيجة لما سبق من زيازة الوفود والأفراد ووجود العلماء والكتب الدينية ومع كون الجو هادئا وصالحا للتعليم إضافة إلى رغبة الملوك والأمراء وطلبة العلم وغيرهم، تأسست أهم المراكز العلمية في هذه البلاد أمثال: مركز يَنْ دُوتُو، Yan Doto وبَرْنُو، Borno وكاتسِنَا Katsina، وكَنُو Kano، وزَكْزَكْ Zakzak، وغَزَرْغَمُ Gazargamu، وغيرها،[9] وعلى يد هذه المراكز ترعرعت رايات العلوم الإسلامية والعربية في هذه البلاد قبل قيام دولة صكتو الفودوية.

وفي القرن الثامن عشر قام الشيخ عثمان بن فودي بحركته الجهادية والإصلاحية في بلاد الهوسا والتي أعقبها حركة علمية شاملة.

أخذ الشيخ يحارب الجهل في بلاده وذلك لِمَا رأى من أن عقول الناس مملوءة بالخرافات، وأول ما قام به في ذلك هو إحياء قراءة القرآن وتعليم كتابته وحفظه وذلك لكونه مصدرا

أساسيا لتعليم كل العلوم والثقافة الإسلامية، فكوّن الشيخ جماعة (لجنة) تحت قيادة أخيه عبدالله بن فودي[10] للنظر في أمر القرآن الكريم واقترحت اللجنة طرقا مناسبة لتعليمه أولاد المسلمين إضافة إلى الطرق التقليدية الموجودة في بلاد الهوسا. ومن أهداف هذه اللجنة مايلي:

(1) تدريب العلماء قراءة القرآن بنطق صحيح مع إعطاء كل حرف حقه كما هو مكتوب في المصحف العثماني.

(2) الاهتمام بأمور العلماء والتلاميذ وإحياء مدارس القرآن في المدن والقرى التابعة لدولة سكتو.

(3) صيانة عرض العلماء والمهاجرين[11] الذين جاءوا من بلاد مختلفة.[12]

ولم يكتف الشيخ بهذا الجُهد بل أخرج منهجا خاصا له في التعليم والدعوة إلى الله تعالى، وهذا المنهج يشتمل على ما يلى:

أولاً: التدريس: وفي ذلك يخرج بعد صلاة العصر أوالعشاء للتدريس، ويعلم الناس القرآن وتفسيره وكذلك الفقه والتصوف وسائر الفنون الأخرى.

ثانيا: الوعظ والإرشاد: ومن دأبه في الوعظ والإرشاد كان يخرج كل ليلة الجمعة ويعظ الناس فيما فرض الله لهم من الشريعة والفروع الظاهرة والباطنة، ثم يردّ على أوهام الطلبة في التوحيد وسائر مسائل الفقية والتصوف وغيرها من المفاهيم التي تجب أن تصحح. وكان يحضر مجلس وعظه خلق كثير من الرجال والنساء.[13]

وهكذا كان شأن التعليم الإسلامي في القرن الثامن عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر يتطور تطورا هائلا وذلك بكثرة العلماء والتلاميذ وطلبة العلم والمعاهد العلمية وغيرها، والفضل في ذلك كله يرجع إلى الثورة التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي ضد الجهل في بلاد الهوسا بل في نيجيريا.

وكانت المدارس القرآنية في ذلك الوقت تتمتع بعناية فائقة من قبل الحكام والسلاطين، واحتل علماؤها مكانة مرموقة في المجتمع، وكان الأغنياء يقدمون مساعدات مالية لكل من المدرسين والتلاميذ، الأمر الذي يدل على عناية الأمة بشأن التعليم القرآن الكريم في ذلك الزمن،[14] وهذا قبل دخول الإنجليزيون في نيجيريا.

المدارس القرآنية بعد دخول الإنجليز في نيجيريا:

بدأ الاستعمار البريطاني لجزأ من بعض المناطق سنة 1861م وذلك عندما احتل الإنجليزيون مدينة لاغوس Lagos التي أصبحت العاصمة الأولى، ثم بعد ذلك بدأوا يتسربون داخل البلاد إلى أن سيطروا على مناطقها الجنوبية في سنة 1900م،[15] وبعد أن تمّ لهم ذلك بدأوا يفكرون عن استريتاجيات يتبعونها لاحتلال شمال البلاد ولكن العقيدة الإسلامية السائدة في الشمال حالت دون ذلك. يقول الشيخ آدم عبد الله الإلوري: "قام التبشير بعدة محاولات بالوسائل الجائزة والمستحيلة لكى يجد مدخلا لنفسه في عواصم برنو وكنو وزاريا وغيرها من بلدان الشمال، ولكن رسوخ قدم الإسلام بها وشدة محافظة أهلها على العقيدة الإسلامية وقفت حجر عثرة أمام التبشير ردحا من الزمان"[16] ومع ذلك ألح الإنجليزيون يتغلغلون في سائر البلاد الشمالية حتى تم لهم الاستيلاء على المناطق الشمالية سنة 1903م.[17] والجدير بالذكر أنه لما جاء الاستعمار البريطاني إلى نيجيريا حاملا في طياته كل الدسائس والمكائد العسكرية والفكرية لتنصير المسلمين وتغريب ثقافتهم وعاداتهم، رأى

البريطانيون (المستعمرون) أن السبيل إلى تحقيق غايتهم هو الأخذ بزمام التعليم، ومنذ ذلك الوقت بدأ البريطانيون يصبون جام عذابهم على المدارس القرآنية مستخدمين في ذلك كله الغزوات الفكرية المعادية للمدارس القرآنية. وإلى ذلك أشار الدكتور أحمد سعيد غَلاَدَنثِ بأن الاحتلال البريطاني قد أثر في التعليم الإسلامي في نيجيريا منذ وطئتها أقدام المستعمرين، ويتضح ذلك فيما يلي:

(1) أدرك المستعمرون أهمية اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فحاولوا بكل مالديهم من قوة أن يستبدلوها.

(2) وجد المستعمرون أن التلاميذ في المدارس القرآنية والمعاهد العلمية مثقفون بالثقافة العربية الإسلامية، يحيث يكتبون لغاتهم المحلية بالحروف العربية، وبها يتعلمون القراءة والكتابة، فاستبدلوها بالحروف اللاتينية.

(3) أسسوا مدارس جديدة في القرى والأرياف، يعّلمون فيها أولاد المسلمين القراءة والكتابة بالحروف اللاتينية، وأخرجوا منها مواد العربية والإسلامية، ولما انتبه المسلمون إلى ذلك جعلوها كمواد إضافية أو اختيارية، فأصبح التلاميذ ينظرون إليهما نظر احتقار واشمأزاز، فأصاب المادتين روح الجمود.[18]

ومن ذلك يتبين أن المدارس القرآنية قد بدأت في نيجيريا ببداية الإسلام وانتشرت على أيدي الوفود والأفراد الزائرين لهذه البلاد وترعرعت على أيد الملوك والسلاطين والعلماء، واكتملت على أيدي قواد الحركة الإسلامية الفودوية تحت قيادة الشيخ عثمان بن فودي، وهذا قبل أن يحرك كيانها الاستعمار البريطاني. ومع ذلك ما زالت المدارس القرآنية موجودة بنشاطاتها ومناهجها إذ أن عدد المدارس القرآنية ف عام 1960م في سكتو بما فيها من منطقة زمفرا يبلغ عددها سبعة آلاف ومائة وثلاثة وسبعون 7,173 مدرسة. [19]

المدارس القرآنية ومنهجها في التدريس:

ويطلق عليها في العرف المحلي الهوسوي ب (مَكَرَنْتَرْ أَلُّو Makarantar Allo) لأن الصبيان يتعلمون منها قراءة القرآن وهو مكتوب على اللوح، فهذه المدارس لها أهمية كبرى لدى المجتمع النيجيري وخاصة في الشمال، لأنه قلما يجد المرء ولدا أوبنتا لم تلتحق بها، إذ إن ضمير الأب لا يرتاح إلا بعد أن يدخل ولده أو بنته فيها.[20] ويرجع ذلك إلى غيرة المجتمع في الدين الإسلام و تأثرهم بتعاليمه، ومنها جاءت الآيات والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالحث على العلم الشرعي وبيان فضل تعلم القرآن وأثره في حياة الإنسان قال الله عز وجل: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ چ المجادلة: ١١ - ٢٢، ومن الأحاديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[21]ومنه أيضا: " الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء"[22] " وكقوله عليه الصلاة والسلام: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة".[23] وهذه النصوص كلها تدل على أهمية العلم وتعليم القرآن وشرف صاحبه.

فالكتاتيب القرآنية عبارة عن مكان مخصوص يجتمع فيه الصغار والكبار لتعليم قراءة القرآن وحفظه، وقد يحضرها الطلاب من مختلف الأماكن ومن البلاد القريبة والبعيدة، ولا يدرس فيها شيئا من العلوم سوى القرآن الكريم وحفظه، وتقع غالبا أمام البيوت والمساجد والساحات وغيرها، وقد تقع في خارج المدن والقرى حيث يبنى الطلاب بيوت من

الأخصاص والحشيش ويسكنونها ويذاكرون فيها القرآن ليلا ونهارا مع معاونة معلمهم إلى أن يحفظوا القرآن.

وأما طريقة التعليم فيها فإنها تبدأ متى التحق الصبي إلى المدرسة، وقد جرت العادة أنه بمجرد أن ترعرع الولد وبدأ الكلام يأخذه أبوه إلى الكتاتيب، فيبدأ المعلم بتلقينه سورة الفاتحة آية بعد آية ويستمر بذلك حتى يصل إلى سورة الفيل، وهذا قبل أن يكون قادرا على حمل اللوح والتعامل معه.[24] وأما إذا استطاع الولد أن يحمل اللوح بنفسه، فهناك يبدأ التعليم باللوح. وكان يحضرها الأولاد صباحا وظهرا ومساء.

انقسمت مراحل التعليمية في الكتاتيب إلى أربع مراحل:

- **المرحلة الأولى:** مرحلة حفظ قصار السور السالفة الذكر.
- **المرحلة الثانية:** مرحلة تعليم الحروف، وهي أن يكتب المعلم للولد الحروف الهجائية فيبدأ بكتابة حروف الاستعاذة أولا (**ا ع و ذ**... الخ) حسب قدرة الطالب غير مشكولة على اللوح ليتعلمها، فيقرأ له المعلم حرفا بعد حرف ثم ينصرف الولد إلى مكانه ويعيد القراءة مرارا وتكرارا حتى يجيد قراءتها بنفسه مميزا بين الحروف، ثم يُكتب له حروف البسملة، ثم حروف الفاتحة، وهكذا يستمر إلى سورة الفيل.
- **المرحلة الثالثة:** مرحلة تعليم الحروف المشكولة: وهي أن يتعلم الولد تلك الحروف وهي مشكولة بنفس الطريقة ليتعلم النطق بحروفها متصلة حتى يتقنها ويميز بين حركاتها من سورة الفاتحة إلى سورة الفيل.
- **المرحلة الرابعة:** مرحلة تعليم القراءة: وبعد أن فهم الولد الحروف بأشكالها واستطاع أن ينطق بها، فهنا يبدأ بالقراءة، فيعود إلى الأول ليتعلم نفس هذه السور بالقراءة وهي مشكولة، ثم يطالب بحفظها حتى يصل إلى سورة الأعلى، ومن العلماء من لا يبالي بمطالبة الحفظ، فيواصل التلميذ بقراءة السور وهي مكتوبة على ذلك اللوح إلى سورة النبأ، فيأمره المعلم بشراء لوح كبير لمجاوزته قصار السور، وهكذا يستمر الولد يتعلم الكتابة بنفسه فيريح معلمه عن الكتابة له، إلى أن يختم القرآن. فهذه الطريقة – كما يقول الدكتور علي أبوبكر- تأخذ الولد أربع سنوات أو أكثر قبل أن يختم القرآن كله،[25]وهذا في الستينيات وفي أوائل السبعينيات قبل أن يعتنق الآباء المدارس الابتدائية اللاتينية الحديثة ذلك النظام الذي جاء به المستعمرون. وأما اليوم فقد يستغرق الولد عدة سنوات قبل أن يختم القرآن لأنه يذهب إلى المدرسة الابتدائية الحديثة في الصباح ولا يحضر الكتاتيب إلا بعد العصر.
- **المرحلة الخامسة:** مرحلة الحفظ، فإن كان للتلميذ رغبة في حفظ القرآن فإنه يبدأ من جديد، فيبدأ بسورة البقرة فيكتب ثمن الحزب ولا يمسحه إلا إذا حفظه وأتقنه ثم يأذن له أستاذه بأن يكتب ثمن آخر وهكذا حتى يحفظ القرآن.

ومن الجدير بالإشارة إليه أن هذا النظام يعتمد على تلقي الولد العلم مباشرة من معلمه واحدا لواحد، حيث يتابع المعلم تلاميذه ويعّلم كلا منهم حسب مقدرته ومستواه، فلا يحتاج الطالب عددا معيّنا من السنين للتخرج بل يتقدم حسب قدرته. ويمكن للمعلم الواحد - بمعاونة الطلاب الكبار والمتقدمين- أن يشرف على نحو مائة فأكثر من الطلاب كل منهم في مستوى تعليمي مختلف عن أقرانه. ويختلف نظام هذه المدارس باختلاف الفترات الزمنية للمراحل التاريخية في هذه البلاد.

مميزات ومحاسن للمدارس القرآنية التقليدية المنتشرة في زمفرا:

كما جرت العادة أن المدارس القرآنية تفتح لأطفال المسلمين كى يحضرونها صباح مساء في بيوت العلماء أو الأئمة أو غير ذلك من الذين يعكفون على تلك المدارس، وهكذا يلازم التلاميذ المدرسة حتى يكملوا قراءة القرآن سردا من المصحف أو حفظا عن ظهر القلب. ومن ذلك يتبين لنا أن للمدارس مميزات ومحاسن نلحصها فيما يلي:

- إن الوسائل التعليمية المستخدمة في الكتاتيب تتمثل في اللوح والمداد والقلم وغيرها.
- هي مرحلة الأولية في تعليم الدين الإسلامي في المنطقة
- قد خرّجت الكتاتيب ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى من قراء القرآن وحفظته في المنطقة.
- إن المجتمع ينظر إلى المدارس القرآنية التقليدية نظرة إيجابية.
- يجلس التلاميذ في ساحة المدرسة جزافا، وكل تلميذ يكرر قراءة القرآن وهو مكتوب على اللوح على حدته بصوت مرتفع حتى يتقن درسه.
- إن أغلب الغرباء من التلاميذ هم الذين ينفقون على أنفسهم إما عن طريق العمل أو الكسب أو التسول في البيوت والطرقات.
- إن التلاميذ هم الذين يقومون بخدمة بيت الشيخ المدرس، فهم الذين يأتونهم بالماء المستعمل في البيت ويخرجون إلى الصحراء فيختطبون للبيت، كما يخرجون للعمل في الحديقة وغير ذلك من الخدمة.
- بعض المدارس القرآنية في زمفرا لا تسمح للتلاميذ أن يتسولوا، بل يشترط للأب أن يتحمل مسئوليات إبنه إبان كونه في المدرسة ومن أمثال هذه المدارس: مدرسة ضياء الدين لتعليم القرآن التي تقع في حارة كَاسُوَرْ كَنَاوَا، غسو.
- ليس هناك عدد من السنين للإلتحاق بها أو التخرج منها، فلأب حرية في أن يرسل ولده الصغير لم يجاور خمس سنين أو أقل من ذلك إلى بلد بعيد ليتعلُّم القرآن في الكتاتيب. وله أن يبقى فيها إلى ماشاء الله.

قلما تجد من الشيوخ المدرسين من يعرف عدد تلامذته، ولا أن يسجل أسماء تلامذته في ديوان خاص له.[26]

نماذج لبعض المدارس القرآنية في ولاية زمفرا:

انتشرت المدارس القرآنية التقليدية في المدن والبوادي التابعة لمنطقة زمفرا والتي تبلغ عددها أكثر من ألف مدرسة قرآنية،[27] ولذا يذكر الباحث نماذج منها على سبيل المثال والإيضاح. اختار الباحث في ذلك ثلاث مدارس من المدارس القرآنية الموجود في الولاية، وهي كالآتي:

الأولى: مدرسة القرآن الكريم للشيخ بلاربي غسو (مدرسة حزب الرحيم)

تقع هذه المدرسة في حارة بِرْنِنْ رُوَا في مدينة غسو العاصمة لولاية زمفرا، وكانت مدينة غسو من المدن التى أُسست بعد ظهور الشيخ عثمان بن فودي القائد العام للحركة الإصلاحية لتجديد الإسلام في نيجيريا على يد أحد قواده مالم محمد سمبو ابن الشفا (Sambo

(Dan Ashafa من قبيلة الفلاة الذين عرفوا ب (يَندُوتَاوَا) نسبة إلى قرية (يَندُوتُو) ومحمد سمبو هذا هو المؤسس لمدينة غسو.[28]

أما مؤسس المدرسة، فهو الشيخ محمد بلاربي بن السيد عبدالقادر بن الشيخ محمد دِدُورِ الغسوي. ولد في حارة قُوفَر مَانِي غُسَو يوم الإثنين من شهر رمضان سنة 1914م[29] وتعلم القرآن عند والده وختمه عند مالم أنْغُو، ثم ارتحل الشيخ يتعلم فنون العلم من جهابذة العلماء من عالم إلى عالم داخل زمفرا وخارجها أمثال مدينة كشنه وكنو وزاريا وسنغال وغيرها وأخيرا استقر به المقام في مسقط رأسه حيث أسس مدرسته المشهورة في غسو والتي سميت فيما بعد ب " مدرسة حزب الرحيم"، وتصدى للتدريس فيها حتى توفي رحمه الله عام 1988م.[30]

أسس الشيخ محمد بلاربي هذه المدرسة سنة 1377هـ بعدد قليل لم يجاوز عشر طالب، فبدأها في دهليز بيته قبل أن تتطور وتكون على صورتها الراهنة.[31]

ولما بلغت المدرسة أوج مجدها فكثر فيها الطلاب أمر الشيخ محمد بلاربي بفتح قسم تحفيظ القرآن، وذلك في 1975/4/27م.[32]

إنتاجات مدرسة حزب الرحيم:

لقد أسهمت مدرسة حزب الرحيم في خدمة القرآن بين المسلمين في زمفرا حيث تخر ج منها كمّا هائلا من قراء القرآن وحفاظه في منطقة زمفرا وخارجها. ولا يعلم عدد من ختم القرآن فيها إلا الله العليم الحكيم، وأما عدد من حفظ القرآن فيها بداية من تأسيس قسم التحفيظ إلى سنة 2012م فيبلغ عددهم 325 طالبا وطالبة.[33]

كما لعبت دورا كبيرا في إحياء مسابقة القرآن في زمفرا، ويتمثل ذلك في أن أحد طلابها السيد صادق صديق شارك في مسابقة القرآن الكريم الوطنية في العام 1996م فصار هو الفائز الأول في الفرع الثاني ستين حزبا مع التجويد. وكما فاز بالمنصب الأول في مسابقة ملك عبد العزيز العالمية القائمة في مكة المكرمة وذلك في العام 1997م. وعلى ذلك حُكم السيد صادق صديق قاضيا في مسابقة القرآن الكريم الوطنية في العام 2000م، وفي الأخير صار السيد صادق صديق قاضيا في مسابقة الملك عبد العزيز الدولية في مكة المكرمة وهذا في العام 2011م.

وممن رفع راية مدرسة حزب الرحيم السيد مرضى علي دبّاغي الذي شارك في مسابقة القرآن الكريم الوطنية في العام 2006م وفاز بقصب السبق في الفرع الأول، ستين حزبا مع التجويد والتفسير. الأمر الذي أعطاه فرصة المشاركة في المسابقة العالمية بمكة المكرمة حيث نال المركز الرابع منها.[34]

وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه المدرسة قد لعبت دورا ملموسا في دفع حركة تعليم القرآن الكريم إلى الأمام في داخل زمفرا وخارجها. ويقول أحد الباحثين إن لهذه المدرسة فروع لاتقل عن سبعين فرعا في نيجيريا والبعض في الدول المجاورة، ولم تزل تنشأ فروعا أخرى في كثير من البلدان النائية.[35]

الثانية: مدرسة الشيخ أحمد يَنْ بَبّقُو شنكافي

نشأت هذه المدرسة على يد العالم أحمد يَنْبَبّقُو[36] في بلد شنكافي، وهي من أقدم المدارس التي أسهمت بكثير في نشر الثقافة الإسلامية عن طريق تعليم قراء القرآن بين أبناب المسلمين في بلد شنكافي بل في شمال نيجيريا، وقد يأتيها التلاميذ من داخل زمفرا وخارجها كولاية كدونا وسكتو وغيرها، وقيل إنها تأسست منذ الأربعينيات في العام 1949م.[37]

وبعد وفاة مؤسس المدرسة، تولى رعاية المدرسة الأستاذ منير أول مُنْغَادِي أحد خريجي المدرسة، مع مساعدة بعض كبار الطلبة كمالم إدريس أبوبكر، ومالم بشير يعقوب شنكافي، وغيرهما.

ومن آثار هذه المدرسة أنها تخرجت قراء القرآن من داخل زمفرا وخارجا، منهم من واصل قراءته حتى حفظ القرآن، ومنهم من ارتحل إلى الحلقات العلمية ليتفنن في العلوم الشرعية واللغوية،كأستاذ يعقوب أحمد صاحب الحلقة العلمية في بلد شنكافي، ومالم عباس أبوبكر أحد علماء المدرسة حاليا، والأستاذ سراج يعقوب شنكافي المحاضر بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم بغسو، ولاية زمفرا.[38]

الثالثة: مدرسة القرآن للشيخ تَمبَـيَ سابون فِيغِ ظَافِي

يرجع أصل الشيخ تَمْبَـيَ إلى أرض كاتسنا لأن أباه من أبناء منطقة ريماي التابعة لمنطقة كاتسنا، تعلم الشيخ قراءة القرآن في أرض برنو وكنو، وأخير رجع إلى زمفرا وألقى عصا الترحال في مدينة ظافي، فنزل في حارة كتنغا حيث التف حوله التلاميذ لتعلُّم قراءة القرآن، توفي الشيخ وله من العمر سبع ومائة سنة.[39]

ويُعد هذه المدرسة من أقدم المدارس القرآنية التي أسهمت دورًا رائدًا في تدريب الشباب قراءة القرآن على منهج القديم المتعارف عليه في البلاد كما سبق ذكره.

وبعد وفاة المؤسس المدرسة تولى التدريس فيها العالم طلحة الذي سار على نهج المؤسس يدرس التلاميذ في كل أيام الأسبوع سوى يومى الخميس والجمعة، وبعد وفاته ورثه ابنه العالم بَلاَ طلحة مع مساعدة بعض كبار التلاميذ.

ومن أبرز خريجي هذه المدرسة الحاج لول تمبيا ظافي والحاج شيخ طن يارو ظافي وغيرهما.[40]

مساهمات المدارس القرآنية في نشر الثقافة الإسلامية في زمفرا:

لا غرابة إن قيل إن المدارس القرآنية التقليدية قد أسهمت ولا تزال تساهم في نشر مبادئ العلم والثقافة الإسلامية في منطقة زمفرا. ومن آثار ها على مجتمع الزمفري ما يلي:

- إنها أول مؤسسة قامت بتعليم أبناء المسلمين قراءة القرآن الكريم منذ أن طلع الفجر الإسلامي في المنطقة، وذلك من العسير أن تجد من تلامذتها من ليس له من القرآن ما يؤدي به الصلوات الخمس.
- تخّرج منها كثير من العلماء وحفاظ القرآن، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الأجلاء الذين تلقوا مبادئ العلوم منها ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الحلقات العلمية المختلفة في المنطقة.
- الطالب في المدارس القرآنية يتميز عن غيره من المدارس الإسلامية في فهم حروف القرآن وحركاته وكيفية قراءته دون صعوبة النطق بحروفه، بخلاف بعض حفاظ القرآن من المدارس الإسلامية الحديثة، فإنه قد تجد ولدا يحفظ نصف القرآن مثلا، ولكن لو أخذت المصحف وفتحت له وسط سورة المائدة مثلا ليقرأ لك لوجدته يضطرب، ذلك لأن

المراحل التي يمر عليها طالب الكتاتيب في تعليم الحروف وحركاتها تختلف عن غيرها من المدارس الإسلامية الحديثة.[41]

- إن المجتمع ينظر إلى حفاظ القرآن من المدارس القرآنية التقليدية نظرة إيجابية، فيقدمونهم في صلاة التهجد في رمضان ليؤموا الناس، كما يقدمهم بعض العلماء في مجالسهم لتفسير القرآن – في شهر رمضان أو في غيره - ليقرؤا لهم نصوص القرآن.
- إن المدارس القرآنية المنتشرة في منطقة زمفرا مفتوحة لجميع أفراد المجتمع من فقيرة أوغني دون تمييز.
- إن الحفاظ الذين كتبوا القرآن الكريم بخط أيديهم كلهم من خريجي المدارس القرآنية. ومما يؤكد ذلك قول الشيخ محمد بللو: "بل لا يوجد في هذه البلاد عامة إلا معتنون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه وكتابته.."[42]
- إنها تدرب التلاميذ على أسس الدين الإسلامي والتي تبنى عليها المراحل اللاحقة للتعليم الثقافة الإسلامية. وهي إذن من أهم معالم الثقافة الإسلامية في زمفر بل في شمال نيجيريا.[43]

المدارس القرآنية في منطقة زمفرا بين المشاكل والتحديات:

المشاكل والتحديات:

لاحظ الباحث بعد جمع المعلومات ودراستها أن المدارس القرآنية المنتشرة في منطقة زمفرا تواجهها بعض المشاكل التي تعرقلها وتحول بينها وبين تحقيق مقصودها، وهي كالآتي:

- إن النظام السائد فيها ليس قائما على أساس فصول دراسية ذات منهج كما هو القائم في المدارس الإسلامية الحديثة، بل هو قائم على منهج فردي يعتمد على تلقي الطالب للعلم مباشرة من أستاذه واحدا لواحد.
- عدم المقرر المتبع في تعليم القرآن الكريم، وذلك من التلاميذ من يختم القرآن في حدود خمس سنوات أو أقل من ذلك، ومنهم من يستغرق عدة سنوات إلى ما شاء الله.
- إن المدارس القرآنية المنتشرة في زمفرا قد فقدت عناية المجتمع كما فقدت عناية الحكومة في الآونة الأخيرة. فرجع تمويلها إلى علمائها الذين ليس لهم مصدر دخل معين، سوى القليل الذي يأتيهم من الهبات والصدقات والزكوات بين فينة وأخرى.
- عدم السكن للتلاميذ، هذا من الصعب جدا أن تجد مدرسة قرآنية فيها رواق موفرة للطلبتها، بل تجد بعضهم ينامون في دهليز المدرسة الضيق، أو في بيوت جيران المدرسة، أو تجد بعضهم ينامون في الطرقات، سواء في فصل الصيف أو الشتاء.
- إن التلاميذ في بعض الكتاتيب يعيشون في أسوأ حال، ذلك لأنهم يعتمدون على التسول للحصول على ما يعيشون به، فتجد بعضهم متجولين في الطرقات والأسواق وبيوت العامة، يمارسون شتى أنواع التسول ليحصلوا على فضلات الطعام، أو بعض الثمن الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. ولذا يرى بعض الباحثين إن هذا الوضع قد يسبب انحرافا في سلوك التلاميذ، حيث تجد بعضهم يتعاطون المخدرات، ويمارسون شتى أنواع الفساد الاجتماعي، فيشكلون خطرا اجتماعيا واقتصاديا وأمنيا.[44]

- ولعل هذه المشاكل وغيرها هي التي لاحظها أهل الأمصار في زمفرا وفضلوا في أن يسجلوا أبناءهم في المدارس الإسلامية الحديثة لا في المدارس القرآنية التقليدية، ذلك لأن ثمانين في المائة من تلاميذ مدارس القرآن حاليا هم من أبناء الريف يرسلون إليها إما لعدم من يقوم بتدريسهم القرآن هناك أولسبب من الأسباب.
- وعلى الرغم من كل هذه العراقيل والتحديات لم تزل هذه المدارس القرآنية تنتج عددا كبيرا من قراء القرآن وحفاظه في المنطقة.[45]

وإضافة إلى ما ذكرنا كانت هناك محاولة قام بها بعض العلماء من أهالى ولاية زمفرا لتجديد المدارس القرآنية والمدارس الإسلامية الحديثة وذلك في سنة 2000م فكوّنوا جمعية سمواها ب " مجلس مدرسي المدارس الإسلامية الاتحادي، ولاية زمفرا نيجيريا" ومن أهداف المجلس:

- إحصاء عدد المدارس القرآنية والمدارس الإسلامية الحديثة
- توحيد جهود مدرسي المدارس القرآنية والإسلامية الحديثة
- تغيير وضع المدارس ومناهجها ليوافق مع نظام المدارس العالمية الحديثة.
- منع التلاميذ من التسول وإجبار الآباء على الإنفاق على أولادهم إبان تسجيلهم في المدارس القرآنية وذلك لما لاحظوا من أن الدراسات القرآنية على نظام التقليدي وسيلة إلى التكسب بالتسول الذي يسبب انحرافا في سلوك التلاميذ.
- أن تتعاون المدارس القرآنية مع الحكومة في مساعدة المدارس والمدرسين ماديا ومعنويا.[46]

ولم يزل هذا المجلس يعمل ليلا نهارا ليحقق أهدافه. وكان عدد المدارس التي سجلت مع المجلس حاليا يبلغ 9,333 مدرسة.[47]

الخاتمة:

تقدم في صميم المقالة أن للمدارس القرآنية التقليدية دورا ملموسا في إعداد قراء القرآن وحفاظه، وهي بمنزلة المرحلة الأولية في تعليم مبادئ الدراسات الإسلامية في زمفرا، إلا أن منهج أكثرها لم يزل منهجا تقليديا منذ أول تأسيسها إلى اليوم، إضافة إلى ذلك إن وضع التلاميذ في المدارس القرآنية من الأسباب التي جعلت بعض أفراد المجتمع يفرون منها، ويفضلون المدارس الإسلامية الحديثة عليها. وعلى ذلك يقترح الباحث ما يلي:

يجب على العلماء إعادة تنظيم المدارس القرآنية من حيث الوضع والمنهج كي يوافق بنظام المدارس القرآنية الحديثة.

لازم على الآباء تحمل مسئوليات الإنفاق على أولادهم إبان دخولهم في المدارس القرآنية التقليدية، لأن ذلك يعطى للمدارس والتلاميذ فرصة ذهبية في تعميق الإلتزام بالقرآن الكريم عقيدة وسلوكا كما يعطي المدارس رواجا عند المجتمع برمته.

وعلى الحكومة أن تمد يدها في أمر المدارس القرآنية وخاصة في أمور الآتية:

- أن تدعم المدارس بمساعدة مالية تساعد في حل المشاكل التي تعانيها كعدم السكن والفصول الدراسية ومساعدة مادية للعلماء، مع إيجاد جهة تمويل مضمونة ومستمرة للمدارس.

- إعادة نظام المدارس وذلك بتأسيس لجان المراقبة والمتابعة والتي تسعى إلى تحقيق تحفيظ القرآن بتمييز وإتقان مع تعليم أحكام التجويد وتعليم التلاميذ بعض الصناعات والمهارات ليعتمدوا على أنفسهم بعد التخرج.
- ضمان استقلال هذه المدارس وإدارتها بعد إصلاحها عن سلطة الحكومة.

التكافل الاجتماعي، وأعني بذلك على جميع أفراد المجتمع حق في إعانة المدارس وحل مشاكلها بداية من الحكومة والأمراء والأقيال والتجار والمنظمات الخيرية والجامعات وانتهاء إلى الآباء.

ويتوقع الباحث أن الحلول المقترحة التي قدمها الباحث ستساعد في حل كثير من المشاكل بإذن الله تعالى. وبالله التوفيق.

المصادر والمراجع:

- آدم محمد أبوبكر، (الدكتور): مشروع تطوير المناهج التقليدية لتعليم القرآن في نيجيريا: ماله وما عليه، ورقة قدمها في المؤتمر الدولي في القرآن الكريم الذي نظمه المركز البحوث والدراسات القرآنية بجامعة بايرو كنو نيجيريا فيما بين 12-14 أغسطس 2015م.
- أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني،سنن أبي داود، دار الفكر.
- الإلوري، آدم عبد الله (1978): الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، الطبعة الثانية، بدون مطبعة
- ..... (2014م): نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، مكتبة وهبة.
- ..... (2012): الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (1987) الجامع الصحيح المختصر، الطبعة الثانية، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.
- تلات مفرا، محمد عيسى، (2012): تاريخ موجز عن الحركة الإسلامية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي، دار الأمة، كنو- نيجيريا.
- على أبوبكر، الدكتور، (2014): الثقافة العربية في نيجيريا من عام 1750 إلى عام الاستقلال، دار الأمة للوكالة المطبوعات، كانو- نيجيريا.
- غَلاَدَنْثِ، غلادنث، شيخو أحمد سعيد، (1982): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف.
- الحاج، ثاني تجاني (2013): دور العلماء في مجال التفسير في ولاية زمفرا، مدينة غسو نموذجا، رسالة الماجستير، غير مطبوعة، قسم الدارسات الإسلامية والشريعة، جامعة بايرو كنو- نيجيريا.
- الحافظ، محمد سنوسي بن الشيخ بلاربي غسو وآخرون، تاريخ تأسيس حفظ القرآن الكريم، مدرسة حزب الرحيم غسو، تلامذة الشيخ إبراهيم، زاوية الشيخ بلاربي غسو، بدون تاريخ الطبع ولا سنة الطبع.

- موداثي، محمد صالح (2003): دور مدرسة حزب الرحيم في نشر الثقافة العربية وآدابها في ولاية زمفرا، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية، لنيل درجة اللسانس، جامعة بايرو، كنو- نيجيريا.
- محمود، طه محمد، دروس في تاريخ الإسلام، الجزء الأول، مكتبة التجارية الكبري، ص: 12
- مفرا، سراج موسى،:(2004) حركة التعليم الإسلامي العربي في زمفرا من سنة 1960 إلى 2001، رسالة الماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي، سكتو – نيجيريا.
- مجلس مدرسي المدارس الإسلامية الاتحادي، ولاية زمفرا نيجيريا، وثائق فيها إحصائيات لمدارس القرآنية في زمفرا.
- قريب الله الشيخ ناصر كبرا، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة صكتو العاصمة العليّة، المكتبة القادرية- كنو- نيجيريا
- مقابلة شخصية مع رئيس مجلس مدرسي المدارس الإسلامية الاتحادي، أستاذ بللو إسماعيل أسَكُو، في مركز المجلس، بمدرسة ضياء الإسلام، حارة سوق كناوا، غسو، بتاريخ 2016/02/03
- مقابلة شخصية مع أستاذ سراج يعقوب شنكافي، (عمره 44) المحاضر بكلية الآداب والعلوم بولاية زمفرا، بتاريخ 2016/11/23
- مقابلة شخصية مع إسماعيل حسين يَنْ كُذُو، ظَافِي ظَافِي (عمره 59) بتاريخ 2016/11/24

- Iguda S. K/Nasarawa،(2006): Tsarin Tsangayun Alqur'ani A Arewacin Nigeria, NPP.
- Anka, yusha'u Muhammad,(2007) A Case of the Creation of Zamfara State out of Present Sokoto State, Idris Printing Co. ltd. Gusau, P: 1
- Gusau B. M & S.M, (2012): Gusau Ta Malam Sambo,Polygraphics ventures Limited, Ibadan P: 100

الهوامش:

[1] الإلوري، آدم عبد الله، (2014م): نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، مكتبة وهبة، ص: 35

[2] المرجع السابق ص:35 - 36

[3] أخرجه أبوداود، باب ما يكره في المساجد، 247/1

[4] على أبوبكر، الدكتور، (2014): الثقافة العربية في نيجيريا من عام 1750 إلى عام الاستقلال، دار الأمة للوكالة المطبوعات، كانو- نيجيريا، ص: 181

[5] الوناغرة: اسم يطلق على مجموعة من القبائل التي سكنت في منطقة واسعة بين السنغال والنيجر ومالي، قيل مأخوذة من ونغرا وهو البلد الذي اشتهر بكثرة الذهب وجودته في القرون الغابرة، ويقع في ضفة الغربية لنهر السنقال وكانت تحت مملكة مالي حينما هاجر الوفد إلى كنو. راجع: غلادنث، المرجع السابق ص: 45 وانظر أيضا: نور ثاني، (2013): دور العلماء والمعاهد العلمية في نشر الفقه المالكي في كنو 1960 -2010م ص: 25

[6] غلادنث، شيخو أحمد سعيد، (1982): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف، ص: 73

[7] وهو المعروف ب (مَيْكَرغُو Maikargo) قدم من برزور وهي قرية بمدينة فغيغ من أقاليم تونس. وكان رجلا صوفيا تقيا، صبور على البلوى، أسس دراسة الحديث وسائر الفنون بأسانيدها، وهو فريد عهده في الحديث وأصوله. راجع: قريب الله، الرسالة الجليلة، ص: 39

[8] قريب الله الشيخ ناصر كبرا، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة صكتو العاصمة العليّة، المكتبة القادرية- كنو- نيجيريا، ص: 40 - 41

[9] نفس المرجع، ص: 24- 25

[10] وهو الشيخ عبد الله بن فودي، ولد سنة 1171هـ أخذ العلم عن أخيه الشيخ عثمان بن فودي، وعن جملة من علماء بلاده، وتبحر في العلوم حتى لقبه معاصروه بنادرة الزمان، وله من المؤلفات ما ينيف على مائتين، منها: "ألفية الأصول" و" البحر المحيط في النحو"و " الحصن الرصين في التصريف" و "ضياء التأويل في التفسير" و "ضياء السياسة"و " مفتاح التفسير" و" توبين الورقات". وتوفي سنة 1244هـ وله ثلاثة وسبعين سنة. راجع: الإلوري، آدم عبد الله، المرجع السابق، ص: 64

[11] ويطلق على المهاجر كل من ترك بلده إلى بلد آخر لتعليم القرآن دون غيره

[12] Sunusi، I. K/Nasarawa المرجع السابق P:14 - 15

[13] الإلوري، آدم عبد الله (1978): الإسلام في نيجيريا، الطبعة الثانية، بدون مطبعة ص:105

[14] آدم محمد أبوبكر، (الدكتور): مشروع تطوير المناهج التقليدية لتعليم القرآن في نيجيريا: ماله وما عليه، ورقة قدمها في المؤتمر الدولي في القرآن الكريم الذي نظمه المركز البحوث والدراسات القرآنية بجامعة بايرو كنو نيجيريا فيما بين 12-14 أغسطس 2015م، ص: 3

[15] غَلاَدَنْثِ، شيخو أحمد سعيد، (1982): المرجع السابق، ص:89

[16] الإلوري، آدم عبد الله، (2012): الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، ص: 61

[17] غَلاَدَنْثِ، المرجع السابق: ص: 89

[18] المرجع السابق، ص: 92

[19] على أبوبكر، الدكتور، (2014): المرجع السابق، ص: 564

[20] على أبوبكر، الدكتور، (2014): الرجع نفسه، ص: 185

[21] أخرجه البخاري، برقم 4739.

[22] أخرجه الطبراني في مجمع الزوائد، برقم 20964

[23] أخرجه ابن ماجه، برقم: 223.

[24] وهذا عند ما كان ابن سنتين ونصف إلى خمس سنين

[25] على أبوبكر، (2014): الثقافة العربية في نيجيريا من عام 1750 إلى عام الاستقلال، دار الأمة للوكالة المطبوعات، كانو- نيجيريا، ص:186

[26] ملاحظات الباحث بعد دراسات ميدانية قام بها في العام 2014 - 2016

[27] أوراق فيها إحصائيات لمدارس القرآن في زمفرا، وجدتها من رئيس مجلس مدرسي المدارس الإسلامية الإتحادي، ولاية زمفرا نيجيريا، وذلك بتاريخ 2016/02/03

[28] راجع محمد بللو والدكتور سعيد محمد غسو، Gusau Ta Malam Sambo (1984)

[29] مفرا، سراج موسى، (2004): المرجع السابق، ص: 94

[30] ثاني تجاني، الحاج، (2013): دور العلماء في مجال التفسير في ولاية زمفرا، مدينة غسو نموذجا، رسالة الماجستير، غير مطبوعة، قسم الدراسات الإسلامية والشريعة، جامعة بايرو كنو، ص: 85

[31] موداثي، محمد صالح (2003): دور مدرسة حزب الرحيم في نشر الثقافة العربية وآدابها في ولاية زمفرا، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية، لنيل درجة اللسانس، جامعة بايرو، كنو- نيجيريا، ص: 16 - 18

[32] المرجع السابق والصفحة نفسها.

[33] الحافظ، محمد سنوسي بن الشيخ بلاربي غسو، المرجع السابق، ص: 5 - 15

[34] المرجع السابق، ص: 7

[35] موداثي، محمد صالح (2003): المرجع السابق، ص: 63

[36] هو عالم كبير، عاش في بلد شنكافي، وساهم في نشر قراءة القرآن فيها، وتوفي رحمه في العام 2001م

[37] ذكر ذلك أحد خريجي المدرسة من الدفعة الأولى أستاذ يعقوب أحمد، في مقابلة معه في حارة يَنْبَبّقُو شنكافي، بتاريخ 2016/11/23

[38] مقابلة أجراها الباحث مع أستاذ سراج يعقوب شنكافي، (عمره 44) المحاضر بكلية الآداب والعلوم بولاية زمفرا، بتاريخ 2016/11/23

[39] مقابلة أجراها الباحث مع إسماعيل حسين يَنْ كُذُو، (59) ظَافِي بتاريخ 2016/11/24

[40] مقابلة أجراها الباحث مع إسماعيل حسين يَنْ كُذُو، ظَافِي بتاريخ 2016/11/24

[41] تجربة قام بها الباحث بين بعض المدارس القرآنية التقليدية وبعض المدارس الإسلامية الحديثة وذلك في سنة 2016م

[42] بللو، محمد، الإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص:9.

[43] ملاحظات الباحث بعد جمع المعلومات و دراستها 15/ 1/ 2016

[44] آدم محمد أبوبكر، (2015): مشروع المناهج التقليدية لتعليم القرآن الكريم في نيجيريا: ماله وما عليه. ورقة قدمها في المؤتمر الدولي لتكريم الخليفة الشيخ محمد رابع خادم القرآن، الذي نظمه مركز البحوث والدراسات القرآن، جامعة بايرو، كنو، ص: 8

[45] ملاحظات الباحث بعد جمع المعلومات و دراستها 15/ 1/ 2016

[46] مقابلة أجراها الباحث مع رئيس المجلس أسناذ بللو إسماعيل أسَكُو، (عمره 45)في مركز المجلس، بمدرسة ضياء الإسلام، حارة سوق كناوا، غسو، بتاريخ 2016/02/03

[47] أوراق فيها أسما المدارس المسجلة مع المجلس، وجدتها من سكرتير المجلس أستاذ لولى غرب بخاري، وذلك بتاريخ 2015/2/5

الترغيب والترهيب في الخطاب الدعوي القرآني

الدكتور إبراهيم محمد حسن
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري
و
طاهر غوني إدريس النابيم
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري

الملخص:
إن من الأهم الأساليب في الدعوة إلى الله تعالى ذلكم الأسلوب الذي يعرف قدر المخاطب فيخاطبه حسب عقليته وفهمه بحيث يزداد المحاطب معرفة بسعة الإسلام والخطاب القرآني يخاطب عقول البشر وفكرهم ومدى بصيرتهم عندما يخبرهم عن الجبال وكيفية نصبها، التي تدل على قدرة الخالق تبارك وتعالى وعظمته، والأرض كيف سطحت، دلالة على الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من عند الله تبارك وتعالى، وهذه أسمى أساليب الدعوة في القرآن للعقول البشرية.
وبما أن استمرارية الرسالة الخالدة تشتمل الأساليب في الدعوة فإن فالخطاب الدعوي جامعة عامة فيها كل التخصصات، فقد تتميز كل جامعة بما يتخرج منها منتسبوها ومدى أسلوبها في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، فأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي يقوم عليها الخطاب القرآني في دعوة الناس إلى عبادة رب الناس، ويكون الأسلوب دائما يدعو الإنسان إلى التعقل والتفهم، وأخذ العبرة والاقتداء بمنهج الحق في كل الأمور، من هنا فإن هذه الورقة تتناول مبحثين وخاتمة، الأول حول مفهوم الخطاب الدعوي القرآني، والثاني حول أساليب الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني، ثم الخاتمة.

الـمبحث الأول: حول الخطاب الدعوي القرآني

لقد كثرت في الآونة الأخيرة عقد مؤتمرات وندوات حول تجديد الخطاب الإسلامي، على مستويات مختلفة بين فئات متباينة، وتسعى كل فئة توضيح أن الإسلام دين التجديد والتسامح مع الآخر، خاصة مع الغرب المتقدم، وتقوم فلسفة التجديد سواء في شكلها القديم المتمثل في (مدرسة محمد عبده الإصلاحية) أم في صيغتها الحديثة على نوع من الحوارية المضمرة أو الظاهرة ما بين الشرق الإسلامي، والمدنية الغربية الحديثة، هذه الحوارية هي الخلفية الرابضة وراء تزامن دعوة التجديد مع انفتاح المجتمع الإسلامي على الحضارة الغربية الحديثة[1]، ومع أن هذا جزء من الصورة العامة للمشهد التجديدي الاصلاحي من ارتفاع زمني يقارب مئة وخمسين عاما، فإن الحقيقة التي تسعى هذه المقالة إلى إبرازها في هذه السطور هي توضيح منهج الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني من خلال الأسلوب الذي دعى به القرآن الكريم أتباعه، خاصة أسلوب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع كفار قريش.

إن الحديث عن الخطاب الدعوي القرآني يجرنا إلى تحديد مفهوم الدعوة ومفهوم الخطاب، والاحاطة بالترغيب والترهيب في الخطاب الذي سلكه الأنبياء والمرسلين مع المدعووين، والذي يعد المنهج الأساسي في تبليغ الرسالات بالحكمة والمواعظ الحسنة.

أولا: مصطلح الدعوة:

لغة من الفعل دعا إلى الأمر دعاء رغب فيه وقرب إليه،[2] وقد جاء في لسان العرب تداعى القوم دعا بعضهم بعضا[3]، وجاء في مختار الصحاح في مادة د ع الدعوة إلى الطعام بالفتح يقال كنا في دعوة فلان و مدعاة فلان وهو مصدر والمراد بهما الدعاء إلى الطعام و الدعوة بالكسر في النسب والدعوى أيضا هذا أكثر كلام العرب،[4]وورد في معجم متن اللغة دعوةً ودِعوةً ودعاوَة ودِعاوة: صبره في غير نسبه والاسم الدِّعوة.[5] ويرد مفهوم الدعوة بمعنى الدعاء والرغبة إلى الله تعالى، ودعا دعاء ودعوى والدعاءة السبابة وهو مني دعوة الرجل أي قدر ما بيني وبينه ذاك ولهم الدعوة على غيرهم أي يبدأ بهم في الدعاء، وتداعوا عليه تجمعوا، ودعاه ساقه، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله، ويطلق على المؤذن[6] أيضا داعية لأنه ينادي الناس للصلاة، وأشار الدكتور عبد رب النبي علي أبو السعود بقوله أن الدعوة لغة هي نداء وشهادة ورغبة إلى الله تعالى.[7] والدعوة تأتي بمعنى التبليغ اسم من الفعل دعا.[8] ثم إن كلمة الدعوة تفيد لغويا المحاولات القولية والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل،[9] ويعرف كتاب الدعوة قواعد وأصول، مفهوم الدعوة في ثلاثة معاني: النداء – الدعاء – الدعوة إلى قضية.[10]فإن هذه الكلمة لها عدة معاني مأخوذة من الدعاء، والنداء، لجمع الناس على أمر ما، وحثهم على العمل له، والدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها حقاً كانت أم باطلاً.

فمفهوم الدعوة اصطلاحا لم يتفق عليه العلماء، هناك من ذهب إلى أن الدعوة إذا ذكرت يراد بها الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وقد عرفها كتاب خصائص الدعوة الإسلامية بأنها هي تبليغ الناس جميعا دعوة الإسلام وهدايتهم إليها قولا وعملا في كل زمان ومكان بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم،[11]وهناك من يرى أنها تأتي بمعنى المحاولة العلمية أو القولية لإمالة الناس عليه،[12]ومنهم من يرى أن الدعوة تعني نقل أمة من محيط إلى محيط،[13]وغالبا ما إذا أطلقت كلمة الدعوة بمعنى الدين لا يراد منها الإسلام.[14]وتأتي الدعوة إلى الشيء بمعنى حثه على قصده يقال دعاه إلى الصلاة ودعاه إلى الدين وإلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه.[15]ويعرفها كتاب الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها بأنها العلم الذي به يعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، [16] فبعد هذه التعريفات التي وردت في هذا المجال فإن الدعوة هي تبليغ الإسلام للناس وتعليمهم إياه وتطبيقه في واقع الحياة [17]وهذا التعريف هو الذي يوافق ما ذهب إليه الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼفصلت: ٣٣ أي دعا عباد الله إليه

أي هو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعون الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى.[18] إذن هذه المنهجية هي التي توافق تعليم الناس الإسلام وتطبيقه في واقع الحياة المعاش. من هذا المفهوم الشامل للدعوة نستطيع الخوض فيه عند اقترانه بمفهوم الخطاب، وبما أن مفهوم الدعوة ورد مقرونا بمفهوم الخطاب في

عنوان البحث فإن الحاجة تلح إلى الولوج إلى مفهوم الخطاب لمعرفة معناه وما يقيده عند إضافته إلى مصطلح الدعوة الإسلامية.

ثانيا: مفهوم الخطاب:

إن مفهوم الخطاب ليس مفهوما ضيقا فهو مجموع الكتابات التي تنتج خطابات شفوية أو التي تقتبس من الخطاب طريقة التعبير والغايات،[19] فالخطاب في اللغة: مراجعة الكلام ومتابعته، جاء في لسان العرب مادة – خ ط ب- والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان [20] وورد مصطلح الخطاب في القرآن الكريم للدلالة على عدة معان، إلا أنها تشترك في الاشتقاق اللغوي، وتدور حول معاني الإفحام والانتصار على المخاطب الخصم، بالحجة والبرهان الساطع، ومن تلك الآيات قوله تعالى ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ ص: ٢٠ وفصل الخطاب هو ما ينفصل به الأمر من الخطاب[21] وفسر ابن عاشور صاحب التنوير والتحرير معنى فصل الخطاب هنا بأنه: بلاغة الكلام من حيث الإيجاز والإفهام وقد ورد في آية ثانية في نفس السورة في قوله تعالى ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ ص: ٢٣ أي الغلبة والانتصار على الخصم بالحجة والإفحام والاستدلال السليم [22] وورد في سورة النبأ في قوله تعالى ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ النبأ: ٣٧ والخطاب هنا يعني الكلام الموجه لدى المتكلم، أو كالحاضر المتضمن إخبارا أو طلبا أو إنشاء مدح أو ذم [23]

والخطاب اصطلاحا: كما عرفه معجم الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية هو الكلام الذي يقصد به الإفهام واللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه[24]ويعرّف معجم لالاند الفلسفي الخطاب بأنه: عملية فكرية تجري من خلال سلسة عمليات أولية جزئية ومتتابعة، بنحو خاص تعبير عن الفكر وتطوير له سلسة كلمات أو عبارات متسلسلة[25] ومن خلال استقراء الدلالات اللغوية والفلسفية لمفهوم الخطاب يمكن صياغة مفهوم الخطاب في أنه: بناء من الأفكار متسلسلة يتم التعبير عنها استدلاليا للتأثير على العقول، وإقناعها لتفريغ الشحنات وإثارة المشاعر، وقد تكون المهمة هدم قواعد باطلة، وما اعتبر مسلمات يقينية عند العامة والسذج لتحل محلها رؤى وتصورات تنبني على أسس معرفية ومنهجية واضحة. ولتوضيح موضوع الخطاب الدعوي من بابه لا بد من طرح عدد من الأسئلة والإجابة عنها، وأول سؤال هو: هل هناك خطاب دعوي إسلامي؟ وهل هو واحد أو متعدد؟ وما هي خصائص هذا الخطاب؟

أولاً من البديهي القول أن هناك خطاباً دعويا إسلامياً تأسّس مع نزول أول آية من كتاب الله عزّ وجلّ، وقد تناول هذا الخطاب مفاهيم الحياة والعلاقات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية بكل أبعادها، وقد عبّر القران الكريم عن هذه الشمولية بقوله ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ النحل: ٨٩ ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الأنعام: ٣٨ ويمكن تسمية هذا النوع من الخطاب بالخطاب الإلهي تمييزا له عن خطابات البشر *.

وهو بهذا المعنى يشكل خطاباً واحداً من حيث تناوله للمفاهيم الكبرى للحياة، كالتوحيد والعدل والعبودية لله تبارك وتعالى والبعث بعد الموت، والجزاء على العمل إلى آخر هذه المنظومة التي لا تعدو الخلافات بشأنها (إن وجدت) أن تكون ثانوية أو سطحية.

أما إذا تجاوزنا القضايا الكبرى إلى القضايا الجزئية والتفصيلية، فعندها يمكن للخطاب أن يتعدد ويختلف، متأثراً في ذلك بالكثير من العوامل الاعتقادية أو الثقافية أو الاجتماعية أو

الاقتصادية والسياسية، ويلعب اختلاف تفسير الآيات والأحاديث النبوية والأحداث التاريخية دوراً مهماً في صياغة الاختلاف ضمن دائرة الخطاب الواحد. وهذا هو الخطاب الدعوي الإسلامي، والذي تبلور منذ عهد النبوة والعهد الراشدي، وما بعدهما حيث شهد تغيرات كثيرة وأثرت فيه عوامل شتى، ومع حركة الفتوحات في القرن الرابع الهجري تحديدا أخذ هذا الخطاب الدعوي يتغير بتغير الظروف والأحوال مع احتفاظه بمكونات الخطاب الدعوي الأساسي الجوهري، ولكنه تأثر بالعلوم والثقافات الوافدة، وقد أدت هذه الثقافات والعلوم بالإضافة إلى العادات الاجتماعية إلى إعطاء تفسيرات متطورة للكثير من النصوص أخذت بعداً فلسفياً أو صوفياً أو إلحادياً.

ورغم أن الخطاب الدعوي الأول تحاشى الخوض في المسائل الغيبية واكتفى بإيرادها على سبيل الإثبات لتكون من مسلمات الإيمان، صار الخوض فيما بعد بهذه المسائل الشغل الشاغل للمشتغلين في القضايا الفكرية والنظرية، وصارت هذه المسائل العمود الذي يقوم عليه ما سمي بعلم الكلام. وصار الحديث حول ذات الباري عزّ وجلّ في متناول كل من يريد رغم أن النبي -ε-نهى عن ذلك صراحة بقوله: تفكروا في خلق اللَّه ولا تفكروا في ذات اللَّه.[26] ومع الصراع الذي انتهى بالقضاء على دولة الخلافة ووضع يد الاستعمار الأوروبي على مقدرات العالم الإسلامي، وسيادة الشعور بالظلم والقهر والاستلاب عند المسلمين، وظهور التفوق الأوروبي ليس في الشأن العسكري فحسب؛ وإنما في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والصناعية والتجارية والثقافية، وفنون الحياة الأخرى، عرف الخطاب الدعوي الإسلامي تطوراً مهماً تمثل في الدعوة إلى محاكاة الأمم المنتصرة في النظام والحكم والشورى والصناعة والتجارة والتعاون وطلب العلم والمعرفة، وعرف هذا الخطاب أيضا بخطاب النهضة وكان من رواده مفكرون ومصلحون اجتماعيون وعلماء شريعة أمثال الأفغاني، ومحمد عبده، وخير الدين التونسي، والكواكبي، وكثيرون غيرهم.

وكانت دعوى هؤلاء العلماء تقوم على مقولة أن ما وصل إليه الغرب من تقدم وتطور وتقنية والذي يعرف الآن بعصر المعلومات أو العولمة إنما بفضل أخذهم بمبادئ وأسس دعا إليها الإسلام، فلما عمل بها المسلمون صاروا سادة العالم، في فترة من فترات التاريخ، وحققوا التقدم الذي جعلهم في مقدمة الأمم، وصار الآخرون عالة عليهم، ولكنهم عندما تركوا تلك الأسس والأخلاق والمبادئ الإنسانية النبيلة تخلفوا وفقدوا ميزتهم، ولما أخذ غيرهم بما تركوه أوصلهم إلى ما هم عليه اليوم.[27] واليوم بدأ النداء بالعودة إلى الإسلام وإلى تحكيم شرع اللَّه في حياة الناس عبر إقامة دولة تحكم بالعدل، وتلتزم بأحكام الدين وتعمل على نشره، غير أن هذا ليس هو الحل إنما الحل يمكن في الأخذ بمبادئ الإسلام حتى تعود لنا سيادة العالم وما يُتشدقُ به الآن من العودة إلى الإسلام وكأن الإسلام والذي هو سبب تخلفنا كما يقولون وتراجعا إلى الوراء ولا يعنى الرجوع إليه التمسك بقشوره والحكم على بعضنا البعض بالكفر، فالحقيقة يجب التقدم إلى الإسلام فتخلفنا عنه والمتمثل في الابتعاد عن تطبيق شعائره وقيمه ومبادئه وأحكامه في معاملاتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية والإنسانية هو السبب فيما نحن فيه الآن. وليس سرد المراحل التي تشكل فيها الخطاب الدعوي هو هدف هذه الورقة، وإنما هو أمر ضروري في عملية تحديد مفهوم المصطلحات، من خلال إدراك الأساليب الدعوية في الترغيب والترهيب باعتباره منهج قرآني يجب تأصيله في واقع الناس.

الـمبحث الثاني حول أساليب الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني،

وقد ورد في القرآن الكريم كلا المنهجين، وينصب في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، فقد قال الله عز وجل ﴿ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴿ الغاشية: ١٧ ـ ٢٦

نجد المولى عزوجل خاطب من لهم معرفة بحقيقة الإبل وبالصحراء والجبال هذا أرقى أسلوب يخاطبه رب العزة تبارك وتعالى من يعرف قيمة الإبل، باعتبار أن العرب يعيشون في الصحراء ويتعاملون مع الإبل ويعرفون مكانتها ومدى صبرها على التحمل والعطش وغير ذلك. من هنا فإن الخاطب شمل أيضا ارتفاع السماء، لأنه يخاطب من يمشي في الصحراء، ويعرف مدى أهمية النجوم في مواصل مسيرته في الصحراء.

ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ رفعاً بعيداً بلا عُمُد ولا مُسَّاك، أو بحيث لا ينالها فَهم ولا إدراك، ﯘ ﯙ ﯚ التي ينزلون في أقطارها، وينتفعون بمياهها وأشجارها في رعي تلك الإبل وغيرها ﯛ ﯜ ﯝ نصباً رصيناً، فهي راسخة لا تميل ولا تميد،[28]

فأسلوب الترغيب في معرفة خالق الكون من الأسس التي ركز عليها القرآن المكي خاصة عندما يخاطب عقول العرب وفكرهم ومدى بصيرتهم حيث يخبرهم عن الجبال وكيفية نصبها، التي تدل على قدرة الخالق تبارك وتعالى وعظمته، والأرض كيف سطحت، دلالة على الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من عند الله تبارك وتعالى، وهذه أسمى أساليب الدعوة في القرآن لعقول العرب، بل لعقول البشرية جمعا، وهي رسالة الإسلام الدين الخاتم الخالد، يقول الشيخ الشريف إبراهيم صالح في كتابه "مناهج الإتقان إلى تحقيق مقاصد الإحسان" حول مهمة الرسل والأنبياء في تبليغ رسالة الدين:

"فقد أرسل الله الرسل جميعا بهذه الرسالة المتضمنة لهذه الأصول وألزمهم تبليغها إلى الناس كافة أو من خصوا بدعوتهم بما يدخل فيه القريب والبعيد من أطياف البسر، وهذه الرسائل تجمع بين تلاوة الكتاب وتعليم معانيه، وتوضيح أحكامه محكمها ومتشابهها، وتزكية النفوس وتصفية القلوب،[29] كما قال تعالى ﴿ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﴿ الجمعة: ٢

فأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي يقوم عليها الخطاب الدعوي في الوعظ والإرشاد، وغالبا ما يقوم نتيجة لرد فعل معين، ويكون الأسلوب دائما يدعو الإنسان إلى التعقل والتفهم، وأخذ العبرة والاقتداء بمنهج الحق في كل الأمور،

أفلا ينظرون إلى خلقتها وتكوينها؟ ثم يتدبرون: كيف خلقت على هذا النحو المناسب لوظيفتها، المحقق لغاية خلقها، المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعا! إنهم لم يخلقوها. وهي لم تخلق نفسها، فلا يبقى إلا أن تكون من إبداع المبدع المتفرد بصنعته، التي تدل عليه، وتقطع بوجوده كما تشي بتدبيره وتقديره. ﴿ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﴿ الغاشية: ١٨ وتوجيه القلب إلى السماء يتكرر في القرآن. وأولى الناس بأن يتوجهوا إلى السماء هم سكان الصحراء. حيث للسماء طعم ومذاق، وإيقاع وإيحاء، كأنما ليست السماء إلا هناك في الصحراء، السماء بنهارها الواضح الباهر الجاهر، والسماء بأصيلها الفاتن الرائق الساحر والسماء بغروبها

البديع الفريد الموحي، والسماء بليلها المترامي ونجومها المتلألئة وحديثها الفاتر، والسماء بشروقها الجميل الحي السافر[30] فهذا الأسلوب ترغيب في معرفة الله تبارك وتعالى من خلال ظواهر الكون والطبيعة.

أفلا ينظرون إليها؟ أفلا ينظرون إليها كيف رفعت؟ من ذا رفعها بلا عمد؟ ونثر فيها النجوم بلا عدد؟ وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال وهذا الإيحاء؟ إنهم لم يرفعوها وهي لم ترفع نفسها. فلا بد لها من رافع ولا بد لها من مبدع. لا يحتاج الأمر إلى علم ولا إلى كد ذهن. فالنظرة الواعية وحدها تكفي، چ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ چ الغاشية: ١٩ والجبال عند العربي- بصفة خاصة- ملجأ وملاذ، وأنيس وصاحب، ومشهدها يوحي إلى النفس الإنسانية- بصفة عامة- جلالا واستهوالا. حيث يتضاءل الإنسان إلى جوارها ويستكين، ويخشع للجلال السامق الرزين. والنفس في أحضان الجبل تتجه بطبيعتها إلى الله وتشعر أنها إليه أقرب، وتبعد عن واغش الأرض وضجيجها وحقاراتها الصغيرة. ولم يكن عبثا ولا مصادفة أن يتحنث –سيدنا - محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- في غار حراء في جبل ثور. وأن يتجه إلى الجبل من يريدون النجوة بأرواحهم فترات من الزمان! والجبال هنا «كَيْفَ نُصِبَتْ» لأن هذه اللمحة تتفق من الناحية التصويرية مع طبيعة المشهد كما سيجيء. [31]

چ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ الغاشية: ٢٠ والأرض مسطوحة أمام النظر، ممهدة للحياة والسير والعمل، والناس لم يسطحوها كذلك. فقد سطحت قبل أن يكونوا هم، أفلا ينظرون إليها ويتدبرون ما وراءها، ويسألون: من سطحها ومهدها هكذا للحياة تمهيدا؟[32] فهذا أسلوب في قمة الروعة للمخاطب، ثم يضيف سيد قطب:

إن هذه المشاهد لتوحي إلى القلب شيئا. بمجرد النظر الواعي والتأمل الصاحي. وهذا القدر يكفي لاستجاشة الوجدان واستحياء القلب. وتحرك الروح نحو الخالق المبدع لهذه الخلائق. ونقف وقفة قصيرة أمام جمال التناسق التصويري لمجموعة المشهد الكوني لنرى كيف يخاطب القرآن الوجدان الديني بلغة الجمال الفني، وكيف يعتنقان في حس المؤمن الشاعر بجمال الوجود، إن المشهد الكلي يضم مشهد السماء المرفوعة والأرض المبسوطة. وفي هذا المدى المتطاول تبرز الجبال «منصوبة» السنان لا راسية ولا ملقاة، وتبرز الجمال منصوبة السنام.. خطان أفقيان وخطان رأسيان في المشهد الهائل في المساحة الشاسعة. ولكنها لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات! على طريقة القرآن في عرض المشاهد، وفي التعبير بالتصوير على وجه الإجمال، والآن بعد الجولة الأولى في عالم الآخرة، والجولة الثانية في مشاهد الكون المعروضة، يلتفت إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- يوجهه إلى حدود واجبه وطبيعة وظيفته، ويلمس قلوبهم اللمسة الأخيرة الموقظة: چ ۇ ۋ ۋ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ الغاشية: ٢١ - ٢٦ فذكر بهذا وذاك. ذكرهم بالآخرة وما فيها، وذكرهم بالكون وما فيه، إنما أنت مذكر. هذه وظيفتك على وجه التحديد، فأما الجهاد الذي كتب بعد ذلك فلم يكن لحمل الناس على الإيمان. إنما كان لإزالة العقبات من وجه الدعوة لتبلغ إلى الناس. فلا يمنعوا من سماعها. ولا يفتنوا عن دينهم إذا سمعوها. كان لإزالة العقبات من طريق التذكير[33].

إن القيام بأعمال صالحة يتطلب النتائج والثمرات، فالعبادات على تنوعها، إنما شرعها الله سبحانه وتعالى ليرقى بها المجتمع من درك الشقاء إلى أعلى مراتب الكمال، ومن الظلمات إلى النور والتمسك بالمنهج المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في الابتعاد عن الظلم والشرك والجهل والتكبر والرياء إلى غير ذلك، وفي الخطاب القرآني ندرك أن

الترغيب يأتي في الأعمال التي تؤدي صاحبها إلى رضوان الله تبارك وتعالى، فالحق تبارك وتعالى يوجه عباده ليقوموا بالعمل الصالح، فقال چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ چ المؤمنون: ٥١ وقوله چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ الكهف: ١٠٧ والصلاح والعمل الصالح إنما ذلك النسيج الذي يرقى بالمجتمع إلى مستوى صلاح الأفراد وصلاح العلاقات الاجتماعية كلها بداء بعلاقة الفرد مع ربه، ومع جيرانه ومع الشعوب الأخرى، ونهاية مع التعاون الصادق المخلص الذي ينبغي أن يسري بين قطاعات الناس وفيئاتهم مع مراقبة الله سبحانه وتعالى فقي عمل الخير والدعوة إلى الله على بصيرة.

وعندما نتأمل بعض آيات سورة الواقعة نجد أن الحق تبارك وتعالى يخاطب المؤمنون بأن لهم الخير كله، ويبدأ بوصفه لهم وذلك بعد أن وصف عظمة يوم القيامة وما يتضمنه، من تخويف وعذاب للكفار والمنافقين إذا قامت القيامة، فيكون الترغيب فيما عند الله، فنستطيع أن نوظفه في المجتمع ونرفع من مستواه، ونخلصه من شوائب الفساد، وهذا هو المقياس وهو الثمرة الوحيدة للعبادات التي شرعها الله سبحانه وتعالى.

إذا ينبغي أن تهيمن التقوى والعمل الصالح على نفوسنا وقلوبنا، هذه المعاني في الحقيقة شملت كل شيء من الحياة وبكل تأكيد ترفع من مستوى الإنسان وتجعله يراقب نفسه بنفسه مع أخيه المسلم وغيره من بني البشر، وعندما نتحدث عن الخطاب القرآني وأسلوبه في الترغيب والترهيب فإننا ننظر إلى الترهيب فنجد أن الخطاب القرآني بعد أن وصف جزاء المؤمنين شرع في وصف العقاب المنتظر لكل كفار أثيم.

يقول الحق تبارك وتعالى چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ النبأ: ٢١ - ٢٦ (26)} الآيات من سورة النبأ، يقول العلامة ابن عاشور: "ولمَّا غُيّر أسلوب الخبر إلى الخطاب بعد أن كان جارياً بطريق الغيبة، ولم يكن مضمونُ الخبر مما يجري في الدنيا فيُظن أنه خطاب تهديد للمشركين تعيّن أن يكون المفرع قولاً محذوفاً دلّ عليه {ذوقوا} الذي لا يقال إلا يوم الجزاء، فالتقدير: فيقال لهم ذوقوا إلى آخره، ولهذا فليس في ضمير الخطاب التفات فالمفرع بالفاء هو فعل القول المحذوف، والأمر في (ذوقوا) مستعمل في التوبيخ والتقريع، وفُرع على {فذوقوا} ما يزيد تنكيدهم وتحسيرهم بإعلامهم بأن الله سيزيدهم عذاباً فوق ما هم فيه.[34]

يقول الإمام القرطبي چ ہ ہ ہ ھ ھ مفعال من الرصد والرصد كل شيء كان أمامك. قال الحسن: إن على النار رصدا، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجيء بجواز حبس. وعن سفيان رضي الله عنه قال: عليها ثلاث قناطر. وقيل "مرصادا" ذات أرصاد على النسب؛ أي ترصد من يمر بها. وقال مقاتل: محبسا، وقيل: طريقا وممرا، فلا سبيل إلى الجنة حتى يقطع جهنم.... وذكر القشيري: أن المرصاد المكان الذي يرصد فيه الواحد العدو، نحو المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل. أي هي معدة لهم؛ فالمرصاد بمعنى المحل؛ فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا بجهنم. وذكر الماوردي عن أبي سنان أنها بمعنى راصدة، تجازيهم بأفعالهم. وفي الصحاح: الراصد الشيء: الراقب له تقول: رصده يرصده رصدا ورصدا، والترصد: الترقب. والمرصد: موضع الرصد... فجهنم معدة مترصدة، متفعل من الرصد وهو الترقب أي هي متطلعة لمن يأتي. والمرصاد مفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمغيار، فكأنه يكثر من

جهنم انتظار الكفار، ے ے ئے بدل من قوله: "مرصادا" والمآب: المرجع، أي مرجعا يرجعون إليها، يقال: آب يؤوب أوبة: إذا رجع، وقال قتادة: مأوى ومنزلا. والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر، أو في دنياه بالظلم،[35] وهذا أسلوب الترهيب لمن كفر بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا ورسولا.

يَقُولُ الحق تبارك وتعالى: چڈ ڈ ڌ ڍ ڍ ڎ ڎ ڏ ڏ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ الزمر: ٥٣ ويقول أيضا چڈ ڈ ڌ ڍ ڍ ڎ ڎ ڏ ڏ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ البروج: ١٠ وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا" [36]

بقول الإمام الشاطبي: ويقتضي هذا النظر في التوبة عن كل مخالفة تحصل بترك المأمور به أو فعل المنهي عنه، فإنه إذا ثبت أن مخالفة الشارع قبيحة شرعًا؛ ثبت أن المخالف مطلوب بالتوبة عن تلك المخالفة، من حيث هي مخالفة الأمر[37] أو النهي، أو من حيث ناقضت التقرب، أو من حيث ناقضت وضع المصالح، أو من حيث كانت كفرانًا للنعمة.[38] ويندرج هنا المباح على طريقة هؤلاء من حيث جرى عندهم مجرى الرخص، ومذهبهم الأخذ بالعزائم، وقد تقدم أن الأولى ترك الرخص فيما استطاع المكلف؛ فيحصل من ذلك أن العمل بالمباح مرجوح على ذلك الوجه، وإذا كان مرجوحا؛ فالراجح الأخذ بما يضاده من المأمورات، وترك شيء من المأمورات مع الاستطاعة مخالفة؛ فالنزول إلى المباح على هذا الوجه مخالفة في الجملة، وإن لم تكن مخالفة في الحقيقة. وبهذا التقرير يتبين معنى قوله عليه الصلاة والسلام: "يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم سبعين مرة"[39] وقوله: "إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله"[40] ويشمله عموم قوله تعالى: چئد ى ى ي يچ النور: ٣١ ولأجله أيضًا جعل الصوفية بعض مراتب الكمال إذا اقتصر السالك عليها دون ما فوقها نقصًا وحرمانًا؛ فإن ما تقتضيه المرتبة العليا فوق ما تقضيه المرتبة التي دونها، والعاقل لا يرضى بالدون، ولذلك أمر بالاستباق إلى الخيرات مطلقًا... فهذا يشير إلى رتب الكمال تجتمع في مطلق الكمال، وإن كان لها مراتب أيضًا؛ فلا تعارض بينهما، والله أعلم.[41]

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد: لقد تناولت هذه المقالة توضيح منهج الترغيب والترهيب في الخطاب الدعوي القرآني من خلال الأسلوب الذي دعى به القرآن الكريم أتباعه، خاصة أسلوب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع كفار قريش، وبما أن الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم الذي سلكه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع كفار قريش يجب الاقتداء يه في دعوة غير المسلم، من خلال الترغيب والترهيب الذي رسمه المنهج القرآني في الحياة، فإنه يجب التمسك به في خطاباتنا الدعوية، نسأل الله أن يثبتنا على الإسلام والإيمان والإحسان، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

التوثيق:

[1] - مجموعة من الباحثين، خطاب التجديد الإسلامي الأزمنة والأسئلة، دار الفكر بدمشق، 2004م، ورقة: محمد عادل شريح، استراتيجيا التجديد الخلفيات النفسية والفكرية، ص 132وما بعدها

[2] - محمود عكام، الموسوعة الإسلامية الميسرة، دار الصحاري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1410، ص1073.
[3] - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب،دار صادر، بيروت،ج14، ص259.
[4] - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تح:محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت 1995، ج1،ص86.
[5] - العلامة الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، مج2، ص 419، 1958.
[6] - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،مختار الصحاح، تحقق محمود خاطر،مكتبة لبنان، بيروت 1995، ج1،ص1655.
[7] - عبد رب النبي علي أبو السعود،التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته،مكتبة وهبة،القاهرة،ط1 1992،ص19
[8]- محمد أمين حسن محمد بني عامر، خصائص الدعوة الإسلامية مصادرها عالميتها شمولها – دراسة مقارنة، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان 2000 ص ص 17.
[9] - أحمد أحمد غلوش،الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، الشركة العالمية للكتاب،بيروت 1987،ص 10.
[10] - جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة للطبع والنشر التوزيع،الإسكندرية،مصر،ط2 1989، ص 13.
[11]- محمد أمين حسن محمد بني عامر، خصائص الدعوة الإسلامية مصادرها عالميتها شمولها،مصدر سابق،ص19.
[12] - محمد يوسف حمزة،أسس الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة1994،ص11.
[13] -البهي الخولي، تذكرة الدعاة، ص 30.
[14] - حسن مسعود الطوير، الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت1992، ص 58.
[15]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ط2،الجزء الأول،د.ت،ص 286.
[16] - أحمد أحمد غلوش،الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها،دار الكتاب العالمي،بيروت1987،ص10.
[17] - محمد أبو الفتح البيانوني،المدخل إلى علم الدعوة – دراسة منهجية شاملة، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط3 1995،صـ16.
[18] - إسماعيل بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تفسير ابن كثير، دار الفكر 1401، ج 4، 101.
[19] عبد العظيم رهيف السلطاني، خطاب الاخر، دار الأصالة والمعاصرة، بنغازي ليبيا 2005، ص 24.
[20] - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، جـ1،صـ361.
[21]- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبط وتخريج: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ1997م ص170. وينظر: المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، استنبول، تركيا،1989م. ج1، ص243.

[22]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، سحنون للنشر والتوزيع،تونس،د.ط.ت،مج11،ج24،ص229.
[23] - المصدر سابق، مجـ 15،ج30،صـ50.
[24]- أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكفوي،الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1414،2هـ1998م، ص419.
[25] - خليل أحمد خليل، موسوعة لالاند الفلسفية، أشرف أحمد عويدات أندريه لالاند، مج 1.
*- يوجد هذا الطرح مفصلا في – مجلة الهداية،الخطاب الديني في دولة العهد الجديد،حمودة السعفي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،تونس،1418هـ1997م، العدد3،السنة22، ص22.
[26] -أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، الفواكه الدواني، دار الفكر، بيروت 1415، ج 20، ص303.
27- مصطفى ملص، نظرة على واقع الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة الوحدة الإسلامية تصدر عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان،السنة الثانية العدد السادس عشر محرم 1424هـ2003م.
[28] - أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، الطبعة: 1419 هـ ج7، ص 294.
[29] - الحسيني، الشيخ الشريف إبراهيم صالح، مناهج الاتقان إلى تحقيق مقاصد الإحسان، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة 2014م، ج1، ص 116
[30] - سيد قطب إبراهيم حسين، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ، ج6، ص 3895. وما بعدها.
[31] - سيد قطب، المرجع السابق، ج6، ص 389
[32] - سيد قطب، المرجع السابق، ج6، ص 3895.
[33] - سيد قطب، مرجع سابق، ج6، ص 3895. وما بعدها.
[34] - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997م، ج30، ص 41.
[35] - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423 هـ/ 2003 م، ج19، ص 177
[36] - الحافظ المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2001، ج3، ص 188.
[37] - المناسب للطريق الأول في كلامه أن يقول: "مخالفة الأمر والنهي"، كما يناسب أن يزيد بعد قوله: "ناقضت وضع المصالح"؛ فيقول: "أو من حيث لم يأتِ بالفرائض على كمالها المطلوب" ليكون تفريعًا على الشق الثاني من الاعتبار الثاني من الطريق الثاني". "د".
[38] - الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الموافقات في أصول الشريعة، تخريج الشيخ عبد الله دراز ومراجعة محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة، 3 2003م. بيروت لبنان، ج3، ص 182 وما بعدها.
[39] - أخرجه البخاري في "الصحيح" "كتاب الدعوات: باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، 11، 101، رقم 6307" عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: "والله؛ إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"، وأخرجه بلفظ المصنف النسائي في "عمل اليوم والليلة" "رقم 431" عن أبي هريرة مرفوعًا، وفي آخره "مئة مرة"، وأخرجه مسلم في

"صحيحه" "كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، 4، 2075-2076" عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: "يا أيها الناس! توبوا إلى الله؛ فإني أتوب في اليوم إليه مئة مرة"

[40] - أخرجه مسلم في "صحيحه" "كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منة، 4، 2075" عن الأغر المزني مرفوعًا: "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة". وأخرجه من حديثه أيضًا أحمد في "المسند" "4، 260"، وأبو داود في "السنن" "كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم 1515"، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" "رقم 442"، والطبراني في "الكبير" "رقم 888، 889". ومعنى "ليغان" ما قاله "ف": "أي: ليغطى عليه، من قولهم: غين على الرجل كذا أي: غطى عليه".

[41] - الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الموافقات في أصول الشريعة، تخريج الشيخ عبد الله دراز ومراجعة محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة، 3 2003م. بيروت لبنان، ج3، ص 182 وما بعدها.

الغلو ومنهج القرءان الكريم في معالجته

د/ إبراهيم عبد الله ثاني
قسم الدراسات الإسلامية والشريعة، جامعة بايرو كنو
ibrahimlemo@gmail.com
08034511049

مستخلص البحث

إن الإسلام دين إلهي يستمد قواه من الوحي القرآني والذي تم شرحه وبيان منهجيته من النبي صلى الله عليه وسلم. فالصحابة رضوان الله عليهم هم خير جيل عاشوا هذا الوحي وتزامنو مع مضمونه ومنهجيته. وبينما الإسلام ينمو ويتطور إلي الآفاق البعيدة شرق الأرض وغربها دخل إثر ذلك فوج من الشعوب الذي أدانوا بديانات أخرى يكثر فيها التطرف والغلو, فتسربت تلك الظاهرة إلى أوساط المسلمين , ولعل أول ما ظهرت من ذلك كان في زم النبي صلى الله عليه وسلم بينن الصحابة رضوان الله عليهم فتبادر النبي صلى الله عليه وسلم بالزجر والإعراض عنها. ولم يزل المسلمون بين الفينة والأخرى متأثرين بظاهرة الغلو في الدين وعدم الإقناع أو التوقف عن المأمور بالدين. فهذه الورقة تناقش هذه الظاهرة وأسباب ورودها وكيفية معالجتها في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بأسلوب من الإيجاز والاقتصار والله ولي التوفيق

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ الإسراء: ٩، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي وصف القرءان أجمل وصف، فقال: (كتاب الله،تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى بغيره أضله الله. هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم. وهو الصراط المستقيم. وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يَخلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً. من علم علمه سبق،ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم) رواه الترمذي[2].

أما بعد:

فإن دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم، وسط بين طرفين، وعدل بين عِوَجين، وهدى بين ضلالتين؛ بين إفراطٍ وتفريط. وقد حفظ الله لهذه الأمة خاصية (الوسطية) في كتابه الكريم، والتزمها أهل السنة والجماعة، فهماً وتطبيقاً، على مر القرون والعصور. فكلما نزلت نازلة، فزعوا إلى الأصل العظيم، ووردوا المورد الكريم، چ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج چ آل عمران: ٧ - ٨ وقد ظهر (الغلو) فيمن كان قبلنا من الأمم، وظهر في هذه الأمة أيضاً، مصداقاً لقول نبينا صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)متفق عليه[4]

وقد أودع الله تعالى كتابه الكريم الشفاء من كل داء، والنور والضياء لكل ظلماء. ومن ذلك داء (الغلو) وفتنته. وسيحاول الباحث استنباط المنهج القرآني في مواجهة الغلو، وكبح جماح هذا الانحراف الذي تكتوي بناره الأمة الإسلامية قرناً بعد قرن.

حقيقة الغلو:

أ – الغلو لغةً:

قال الجوهري: (غلا في الأمر، يغلو غُلُوًّا، أي: جاوز فيه الحد)[5].

وقال ابن منظور: (وأصل الغلاء: الارتفاع، ومجاوزة القدر في كل شيء)[6].

وكذا قال ابن فارس: (الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر، يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلواً، إذا جاوز حده. وغلا بسهمه غلْواً، إذا رمى به سهماً أقصى غايته)[7]

ب – الغلو شرعاً:

قال ابن الأثير: (الغلو في الدين: أي التشدد فيه، ومجاوزة الحد... وقيل معناه: البحث عن بواطن الأشياء، والكشف عن عللها، وغوامض متعبداتها)[8]، وقال ابن حجر:

(الغلو: هو المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق)[9]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الغلو: مجاوزة الحد ن بأن يزاد في الشيء، في حمده، أو ذمه على ما يستحق)[10] ومن شواهد ذلك: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ النساء: ١٧١، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس: إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)رواه أحمد والحاكم[12].

وبهذا يتبين اتفاق المعنيين على تعريف الغلو، وأنه بمعنى تجاوز الحد، والزيادة المذمومة في كل شيء، ولو بالتعمق والتكلف. وهو بهذا الاعتبار ضرب من البدعة، لخروجه عن رسم الشرع من جهة الزيادة والمبالغة، ولا يشفع له كونه صادراً عن اجتهاد وحسن نية، فإن اقتصاداً في اتباع، خير من اجتهاد في ابتداع.

ويقارب مفهوم (الغلو) ويشاركه من بعض الوجوه، مفردات ذات مدلولات شرعية، أو مدلولات اصطلاحية، من جنس: (التنطع) و (التشدد) و (الإفراط) و (الطغيان) و (العتو) و (التطرف)، يجمعها معنى المبالغة، وتجاوز الحد الأوسط.

منهج القرءان الكريم في معالجة الغلو:

تنوعت طرائق القرءان الكريم في إدانة ظاهرة الغلو، والتحذير منه. وذلك بشتى الطرق والوسائل ومن ذلك:

أولاً: النهي المباشر عن الغلو:

قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ النساء: ١٧١. قال الطبري، رحمه الله:

(يعني جل ثناؤه بقوله: " يا أهل الكتاب": يا أهل الإنجيل من النصارى. "لا تغلوا في دينكم" يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق؛ فإن

قيلكم في عيسى إنه بن الله، قول منكم على الله غير الحق، لأن الله لم يتخذ ولداً، فيكون عيسى أو غيره من خلقه له ابناً، ثم ساق بسنده عن الربيع، قال: صاروا فريقين: فريق غلوا في الدين، فكان غلوهم فيه الشك فيه، والرغبة عنه، وفريق منهم قصروا عنه، ففسقوا عن أمر ربهم) [16]

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ المائدة: ٧٧.

قال ابن كثير، رحمه الله: (أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلهاً من دون الله ! وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم؛ شيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضل قديما، "وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل": أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال، إلى طريق الغواية والضلال)[18]

وهذا اللون من الغلو الاعتقادي، هو أخطر أنواع الغلو، وأشدها أثراً. وقد وقع فيه اليهود والنصارى، فكان لا بد من النص المباشر في التحذير منه، ووصمه بما يستحق من وصمة (الغلو)، حتى لا يلتبس الأمر على هذه الأمة. وحقق ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله) رواه البخاري[19].

ثانياً: ذم الغلو، وبيان سوء عاقبة الغلاة:

لعل أول من نعلمه من الغلاة، إبليس ! كيف لا؟، وآفته الكبر، والكبر نوع من مجاوزة الحد، قال تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ البقرة: ٣٤، فاستحق بذلك أعظم مذمة في التاريخ، كما قال تعالى ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ ص: ٧٧ - ٧٨ وكان من الغلاة الذين تجاوزوا حدهم وقدرهم، فرعون، حين قال لموسى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ الشعراء: ٢٣ ثم قال: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ الشعراء: ٢٩، وقال لعموم قومه: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ النازعات: ٢٤ وقال متظاهراً بالاجتهاد والتحري: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ القصص: ٣٨ ثم استخفه الأشر والبطر، بفعل الغلواء: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الزخرف: ٥١ - ٥٤، فماذا كانت النتيجة؟

قال تعالى: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ الزخرف: ٥٥ وقال: ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ النازعات: ٢٥

وممن غلا، فاستحق المذمة والعقوبة، اليهود والنصارى، قال تعالى: ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ التوبة: ٣٠

وكما أن الغلو في الاعتقاد مذموم، فكذلك الغلو في العبادة، قال تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ الحديد: ٢٧

ثالثاً: الثناء على أهل التواضع والإنصاف:

إن نزعة (الغلو) نابعة عن أخلاط من الأخلاق الذميمة، كالكبر، والعنف، والعجلة، والغضب. وهذه سمات مشتركة بين الغلاة على مر العصور. وبإزاء ذلك، فإن أهل

الاستقامة والعدل والتوسط، يتميزون بجملة من الأخلاق النوعية الكريمة؛ من جنس: التواضع، والرفق، والأناة، والحلم. ومن ثمَّ، فإن من أقوى أسباب علاج الغلو، الثناء على أصحاب النفوس السوية من المتواضعين للحق، القابلين له، المذعنين للدليل، الفرحين به. وقد حفل القرءان الكريم بصور مشرقة من هذه النماذج الإنسانية المتحررة من ربقة التعصب، واسر الغلو. ومن شواهد ذلك قوله تعالى:

ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ المائدة: ٨٢ - ٨٥.

ومثلهم من مؤمني أهل الكتاب من أثنى الله عليهم بقوله:

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ القصص: ٥١ - ٥٥ إن إشاعة روح التجرد للحق، والتحرر من قيود العادة والإلف، وسنن الآباء والأجداد، والتعصب الأعمى، وأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها، سيتحقق تلقائياً من خلال تمجيد هذه النماذج البشرية الراقية، وإبراز قيمها، لتكون مثالاً يحتذى، يعصم السالك من الانزلاق في مهاوي الغلو والتطرف.

رابعاً: مطامنة الغلو بالحوار المناظرة:

لما كان للغلو فوعة تحجب صاحبه عن الحق، فتجعل على عينيه غشاوة، وفي أذنيه وقراً، وعلى قلبه أكنة، كان لابد من اختراق صارم لتلك الحجب. وإن أقوى سبب تدحض به الشبهة، الحجة الصحيحة، كما قال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ الأنبياء: ١٨، فما يغني في مواجهة الغلو الصخب والضجيج، بل لابد من مقارعة الحجة بالحجة، واستفراغ ما لدى الخصم المعجب برأيه من دعاوى، وتفنيدها، ليطامن من غلوائه، ويعود إلى رشده، إن أراد الله به خيراً، وأما ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ المائدة: ٤١. ومن أجمل الشواهد القرءانية على هذا الحوار المفحم، مناظرة إبراهيم، عليه السلام، للنمرود.قال تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ البقرة: ٢٥٨

ومن الأمثلة الحوارية الفاضحة لحقيقة الغلو، وضحالة غوره، وانكشاف أمره، حوار موسى، عليه السلام، مع فرعون. قال تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ الشعراء: ٢٣ - ٢٩

هذا، وما من مبطل، إلا ويستند إلى دعوى، ويرتفق بدليل، فإذا قيض الله له عالماً راسخاً، وحكيماً بارعاً، يعالج غلواءه، ويكشف زيف استدلاله، بالحوار الحر، أثمر الثمار اليانعة، وعاد بالخير والبركة والنجاة على من التاث بلوثة الغلو، فتداركه نعمة من ربه، كما يتضح من هذا المثال التاريخي البديع:

عن ابن عباس قال: لما اعتزلت الحرورية، وكانوا على حدتهم، قلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد عن الصلاة، لعلي أتي هؤلاء القوم فأكلمهم.قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا، إن شاء الله. فلبست أحسن ما قدرت عليه من هذه اليمانية،ثم دخلت عليهم،وهم قائلون

في نحر الظهيرة.فدخلت على قوم لم أر قوما أشد اجتهادا منهم؛ أيديهم كأنها ثَفِنُ الابل، ووجوهم معلمة من آثار السجود. فدخلت، فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، لا تحدثوه. قال بعضهم: لنحدثنَّه. قال:

قلت: أخبروني، ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثا. قلت: ما هن؟ قالوا: أولهن، أنه حكم الرجال في دين الله، وقد قال الله تعالى: " ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ الأنعام: ٥٧ قلت: وماذا؟ قالوا: قاتل، ولم يسب، ولم يغنم ! لئن كانوا كفارا لقد حلت أموالهم، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم. قال: قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين. قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم. قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله، فانه تعالى يقول: "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم " إلى قوله چ ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ □ چ المائدة: وقال في المرأة وزوجها: چ ڃ ڃ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ النساء: ٣٥ أنشدكم الله ! أفحكم الرجال في دمائهم وأنفسهم، وصلاح ذات البين، أحق، أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وصلاح ذات بينهم. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم إنه قتل ولم يسب، ولم يغنم، أتسبون أمكم؟ أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم. وإن زعمتم أنها ليست بأمكم، فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام؛ إن الله تبارك وتعالى يقول: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى چ الأحزاب: ٦ وأنتم تترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم. أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشاً، يوم الحديبية، على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً، فقال: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني. اكتب يا علي: محمد بن عبد الله.فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفضل من علي. أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم عشرون ألفاً، وبقي منهم أربعة آلاف، فقتلوا) رواه عبد الرزاق، والطبراني، وروى أحمد بعضه.[40]

خامساً: التيسير ورفع الحرج:

إن من أساليب القرءان الكريم في دفع الغلو، أو رفعه، التنويه بيسر الشريعة، والامتنان برفع الحرج عن العباد. والعسر والحرج قرينا الغلو، فكيف يستقيم دين امرئ على الإسلام، وهو آخذ نفسه بالعنت والمشقة؟!

قال تعالى: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ چ البقرة: ١٨٥ قال السعدي، رحمه الله: (أي يريد الله أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أبلغ تسهيل. ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهله تسهيلاً آخر؛ إما بإسقاطه، أو بتخفيفه بأنواع التخفيفات)[42]

وقال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ چ النساء: ٢٨،قال ابن كثير: (أي في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم)[44]

وقال تعالى: ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ المائدة: ٦، فالحرج مرفوع، بحمد الله، عن هذه الأمة، والنعمة تامة. واليسر أقرب إلى روح الشريعة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (إن خير دينكم أيسره. إن خير دينكم أيسره) رواه أحمد.[46]، وحين بعث أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهما، إلى اليمن، أوصاهما، قائلاً: (يسرا، ولا تعسرا، وبشرا، ولا تنفرا، وتطاوعا) متفق عليه[47].

سادساً: الأمر بالوسطية، والثناء على أهلها:

من الخصائص المميزة لدين الإسلام خاصية (الوسطية)، فقد قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ البقرة: ١٤٣.

وقد جاء لفظ (الوسَط) في لغة العرب على معانٍ، منها: العدالة، والخيرية، والتوسط بين الطرفين. وإلى هذا المعنى الثالث مال ابن جرير، رحمه الله، فقال: (وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل وسَط الدار... وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى، الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود، الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به. ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)[49]

والحق أن هذه الأمة قد جمعت هذه الأوصاف الثلاثة كلها؛ فهي أعدل الأمم شهادة، وخير أمة أخرجت للناس، وهي متوسطة بين أهل الإفراط وأهل التفريط من الأمم. ومن عجبٍ، أيضاً، أن موقعها الجغرافي، الذي انطلقت منه، وإليه تأرِز، وسَطٌ بين قارات الدنيا، وملتقى طرقها.

وكما أن هذه الأمة الإسلامية وسط بين الأمم، فإن أهل السنة والجماعة، المتمسكون بالإسلام المحض، الخالص عن الشوب، هم الوسَط في فرق الأمة. ومن شواهد هذا التوسط المنافي للإفراط والتفريط، والغلو والتساهل، ما يلي:

1/ التوسط في الاعتقاد:

قال شيخ الإسلام، ابن تيمية، في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة:(هم الوسط في فرقة الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم؛ فهم وسط في:

- باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة،
- وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية، والقدرية وغيرهم،
- وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم،
- وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية،
- وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة، والخوارج)[50]

2/ التوسط في العبادة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أخبروا، كأنهم تقالُّوها. فقالوا:

وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني) رواه البخاري [51]

3/ التوسط في السلوك:

كما يكون التوسط في الاعتقاد والعبادة، يظهر أيضاً في السلوك، وسائر التصرفات. ومن أمثلة ذلك:

(أ) المشية:قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الفرقان: ٦٣ قال ابن كثير: (أي امش مقتصداً؛ مشياً ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين)[53].

(ب) الصوت: قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ لقمان: ١٩ قال ابن كثير: (أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه.ولهذا قال: "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" قال مجاهد وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير؛ أي غاية من رفَع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله)[55]

(ج) المعاملة: قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ آل عمران: ١٥٩

(د) العشرة والمخالطة: عن أبي جحيفة، رضي الله عنه، قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وبين أبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك متبذلة؟ قالت: إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاما، فقال: كل، فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم ! فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نم ! فنام. فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن ! فقاما، فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقا، ولربك عليك حقا، ولضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرا ذلك، فقال له: صدق سلمان) رواه الترمذي[57].

4- التوسط في الإنفاق:

قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ الفرقان: ٦٧ قال الحافظ ابن كثير، رحمه الله: (أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم؛ فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليتهم؛ فيقصرون في حقهم؛ فلا يكفونهم،بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها)[59]

5/ التوسط في التقويم والحكم على الآخرين:

قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ النساء: ١٣٥

وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ المائدة: ٨ فدلت هذه النصوص على وجوب تحري العدل، وتوخي الإنصاف في الأمور

كلها، ومن ذلك الحكم على الناس، وتقويمهم، وعدم غمط أهل الفضل فضلهم، والبعد عن التجني والعدوان، والاندفاع مع العاطفة الهوجاء، حتى مع المخالف.

6/ التوسط في العواطف والمشاعر:

ومن جوانب التوسط المهمة، أن يكون المرء معتدلاً في مشاعره، وعواطفه، وانفعالاته، فلا يسرف إذا أحب، ولا يسرف إذا أبغض، ولا يفجر إذا خاصم؛ بل يحكم مشاعره بحكم الشريعة، ويضبطها بضابط العقل، فعن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما. وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما) رواه الضياء المقدسي[62].

الخاتمة

فالإسلام دين حضارة وترقي وتوسط واعتدال. يأمر أبناءه بالإعتدال والتوقف عند ما أمر به, ولم يتطرق المسلمون إلى الغلو والتطرف إلا بعد ما توسعت رقعة الإسلام إلى آفاق مترامية الأطراف , غير أن الإسلام تصدى لتلك الظاهرة حيث قام النبي صلى الله عليه وسلم بالمبادرة ببيان عواقبها الوخيمة كما انه أثنى على المنصفين المعتدلين من أهل التواضع. فالأمر بالوسطية هو المعمول عليه في كثير من المواقف الدينية وهو الجوهر الأساسي لرسالة الأنبياء إلى الأمم من آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه سلم.

الحواشي والمراجع:

[1] الإسراء: 9
[2] جامع الترمذي: رقم (2906)
[3] آل عمران: 7، 8
[4] صحيح البخاري: رقم (7320)، صحيح مسلم: رقم (6781)
[5] الصحاح:2448/6
[6] لسان العرب:112/10
[7] معجم مقاييس اللغة: 773
[8] النهاية في غريب الحديث:382/3
[9] فتح الباري: 278/13
7 اقتضاء الصراط المستقيم: 289/1
[11] النساء: 171
[12] المسند:(3248) والمستدرك:466/1، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي
[13] النساء: 171
[14] تفسير الطبري: 34/6، 35
[15] المائدة: 77
[16] تفسير ابن كثير: 83/2
[17] صحيح البخاري: رقم (3445)

[18] البقرة: 34
[19] ص: 77، 78
[20] الشعراء: 23، 29
[21] النازعات: 24
[22] القصص: 38
[23] الزخرف: 51 - 54
[24] الزخرف: 55 - 56
[25] النازعات: 25
[26] التوبة: 30 -31
[27] الحديد: 27
[28] المائدة: 82- 85
[29] القصص: 51- 55
[30] الأنبياء: 18
[31] المائدة: 41
[32] البقرة: 258
[33] الشعراء: 23 - 29
[34] يوسف: 40
[35] المائدة: 95
[36] النساء: 35
[37] الأحزاب: 6
[38] مصنف عبد الرزاق: (158/10)، والمعجم الكبير: (257/10)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عن رواية الطبراني وأحمد: رجالهما رجال الصحيح. (239/6)
[39] البقرة: 185
[40] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 137/1
[41] النساء: 28
[42] تفسير ابن كثير: 480/1
[43] المائدة: 6
[44] المسند: رقم (15978)، وقال في مجمع الزوائد: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا رجاء وقد وثقه ابن حبان) 308/3
[45] صحيح البخاري: رقم (3038)، صحيح مسلم: رقم (4526)
[46] البقرة: 143
[47] تفسير الطبري: 2 /6
[48] العقيدة الواسطية: 82
[49] صحيح البخاري: رقم (5063)
[50] لقمان: 19
[51] تفسير ابن كثير: 447/3
[52] لقمان: 19
[53] تفسير القرءان العظيم:3 /447

[54] آل عمران: 159
[55] جامع الترمذي: رقم (2413). قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.
[56] الفرقان:
[57] تفسير ابن كثير: 326/3
[58] النساء: 135
[59] المائدة: 8
[60] الأحاديث المختارة: 55/2، و إسناده لا بأس به.

دراسات في المجمل والمبين في القرآن الكريم: سورة المائدة أنموذجا

د/ توفيق أبوبكر حسين
قسم الدراسات الإسلامية والشريعة،
جامعة بايرو، كانو نيجيريا
tabubakar.isl@buk.edu.ng
234-8036866616

المستخلص

إن القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأكبر في الإسلام، وأرفعها قدرا ودرجة. ففيه الهداية والأمر والنهي وفيه بيان المصالح العامة من السياسة والإدارة والمنافع وغير ذلك ولا يتحقق معرفة أصول هذا الشرع وهذا المنبع الفريد إلا عن طريق معرفة اللغة العربية التي نزل القرآن بها. ومع أنه نزل بين العرب الأُقُحَّاءِ من أهل الجزالة والرصانة في اللغة من أهل الجاهلية غير أن القرآن نحا منهجًا فريدا من نوعه رائعًاً وشيّقًا لم يسبق له المثيل فى الكلام العربي، إذ ورد فيه كلمات مجملة تحتاج إلي بيان وأخرى مطلقة تحتاج إلي تبيين. ثم إنه لم يكن علم معرفة معانيه أمرا سهلا يخوض فيه كل من هب ودب، و أن أصل تفسير كلام الله بدأ ببداية الوحي نفسه، فكانت الصحابة رضوان الله عليهم يتسارعون إلي النبي صلي الله عليه وسلم، في معرفة ما خفي عليهم من المعاني، ثم استمر الأمر إلي ما بعد رحيله صلي الله عليه وسلم، في عهد التابعين ثم الذين جاؤ بعدهم، فكان همُّ كل قرن من القرون هو النقل والتّلقِي عن من سبقهم. ولما توسعت الدولة الإسلامية إلي ما وراء النهر، وإلي الأعاجم شرقا وغربا، رأي العلماء ضرورة بسط قواعد ومناهج يسير عليها من أراد الخوض في هذا البحر، وأصلوا لذلك أصولًا سمُّوها بأصول التفسير. فالقرآن الكريم وحي الله المخبر عن الغيبيات والشرائع التي تم إرسال الرسل بها، لم يتطرق إلي تبديل ولا تحريف كماحدث لبقية الوحي كالتورية والإنجيل. تولي الله بحفظه بنفسه كما قال: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ الحجر: ٩ فدراسة كلمات القرآن وبيان مجملها من مبينها يساعد جدا في تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتساعد المفسرين على تفهم المراد من كلام الله تعالى منه قبل الخوض في تفقهه. زبناء على هذا تأتي مهمة هذه الورقة من بسط بسيط المجمل والمبين من خلال آيات العقيدة والله ولي التوفيق.

التعريف

المجمل فى اللغة: من أجمل يجمل، فهو مجمل، مشتق من الإجمال وهو الشيء المجموع المبهم المتفرق. وهو مأخوذ من الجمل بفتح الجيم واسكان الميم وهو الخلط ومنه قوله عليه السلام لعن الله اليهود حرّم الله عليهم شحوم الميتة فجملوها أي خلطوها وباعوها فأكلوا ثمنها فسمي اللفظ مجملا لاختلاط المراد بغيره[1] أو هو الكلام الموجز المبهم الذي لا يفهم تفصيل معناه [2]

والإجمال أو المجمل في الاصطلاح يقصد به: ما يتوقف فهم المراد منه على غيره إما في تعيينه أو بيان صفته أو مقداره[3]. وعرفه البعض بـ: ما تردد بين محتملين فأكثر على السواء[4] وعرفه السيوطي بأنه الكلام الذي لم تتضح دلالته[5] إذا فالمجمل هو مَا تَرَدَّدَ بَيْنَ

مُحْتَمَلَيْنِ فَأَكْثَرَ عَلَى السَّوَاءِ. أو اللفظ المتردد بين محتملين فصاعدا على السواء[6] وَحُكْمُ الإجمال التَّوَقُّفُ عَلَى الْبَيَانِ الْخَارِجِيِّ وَهُوَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. والمجمل واقع وموجود في القرآن لا ينكر وجوده أحد من العلماء غير داوود الظاهري. ولذا رد عليه السيوطي بقوله: وهو واقع في القرآن الكريم خلافا لداوود الظاهري[7]

ويعرف الأصوليون والمفسرون المجمل بكل لفظ أو عبارة غامضة تحتمل أن تفسر بأكثر من وجه، وتحتمل أكثر من معني، وذلك لتواطؤ اللفظ أو العبارة لذلك، ولكن قبل أن يرجح العمل في المجمل ويقطع القول بمضمونه يجب أن ينظر إن كان هناك قرائن وعلامات ترجح معنى علي آخر فإن وجدت عمل بها مطلقا، وإلا ترك الاستدلال به عملا بقاعدة إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال.[8] ثم إنه يجب التعرف علي ماهية المجمل وكيفية وروده وأنواعه حتى يتسنى للقاريء الكريم معرفة كنهه.

أنواع الإجمال

(1)والمفرد يكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً، وقد يكون لاختلاف في تقدير حرف محذوف.[9]

(2)الإجمال في المركب والمقصود بالمركب هوالألفاظ المتكونة من كلمات متعددة

ﭨ ﭩ ﭪ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □□□□□ □□□□ ﭼ (البقرة: ٢٣٧).

فالتركيب هنا مجمل لأنه يفيد أن يكون الزوج أو الولي من له الحق فى الإعفاء المذكور فى الآية ولهذا السبب إختلف الفقهاء فى مواقف شتى بالنسبة للمعنيِّ به من هذه الآية الكريمة. فذهب أحمد والشافعي على أنه الزوج والولي عند مالك[10]

الإجمال في الإفراد المقصود به إفراد فى لفظة الدالة علي الإجمال وذلك في القرآن الكريم كثير.و يأتي أيضا علي ثلاثة أشكال وهي الإسم والفعل والحرف.

أ/ الإجمال في الإسم هو ماكان اللفظ منه دالا علي الإسمية كقوله تعالى: ﭽ ﯾ □□□ □□□ □□□□ ﰁ ﰂ □ ﭼ (البقرة: ٣٧)

هو نكرة في سياق الخبر المثبت هذه الكلمة الآن في قوله تعالى " كَلِمَاتٍ " مبهمة تحتاج إلى بيان لأن كلمات جمع كلمة. هذا هو الذي يستفاد من الآية، لكن ما هي هذه الكلمات لا يتبين معناها إلا في دليل آخر و هو قوله تعالى بعد ذلك: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الأعراف: ٢٣

ب/ الإجمال في الفعل هو ما جاء اللفظ فيه بصيغة الفعل كقوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ (التكوير: ١٧)و "عسعس" هنا فعل ماض مبني علي الفتح وهو مجمل لأنه يحتمل معنيين أقبل وأدبر. وكلاهما صحيح

ج/ الإجمال في الحرف وهو الذي جاء بصيغة الحرف نحو حرف "من" ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ المائدة: ٦

فمن هنا يجوز أن تكون للتبعيض أي امسحوا بعض شعر الرأس لا كله، وأفتى بذلك الشافعية والحنابلة. أو الابتداء للغاية بمعنى فابدأوا المسح من أوله إلي غايته وحمله مالك وأبو حنيفة على الثاني11.

المبين

والمبين بفتح الياء مأخوذ من بين يبين تبيانا مبيّنا ومبيَّنا وهو اسم المفعول.وقد يطلق على المبين بكسر الياء وهو اسم الفاعل ومادة الكلمة من "بان" وهو أيضا "ظهر" و بيّن القرن إذا طلع. و الشيء تبيينا و تبيانا أوضحه12. المبين في الاصطلاح: المبيّن ما نص على معنى معين من غير إبهام أو ما يفهم المراد منه إما بأصل الوضع أو بعد التبيين ويستقل بنفسه، في الكشف عن المراد، ولم يفتقر في معرفة المراد إلى غيره.13 والمبين هو الذي يفسر ويفصّل الإجمال و يزيل عنه الغموض والإبهام ويخرج المعنى واضحا جليا إما جواز حمل المعنيين معا، أو ظهور وجوب حمل المعنى الأظهر والأقوى. ثم إن بيان المجمل إما أن يقع بالقول أو بالفعل أو بالترك14. فبيانه بالقول بأن يقول المتكلم أو من علم مراد المتكلم المراد بهذا الكلام كذا15، كقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ القارعة: ١ ـ ٥

يستخرجه العلماء من القرآن نفسه أو السنة كبيان المحرمات التي قال الله تعالي: ﭽ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ﭼ (المائدة: 1) جاء بيانها بأنها هي المذكورة في المائدة، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ (المائدة: ٣)

وأما بالفعل فإما أن يكون الدال على البيان شيئا، يتبع المواضعة كعقد الأصابع، فقد بيّن به الرسول صلى الله عليه و سلم إذ قال إن الشهر هكذا وهكذا بأصابع يده الشريفة مرتين وقبض في الثالثة إبهامه16. والترك كأن يترك عليه السلام فعلا قد أمر به أو قد سبق منه فعله فيكون تركه له مبينا لعدم وجوب ومثاله تركه الشهادة ﭽ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﭼ (البقرة: ٢٨٢) ثم إنه اشترى فرسا من أعرابي ولم يشهد عليه17

ويقع البيان بالقول تارة وبالفعل تارة وبهما معا وقد يكون بترك الفعل ليدل على عدم الوجوب.

البيان بالقول:

أ/ كتاب بكتاب قال تعالى:

ﭽ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ﭼ (المائدة: ١)فهذا مجمل بينه الله بقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (المائدة: ٣)الآية. وذلك كله هو ما يتلى عليكم كم ا فى الآية السابقة

ب/ كتاب بسنة قال تعالى:

ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ (الأنعام: ١٤١) فحقه مجمل بينه صلى الله عليه وسلم بقوله: "فيما سقت السماء العشرة وفيما سقى بالنضح نصف العشر"18.

1) البيان بالفعل:

يكون بصورة العمل كصلاته صلى الله عليه وسلم فوق المنبر ليبين للناس ولذا قال لهم: "صلوا كما رأيتموني أصلى19". وكقطعه يد السارق من الكوع.

ويكون بالكتابة ككتابته صلى الله عليه وسلم أسنان الزكاة لعماله عليها.

ويكون بالإشارة كقوله: "الشهر هكذا وهكذا وهكذا[20]". وأشار بأصابع يديه وقبض الإبهام في الثالثة يعنى تسعة وعشرين يوماً.

2) البيان بترك الفعل: كتركه صلى الله عليه وسلم التراويح في رمضان بعد أن فعلها وكتركه الوضوء مما مست النار، مما دل على عدم الوجوب فيهما.مراتبه متفاوتة فأعلاها ما كان بالخطاب ثم بالفعل: ثم بالإشارة، ثم بالكتابة ومعلوم أن الترك قصداً فعل21.

والمجمل يأتي متصلا و منفصلا. فالمتصل هو ما أفاد تفسير المجمل منه في نفس السياق ونفس المكان حيث يبهم في الآيات الأولى ثم يأتي تفسيرها في الآيات التالية بعد ذلك

(أ) **المتصل**:

ٹ ٹ چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ چ (الطارق: ١ - ٣ (فتفسير الطارق وارد فيه. أو قوله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ (البقرة: ١٨٧)

فالخيط هنا مبهم مجمل فسرت مقصود الخيط وأزالت عنه الغموض والإبهام فى الكلمة التي جاءت بعد ذلك، وأفادت بأن المعني بالخيط هو سواد الليل وبياض الفجر فقال چ ڇ ڇ 22، أي الفجر الصادق.

(ب) **المنفصل**:

أما المنفصل فهو الذي يطلب تفسيره من مكان آخر إما فى القرآن أو السنة الشارحة للقرآن،

ٹ ٹ چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ چ (المائدة: ١) " گ ڳ ڳ " هنا مبهم مجمل لأنه لم يذكر نوع المحرم، بل جاء تفسيره منفصلا فى مكان آخر وفصل القول في المحرمات من الأطعمة والذبائح، وهو قوله:

ٹ ٹ چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ(المائدة: ٣) 23

أسباب ورود المجمل والمبين

للإجمال أسباب كثيرة وهي الصيغ والعبارات التي يدخل من خلالها الغموض والإبهام في الكلام[24] . ذكر العلماء منها مواضع كثيرة منها:

- أولا: الاشتراك: يقصد به أن اللفظ يشترك في معناه أكثر من معنى واحد نحو چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی □□□□□ چ (البقرة: ٢٣٧) الذي بيده عقدة النكاح، يقصد به إما الزوج أو الولي، لأن في ايدي كليهما عقدة النكاح، فالولي لأنه المنكح والزوج لأنه هو الذي أخذ بالساق.[25]
- ثانيا: الحذف يقصد به تقدير المحذوف بعد أن المصدرية وذلك في قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ چ النساء: ١٧٦ لأنه يحتمل أن يقدر فيه النفي أو الإثبات

- ثالثا: تردد مرجع الضمير حيث يصح رجوعه إلي أكثر من إسم كقولك: "علمه الفقيه فهو كما علمه" فإن الضمير في هو متردد بين العود الى الفقيه والى معلوم الفقيه والمعنى يكون مختلفا حتى انه قيل بعوده الى الفقيه كان معناه فالفقيه معلومه وان عاد الى معلومه كان المعنى فمعلومه على الوجه الذي علم 26 نحو قوله ﭧ ﭨ ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ (الانشقاق: ٦) الضمير في قوله " ﭺ " لمن يعود؟ هل يعود إلى الله أم إلى الكدح؟قوله " فَمُلاقِيهِ " هذا اللفظ مجمل سببه الاختلاف في مرجع الضمير. 27.
- رابعا: غرابة اللفظ كقوله تعالي ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ (الحج: ٩) أي متكبرا. وقوله ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ (الكهف: ٤٢) أصبح يقلب كفيه، أي أصبح نادما[28]
- خامسا: النكرة في سياق الإثبات كقوله تعالى ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭼ البقرة: ٣٧) هذه الكلمة الآن في قوله تعالى " كَلِمَاتٍ " مبهمة تحتاج إلى بيان لأن كلمات جمع كلمة. هذا هو الذي يستفاد من الآية، لكن ما هي هذه الكلمات لا يتبين معناها إلا في دليل آخر و هو قوله تعالى بعد ذلك ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ (الأعراف: ٢٣) "[29]
- سادسا: التقديم والتأخير قوله: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ (طه: ١٢٩) أي ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما. 30
- سابعا: قلب المنقول نحو ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ (التين: ٢) (أي سيناء) وقوله ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ (الصافات: ١٣٠) أي على اليأس
- ثامنا: الكناية عن معين بوصف عام، نحو قوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ (البقرة: ٢٣٨) ﭘ هنا لا ندري ما هي هذه الصلاة لأن كل صلاة ينطبق عليها أن تكون هي الفضلى[31] أو قوله ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ (الطور: ٤) يحمل علي كل البيوت المعمورة كالمساجد وبيوت يذكر فيها اسم الله كثيرا.
- تاسعا: النقل من الدلالة اللغوية إلي الشرعية: يقصد بذلك كل كلمة يستعملها العرب لكن الشرع استعملها فتحولت من معانيها الأصلية إلي الدلالة الشرعية، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والطواف وغير ذلك. إذ أن كل هذه الألفاظ لها معان مخصصة في دلالاتها اللغوية قبل مجيء الإسلام. أما الشرع فقد استخدمها لأغراض أخري. حتى صارت مصطلحات مقيدة في الإسلام[32]
- عاشرا: الكناية باسم الإشارة الى ما لم يسبق التصريح به فى الآية او التي سبقها فى نفس السورة: مثل "هذه" في قوله تعالي: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ (البقرة: ٥٨ فاسم الإشارة هنا لم يكن مسبقا ذكره أو الإشارة إليه. لأنه ذكر دخول قرية لم تكن معروفة في السياق الإخباري الذي كان قد تناولته الآية، بل إنما ذكره لأول وهلة بجملة "هذه".[33]
- الحادي عشر: تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز: كقوله: " ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ يحتمل أن يكون الشهداء الأصليون الذين تحملوا الشهادة وعاينوا الأمور. أو الشهداء الذين يوكل إليهم أمر الشهادة باعتبار ما سيكون كما هو مبسوط في أبواب البلاغة.[34]
- الثاني عشر: تردد النفي بين الصفة والموصوف مثل قوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ (الرعد: ٢)

فالنفي هنا يحتمل عوده إلي الصفة بمعنى أن الله رفع السماوات بغير عمد أصلا. وعلى ذلك فلا ترون أي عمود تقوم عليها السماء، أو الموصوف فيكون المعنى أن الله رفع السماوات بعمد غير مرئي فلا يستطيعون أن تروها لأنه تعالى شاء أن يعجز أبصاركم عن رؤية ذلك.

- الثالث عشر: عدم التصريح بمرجع الضمير: نحو ﭽ ک ک گ گ گ گ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ(التحريم: ٤)

والضمير هنا "تتوبا" و "تظاهرا" معلوم أن راجع إلي بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب هنا للبعض والبعض ليس مفصلا فيطلب تفسيره من مكان آخر[35] إن الأصل في الضمير أن يسبقه اسم يرجع إليه فيتضح رجوعه ويعين تفسيره، لكن هذا لم يسبق فيه أسماء للزوجات، وإن كان السياق أفاد أن الكلام مسند إلي زوجاته صلي الله عليه وسلم، وهن تسعة، فلا يتعين إحداهن علي الأخرى. وعلي ذلك لا يفسر إلا بالحديث الذي بين إجتماع عائشة الصديقة رضي الله عنها مع حفصة بنت عمر رضي الله عنهن.[36]

تقديم سورة المائدة

سورة المائدة مدنية ولها مائة وثمانون آية 180. وتسمى أيضا سورة العقود، إذ وقع هذا اللفظ في أولها. هذه السورة نزلت في المدينة بعد منصرف رسول الله من الحديبية، وبعد سورة الممتحنة. يقول البراء بن عازب أنها ثانية آخر السور نزولا، قبل سورة براءة[37]. قال مجاهد نزل بعضها في فتح مكة وذلك قوله تعالي ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ إلي آخر الآية (المائدة: ٣) [38].

وعلي أي حال فإن معظمها وجلها نزل في المدينة، ويبرز ذلك في تناولها الحجاج مع اليهود والنصارى، وآداب مخالطتهم. و هي من أجمع سور القرآن لفروع الشرائع تحليلا وتحريما، وأمرا ونهيا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ سورة المائدة " في حجة الوداع وقال: (يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر ما نزل فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها)[39] ولهذا افتتحت بقوله: ﭼ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ المائدة: ١ وذكر فيها من التحليل والتحريم والإيجاب ما لم يذكر فى غيرها.

وقد احتوت على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات وعلى حفظ شعائر الله في الحج والشهر الحرام والنهي عن بعض المحرمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام وفيها شرائع الوضوء والغسل والتيمم والأمر بالعدل في الحكم والأمر بالصدق في الشهادة وأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء وأحكام الحرابة وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفاق المنافقين وتحريم الخمر والميسر والأيمان وكفارتها والحكم بين أهل الكتاب وأصول المعاملة بين المسلمين وبين أهل الكتاب وبين المشركين والمنافقين والخشية من ولايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه وإبطال العقائد الضالة لأهل الكتابين وذكر مساوئ من أعمال اليهود وإنصاف النصارى فيما لهم من حسن الأدب وأنهم أرجى للإسلام وذكر قضية التيه وأحوال المنافقين والأمر بتخلق المسلمين بما يناقض أخلاق الضالين في تحريم ما أحل لهم والتنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على الناس وما تخلل ذلك أو تقدمه من العبر والتذكير للمسلمين بنعم الله تعالى والتعريض بما وقع فيه أهل الكتاب من نبذ ما أمروا به والتهاون فيه واستدعاؤهم للإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم الموعود به [40]

وفيها من الفضائل أنها من أواخر ما نزل من القرآن فلا يوجد فيها كثير من النسخ كما أقرّ ذلك الحسن البصري. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ سورة " المائدة " في حجة الوداع وقال: "يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر ما نزل فأحلوا حلالها وحرموا حرامها[41]" ونحوه عن عائشة رضي الله عنها موقوفا، قال جبير بن نفير: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: هل تقرأ سورة " المائدة "؟ فقلت: نعم، فقالت: فإنها من آخر ما أنزل الله، فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه.[42] وأخرج سعيد بن منصور أبي ميسرة قال: في المائدة ثمان عشرة فريضة ليس في سورة من القرآن غيرها وليس فيها منسوخ[43]

وسورة المائدة مقسمة إلي المقدمة والصلب والخاتمة كما في سور القرآن الكريم:

- **المقدمة** هي التصدير والتذكير بالعقد المتفق بين العباد وربهم جملة واحدة، والذي أخذه الله سبحانه من المؤمنين حينما كانوا في عالم الذر وهو المراد بقوله تعالي: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ (الأعراف: ١٧٢) وهو أيضا العهد والميثاق الكبير الذي أخذه الله عن النبيين نيابة عن قومهم، قال تعالي: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ (الأحزاب: ٧).

كما أن العقود المعنية في هذا التصدير يشمل ما تعاهد عليه المسلمون مع المشركين في الحديبية جملة وما تعاهد عليه المسلمون فرادى مما لم يسبق الشرع أن فصل فيه القول والأحكام. وتشير هذه المقدمة إلي عظم وكبر ما سيأتي بعدها من تفصيل في الأحكام.

- **الصلب** ويبدأ هذا الصلب من بداية تفصيل المولي أحكام الأنعام المباحة وغيرها، وهو قوله ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ (المائدة: ١ (ويستمر الصلب بتناول الأحكام واحدا تلو الآخر كالحلال من الحرام، وأحكام الحرابة أحكام الوضوء والغسل والتيمم، والمعاملات بين المسلمين وبين أهل الكتاب، وأحكام السرقة، والأطعمة والأشربة.
- **الخاتمة**: ثم جاءت الخاتمة بذلك الخطاب الرباني الشيِّق المليء بالتذكير والترهيب بيوم القيامة وبأن الرسل سيقومون بالشهادة على أممهم وشهادة عيسى على النصارى، وهو قوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ (المائدة: ١٠٩)

ويأتي الخطاب الأخير والرحيق المختوم لكلام الله علي حكمته وفرضه هذه الأحكام مشيرا إلي أنه هو الخالق المتفرد الذى أوجد الخلق من عدم عالما بما يصلح به قيام الحياة البشرية وأنه فعل ذلك عن علم ومعرفة تامة بما تؤول عليه الأمور فقال جلا وعلا في عزة وكبرياء وعظمة ﭽ ﭼ (المائدة: ١٢٠) وهذا طبعا يتلائم مع ما قاله في الآية الأولي ".. إن لله يحكم ما يريد..." أ ي يحكم ما يريد لأن له الملكوت والتصريف ف خلقه كيف شاء وله مقاليد السماوات والأرضين وهو علي كل شيء قدير.

بعض الأمثلة للإجمال في آيات العقيدة فى سورة المائدة وبيانها

أولا: تعريف العقيدة.هو ما يجب الإيمان به من أصول الدين وخاصة ما يتعلق بأصول الإيمان وهي: الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل والأنبياء والقدر خيره وشره ثم الإيمان باصول الدين كأصول الشرائع وهي العبادات، والمعاملات، والأخلاق. 44 فالعقيدة منها ما تنطق به الألسنة، كالشهادتين، وما تعتقده الأفئدة، من واجب أمور الدين، كاعتقاد

صفة الكمال لله، ونفي صفات النقص45، ثم الإعتقاد بكل ما أخبر به من الغيبيات على لسان حبيبنا صلى الله عليه وسلم.

1. ﭧﭨﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ (المائدة: ٦٩) مجملة محكمة من محكمات القرآن. يقال أخطأ فهمها حتى بعض الصحابة، رضوان الله عليهم46، يرجع بيانها إلي قوله ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ (النساء: ١٥٢)وقوله: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ(البقرة: ١٣٦) و ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ (البينة: ٦)

ثم إن الآية شملت وأقرت الإيمان للأمم السابقة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتفسيرها وبيانها هو أن الذين سبق لهم الاعتراف بربوبية الله وعبادته ثم اعترفوا بنبوة أنبيائهم سوف يتم إيمانهم ويكمل عقيدتهم بالإيمان برسالة الإسلام، وبيان ذلك عند قوله تعالي: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (البقرة: ١٣٦). وقوله: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ (البقرة: ٢٨٥) و ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (آل عمران: ٨٤)

إنما وردت عذرا للذين سبقوا وحكما للذين بقوا، وهو الذي أمر به النبي صلي الله عليه وسلم. وذكر الطبري وغيره من المفسرين ان سبب نزولها علي أصحاب سلمان الفارسي والقصة فيها طويلة47

2. ﭧﭨﭽﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (المائدة: ٨٣):

مجمل اسم الموصول لمعين يحتمل كونه كل الآيات التي أنزلت من نكال وفضل ومنة. وتحتمل أن تكون نزول القرآن كما بين ذلك ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (النحل: ٤٤)

3. ﭧﭨﭽﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ (المائدة: ١١٠):

الكتاب هنا مجمل يحتمل كونه كتاب عيسي والذي هو الإنجيل، ويحتمل كونه الكتاب المعهود وهو القرآن ويحتمل أن يكون الكتاب بمعنى الكتابة أي الخط بالقلم،48 كما اختار ابن جرير " وهو الخطّ الذي يخطه بيده"49 ويحتمل كون المقصود به القرآن الكريم لأن عيسي سينزل ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا بشريعة الإنجيل، بيان ذلك فى حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيُعَطِّلُ الْمِلَلَ حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ فِى زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الإِسْلاَمِ وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِى زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ وَتَقَعُ الأَمَنَةُ فِى الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الإِبِلُ مَعَ الأَسَدِ جَمِيعاً وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالحَيَّاتِ لاَ يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمَّ

يُتَوَفَّى فَيُصَلِّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ » 50 وقال العلماء الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها. وقيل إنه دعا الله لما رأى صفة محمد صلي الله عليه وسلم وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله51

الخاتمة

ينتهي هذا البحث بانتهاء هذا الفصل وما هو إلا تقديم و بيان وعرض وجيز لبيان الإجمال الواقع في القرآن من سورة والمائدة. درس الباحث في الفقرات الماضية أهمية القرآن الكريم في حياة البشرية وعناية الصحابة رضوان الله عليهم به، والتي نهجوها واقتبسوا نبراسها من نور النبوة و بموجب أن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي احتوي علي كل تفاصيل الحياة البشرية والدينية والدنيوية، تم كذلك تفصيل بيان معانيه واستخراج لآلئه وتوضيح الغامض والمبهم منه. إن هذه الدراسة إن كانت تمس بعض الآيات القرآنية المجملة والمبينة إلا أن التركيز فيها كان على بعض آيات العقيدة فى سورة لمائدة.

فتفسير القرآن لم يكن بالأمر السهل الذي يخوض فيه كل من هب ودب، ولم يكن أمرا يتسلقه المتشدقون البلغاء يملؤون به يافوه أقلامهم، ويسودون به الرقع والدفاتير، بل هو علم لدني توارثه خير القرون كابرا عن كابر، تم تناقله من جيل إلي آخر، بداية بزمن الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم قاموا بسؤال ما يحتاجون من التفسير من عند رسول الله صلي الله عليه وسلم، لأن فهمهم للقرآن أنه كتاب أحكام ووعقائد وعبر، لا يتم معرفة بعضه إلا بالتلاقي من صاحبه وهو النبي، ثم إنهم ورثو هذا العلم النير إلي القرون المفضلة بعدهم وهو التابعين، فبذلو كل غال ونفيس في تحقيق الأهداف القرآنية مع ربطها بما نقلو عن صحابة رسول الله، ثم جاء عهد التابعين وبعدهم واستمر الأمر الي زمننا الحاضر. وعلى ذلك لا يسع المتكلم بالعربية او الملم بالنحو العربي أو بلاغته ان يكون مفسرا بدون أن يجعل تفسير القرآن بعضه ببعض هو الأصل، ثم بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بأقوال الصحابة رضوان الله تعالي. ومن إنتاج هذا البحث الإشارة إلي المنحي الصحيح عند القيام ببيان المجمل وأسباب التعرف إليه، وكيفية استخراجه من القرآن الكريم، إذ المجمل في القرآن يأتي علي أشكال وأنواع كثيرة وطرق متعددة. فالسور القرآنية تختلف موضوعيتها من أحكام وعقيدة، و قصص، وتسلية للرسول الأعظم وغير ذلك من المواضيع التي يتناولها القرآن الكريم. تتبعت الإجمال فيها كلها واستخرجته قدر الإمكان وقمت بالبحث عن بيان كل إجمال عرضت إما عن طريق الآي القرآن نفسه، أو عن طريق الأحاديث الشريفة، أو عن طريق اللغة. وقد أزلت الإبهام والإجمال عن الكل ووجهت ما أمكن حمله علي المعنيين فأكثر وتأييد ذلك بنفس الطريقة القرآنية أو السنة النبوية الشريفة.

الهوامش

[11] السبكي: علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1404م ج 2 ص206
2 مجمع اللغة العربية بالقاهرة،: المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر، 1972 ج1 ص 136
[3] العثيمن: محمد بن صالح العثيمن, الأصول من علم الأصول, دار ابن الجوزي, مكة. الطبعة الأولي, سنة 1426 هـ ج2 ص22
4 أبو البركات الذهبي: محمد بن أحمد بن يوسف، الكواكب النيبرة، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، صـ 234
5 السيوطي: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولي، 1416هـ/1997 م
ج2 ص48
6 الدمشقي: عبد القادر بن بدران، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي, مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1401 هـ ص 263
7 السيوطي: المصدر السابق، ج2 ص48
8 الشنقيطي: محمد الأمين، مذكرة أصول الفقه، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني. ص 8
9 خالد الصقعبي: شرح الورقات, المكتبة الشاملة الإصدار الثاني ج2 ص 62 - 69
10 الشنقيطي: المصدر السابق ص 8
11خالد الصقعبي: المصدر السابق، ج 2 ص 66
12 إبراهيم مصطفى: أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار المعارف، بمصر. بدون تاريخ ج1 ص 167
13 البغدادي:أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الفقيه والمتفقه بتحقيق عادل بن يوسف العزازي الناشر:دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة 1417هـ.ج1 ص 114
14 الرازي: محمد بن عمر بن الحسين، المحصول في علم الأصول، بتحقيق الدكتور طه جابر فياض العلواني، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1400 هـ ج3 ص261
15 بدران: المصدر السابق، ج1 ص267
[16] الألباني: محمد ناصر الدين، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام المكتب الإسلامي ,بيروت الطبعة الثالثة – 1405 هـ ص233
17 بدران: المصدر السابق, ج1 ص269
[18] ابن ماحه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني, سنن ابن ماجه, دار الفكر – بيروت, بدون تاريخ, ج1 ص 580
[19] ابن حجر: أحمد بن علي, فتح الباري شرح صحيح البخاري, دار المعرفة للنشر , بيروت, 1379هـ. ج2 ص172
[20] ابن حجر: المصدر السابق ج4 ص124
21 الشنقيطي: المصدر السابق ص 10
22 السيوطي: المصدر السابق، ج2 ص 49
23 السيوطي: المصدر السابق، ج2 ص 49 -50
24 محمد كبير يونس: دراسات في أصول التفسير,دار الأمة لوكالة المطبوعات , كنو نيجيريا 1425هـ ص 40
25 السيوطي: المصدر السابق، ج2 ص 48

26 السبكي: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي. الإبهاج في شرح المنهاج: دار الكتب العلمية –بيروت 1416هـ - 1995 م، ج2 ص 208
27 الشنقيطي: المصدر السابق ص9
28 السيوطي: ا المصدر السابق، ج:2 ص:49
29 خالد الصقعبي: المصدر السابق، ج 2 ص 67
30 السيوطي: المصدر السابق، ج1 ص 249
31 محمد كبير يونس: المصدر السابق. ص 49
32 محمد كبير يونس: نفس السابق 2006
33 محمد كبير يونس: نفس المصدر ، ص 50
34 محمد كبير يونس: نفس المصدر ص 53
35 محمد كبير يونس: نفس المصدر, ص56
[36] ابن حجر: المصدر السابق, ج9 ص289
37 ابن عاشور: الإمام محمد الطاهر, التحرير والتنوير, دار سحنون للنشر والتوزيع, تونس 1997 م، ج6 ص70
38 ابن عاشور: نفس المصدر، ج6 ص 71
39 الزيلعي: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، دار ابن خزيمة , الرياض الطبعة الأولى، 1414هـ ج1 ص377
40 ابن عاشور: المصدر السابق، ج3 ص73
[41] القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر, الجامع لأحكام القرآن , دار الفكر, بيروت, الطبعة الثانية, 1985م ج6 ص31
42 النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. السنن الكبري, دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى 1411 ه - 1991 مج6 ص333
43 السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين الدر المنثور في التأويل بالمأثور، دار الفكر - بيروت، 1993م, ج3 ص4
[44] عبد العزيز: بن محمد آل عبد اللطيف, التوحيد للناشئة والمبتدئين, وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية, الطبعة الأولى سنة 1422هـ ص 20
45 القيرواني: ابن أبي زيد عبد الله بن عبد الرحمن , متن الرسالة, دار الفكر, بدون تاريخ، ص 10 -14
46 محمد كبير يونس: المصدر السابق، 2006
47 الطبري: الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،جامع البيان في تأويل القرآن. مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى1420 هـ/ 2000 م، ج2 ص 155
48 السيوطي: الدر المنثور، ج2 ص199
49 الطبري: جامع البيان، ج 6 ص 422
50 ابن حنبل: الإمام أحمد, المسند, دار مؤسسة قرطبة, القاهرة. مصر, الطبعة الثانية 1401هـ ج20 ص 413
51 المباركفوري: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ ج6 ص 406

تحفيظ القرآن الكريم وتحدياته في بلاد يوربا
THE PROBLEM FACING QUR'AN RECITER IN YORUBALAND

إعداد :
عباس زكريا القارئ الإبادني
معهد زكريا لتحفيظ القرآن والتعليم العربي
إبادن – نيجيريا
E-mail: mazakar001@yahoo.co.uk
Tel: +2348055204408 +2347084903272
P.O. Box 24073 Mapo Hill, Ibadan,
Oyo State, Nigeria.

المقدّمة

كان هذا البحث عبارة عن دراسة المشاكل التي تواجه قراء القرآن الكريم في بلاد يوربا. وقد استهّل البحث بالنظر في معاني المفردات التي تمّ بها بناء الموضوع وما هي بلاد يوربا. ثم تقديم أولية قراءة القرآن الكريم في بلاد يوربا. ثم عهد ظهور العلماء ببلاد يوربا وقراء القرآن الكريم بها. ثم الإشهار بقرّاء القرآن الكريم في بلاد يوربا في عصرنا الراهن. ثم الكلام عن الحلقات القرآنية ببلاد يوربا وانتاجاتها المثمرة في قراء البلاد، فأوضح البحث ذلك بقراء كل ولاية من ولايات بلاد يوربا السبع بدءًا بولاية كُوَارَهْ، فأَوْيَوْ، ثم لاغوس، ثم أَوْغُنْ، ثم أَوْشُنْ، ثم أَوْندَوْ، ثم أَيْكِيتِي فموضوع البحث : "المشاكل التي تواجه قراء القرآن الكريم في بلاد يوربا". فنظرنا في المشاكل من أربعة أوجه :

(1)في البيئة الغير الإسلامية الصرفة التي طُبعت عليها بلاد يوربا، وهي بيئة يقع فيها الصراع الديني بين المسلمين والنصرانيين مما أخلّ بنشاطاتهم الدينية، وإن كانت أغلبية أهل البلاد مسلمين ؛ خلاف إخوانهم بشمال نيجيريا الذين كانت بيئتهم شبه الإسلامية الصرفة.

(2)في الحكومة التي كانت بيدها الشئون الإدارية والسياسية في البلاد والتي تكوّنت من أغلبية النصرانية ؛ خلاف ما كان عليه الأمر في شمال الدولة الذي كانت الحكومة فيه شبه إسلامية.

(3)في أثرياء بلاد يوربا الذين لا تهتمّ أغلبيتهم بأمور الدين، ولو كان هؤلاء الأثرياء ينفقون في الدين كنظرائهم في شمال نيجيريا ؛ لتقدّم القراء في بلاد يوربا شيئاً ما.

(4)في عدم تشجيع القراء ببلاد يوربا على ما اختارهم الله عليه، فهم بذلك غير مطمئنين على أنفسهم من مصير هذا الاختيار، إذ النشاط رهينة التشجيع. فلم يكن هنالك من يشجعهم تجاه هذا الاختيار العظيم، فصاروا بذلك متقهقرين مهدَّدين بما ينفقون في رفع أصواتهم؛ ونشر تلاواتهم للقرآن لعوام المسلمين بمحيطهم.

ثم الكلام عن القراء المحظوظين بنشر القراءة عبر الأسطوانات والكاسيت ببلاد يوربا الذين كانت تفتخر البيئة بالسماع إلى قراءاتهم عبر الراديو والأسطوانات والكاسيت من أيام الاستقلال إلى عصرنا الراهن.

وفى الأخير نظر في حلّ المشاكل التي تجابه القراء في البلاد التي كانت بسببها دراسة موضوع هذا البحث، فاقترحنا لذلك بقَلْبِ سلبيات المشاكل إلى الإيجابيات، مما ينتوقّع أنها

ستكون بلسماً لإنضاج جروح القراء التي يُخشى اتساعها، عملاً بالأثر القائل : "داو جرحك لا يتّسع".

قبل الخوض في الموضوع، ينبغي أن نقدّم تعريفاً عابراً عن بعض كلمات الموضوع كالآتي :

- المشاكل : جمع مشكلة. وهي الأمر الصعب الملتبس{1}، أو الأمر الذي يصعب حلّه{2}.
- الْقُـرَّاء : بضم القاف وتشديد الراء، جمع القارئ، وخاصةً قراء القرآن العظيم. والْقَـرَّاء : بفتح القاف وتشديد الراء، اسم لرجل الحسن القراءة، وجمعه : قَرَّاؤون{3}. فالقراء إذاً، يحتمل المعنيين بضمّ القاف وفتحها. فهم إذاً، المهرة بقراءة القرآن الكريم تلاوةً وتجويداً وحفظاً.
- الْقُرْآن : مصدر "قَرَأَ يَقْرَأُ ويَقْرُؤُ قُرْءاً وقِرَاءَةً وقُرْآناً"، وهو لغةً : ما تُكرر قراءته بلا حدّ ولا نهاية. كما أنه جاء على معنى القراءة في قوله تعالى بسورة القيامة ﭽ ﭼ ﭽ القيامة: ١٨ أي قراءته.

وأما اصطلاحاً: فهو كلام الله المنزّل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، والمنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة. والقرآن عند أهل الحقّ، هو العلم اللدنّي الإجمالي، الجامع للحقائق كلها{4}.

- **وبلاد يوربا:** هي أقليم الجنوب الغربي بنيجيريا التي تشمل حالياً سبع ولايات، وهي: لَاغَوْس، وأَوْغُنْ، وأَوْيَوْ، وأَوْسُنْ، وأَوْنْدَوْ، وأَيْكِيتِي، وكُوَارَهْ.

دخل الإسلام بلاد اليوربا من مدينة "إِلَيْفَيْ" {Ile'fẹ} في القرن الثاني عشر على يد رجل هوساوي أو ملاوي يدعو أهلها إلى الإسلام، ولكن للأسف لم يتلبّ أحد لدعوته، فمات بها بعد أشهر. فقد وجد أهل البلد مصحفاً في حجرته وصاروا يقدسونه{5}. ثم دخل الإسلام في مدينة أَوْيَوْلَيْ {Ọyọ'le} في عهد منسى موسى سلطان مالي، وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي على يد الملاويين التجار والدعاة، فنسبوه إلى الملاويين وصاروا يسمونه بـدينهم؛ أي: "إِمَالَيْ" بمعنى: دين مالي{6}.

1- بداية قراءة القرآن الكريم في بلاد يوربا

تقتضي القسمة العقلية أن تسند الأمانات إلى أهلها. فالشخص الذي عرف أن دخل الإسلامُ على يده في أي قرية أو بلد هو بلا شكّ، أول قارئ للقرآن الكريم في القرية أو البلد. فالرجل الملاوي أو الهوساوي الذي أدخل الإسلام مدينةَ إِلَيْفَيْ على يده، هو القارئ الأول ببلاد يوربا على الإطلاق، إلا أن اسمه مجهول، وإنما عرفه أهل البلد حينذاك بـ"مَالَمْ" أو "أَلُوفَا". وأما القارئ الذي يعرف اسمه في بلاد يوربا، فهو الرجل النوفاوي الذي دخل مدينة أَوْيَوْلَيْ في القرن السادس عشر 1550م، في عهد ملكها "أَلَافِنْ أَجِيبَوْيَيْدَي" {Ajiboyede} واسمه بَابَايِغِي {Babayigi} أي: {أبو عقد النكاح} بن بَابَاكَيْوُ {Babakeu} أي: {أبو العلم}. أرسله والده بَابَاكَيْوُ إلى الملك أَجِيبَوْيَيْدَيْ بوثيقة حافلة بالوعظ والإرشاد، لِما بلغه من قتل هذا الملك عدداً من وزرائه إثر موت أول أولاده بعد حفلة تقام سنوياً بالبلد لمدة ثلاثة أشهر. جاءُوه يعزونه في ولده الفقيد، فشعر منهم السخرية، فأمر بقتلهم. ولما بلغ بَابَاكَيْوُ هذا الخبر الشنيع، بعث بولده المذكور ليعظه. فكان بَابَايِغِي بذلك أولَ قارئ للقرآن الكريم جهراً على الرءوس بمدينة

أَوْيَوْ، عاصمة بلاد يوربا حينذاك{7}. ذلك فيما غبر من الزمان في أولية دخول الإسلام ببلاد يوربا.

2- عهد ظهور العلماء ببلاد يوربا وقراء القرآن الكريم بها

يذكر التأريخ أن جماعة من العرب المعروفون بالشرفاء الذين نزلوا بقرية أَيَاجِي {Agbaji} بقرب من مدينة إلورن، ويقال إن هؤلاء العرب كانوا من بقايا بني أمية الذين فرّوا من بني العباس إلى السودان، ثم إلى برنو، ثم إلى أَيَاجِي ببلاد يوربا منذ منتصف القرن السابع عشر{8}. ويذكر التأريخ أن محمد بن الحاج غُمْصُو، الرجل العربي الذي نزل بمدينة أَوْيَوْلَيْ {Oyọ'le} في عهد الملك أَلَافِنْ أَبِيأَوْدُنْ {Alãfin Abiọdun} حوالي 1797م، فآواه الملك بقصره لتعليم أبنائه وأبناء حواشيه القرآن الكريم والشريعة{9}. كان هؤلاء العرب، هم قراء القرآن الكريم في عصرهم بقرية أَيَاجِي وإلورن. كما كان محمد بن الحاج غمصو قارئ القرآن العظيم بمدينة أويولي قبل نزول الشيخ صالح بن جنتا الفلاني الشهير بالعالم بالمدينة. والذي ألقى عصا ترحاله أخيراً بمدينة إلورن واتخذها مقراً لنفسه ولأولاده{10}.

ففي عام 1890م، نزل بلاغوس الرحالة، الشيخ عبد الكريم مرادي الطرابلسي الليبي، فأسس بلاغوس مدرسة لتعليم اللغة العربية والشريعة الإسلامية{11}. ثم نزل بلاغوس بعده الأستاذ مصطفى الشامي عام 1904م، وأسس هو الآخر بها طراز المدرسة. وكان لهذين الرجلين من العرب دور هام في قراءة القرآن الكريم ببلاد يوربا حينذاك. وأما الشيخ عبد الكريم مرادي الطرابلسي، فقد توفي بمدينة كنو عام 1926م{12}.

ثم ظهر جيل جديد من العلماء الذين نشط على أيديهم ما يعرف بعلم التجويد. وكان رائد هؤلاء بمدينة إلورن الشيخ محمد بن محمود بن شئت بن الشيخ صالح العالم المذكور. فقد ثقب اجتهادَه في تجويد القرآن وفي قراءاته بروايات مختلفة منذ منتصف القرن التاسع عشر.

ثم جاء بعد محمد محمود عالم بلاد يوربا قاطبة، الشيخ محمد بن عبد الله الأطركامي النوفاوي، الشهير بوزير بدا. فقد سافر هو مع والده إلى الحج، ومرّا في عودتهما بمصر، فتركه والده في القاهرة متعلماً في الأزهر الشريف. وقد مكث محمد الأُطركُمامي بالقاهرة سبعة أعوام، وعاد إلى نيجيريا عن طريق البحر، ونزل بمدينة لاغوس عام 1910م{13}.

لاحظ علماء لاغوس الدسمة العلمية من هذا العالم، فألحوا عليه ان يبقى كي يعلمهم القرآن، استجاب لدعوتهم، ومكث بلاغوس معلماً علماءها. ثم تقدّم إلى إبادن، فاستوقفه علماؤها وعلّمهم. ثم همّ القيام إلى بلده، فاستوقفه علماء إلورن وعلمهم كذلك؛ وهكذا إلى أن نزل ببلده عام 1920م. وكان بذلك أضحى محمد الأطركمامي معلمَ علماء بلاد يوربا على الإطلاق إلى أن وفته المنية في عام 1945م{14}.

كان الشيخ محمد وزير بدا، هو من عرف علماء بلاد يوربا علم التجويد على يده على حقيقته. وإن كانوا حينذاك متمكنين في نظريته أكثر من تطبيقه.

ثم جاء دور أمثال الشيخ كمال الدين الأدبي في إلورن، وهو من مواليد 1905م، وتوفي عام 2005م. والشيخ آدم عبد الله الإلوري في لاغوس، المولود عام 1917م، والمتوفى عام 1992م. والشيخ خراشي محمد الثاني في إبادن، ولد عام 1912م، وتوفي عام 1965م. والشيخ مرتضى عبد السلام في إبادن أيضاً، وهو مولود عام 1921م، والمتوفى 2007م؛ الذين تثقفوا باللغة العربية وآدابها وبالدراسات الإسلامية، عشوا مع العـرب، فأسسوا

المدارس العربية النظامية في المدن الثلاث المذكورة ببلاد يوربا؛ واستوردوا إلى مدارسهم علماء العرب من السودان ومن الأزهر الشريف في القاهرة، فتغير بذلك مجرى التعليم في بلاد يوربا من الأسلوب القديم إلى الأسلوب الحديث، بدءاً من 1945م الذي أسس فيه الشيخ خراشي محمد الثاني الإبادني مدرسته. ثم مركز التعليم العربي الإسلامي للشيخ آدم الإلوري الذي تم تأسيسه في لاغوس عام 1952م. ثم المعهد العربي النيجيري مؤسسة الشيخ مرتضى عبد السلام في إبادن عام 1958م. ثم معهد الأزهر الشريف، مؤسسة الشيخ كمال الدين الأدبي في إلورن عام 1960م. وإن قد كان لهؤلاء العلماء تلاميذ كبار تعلموا بحجورهم قبل تأسيسهم المدارس النظامية الحديثة. ثم وَالَى هؤلاء العلماء المذكورين في الحقل الشيخ عبد الباقي محمد بمدرسة جماعته "مدرسة إصلاح الدين" بمدينة إيوَوْ {Iwo}، وإلى هؤلاء الآباء وأمثالهم، ينتمي المتثقفون في اللغة العربية والدراسات الإسلامية في بلاد يوربا اليوم. هذا، وقد تغير وضع قراءة القرآن الكريم ببلاد يوربا اليوم بأثر هؤلاء الآباء العلماء إلى أن جاء العصر الحديث لتجويد القرآن في نيجيريا بالتحديد في عام 1982م. وعلى كلّ، فهؤلاء العلماء المؤسسون المدارس النظامية المذكورون، هم مربط الفرس لقراءة القرآن الكريم بالتجويد في عصرهم، قبل العصر الحديث.

3- قُرّاء القرآن الكريم في بلاد يوربا في عصرنا الراهن

فبلاد يوربا معروفة بمراكزها الإسلامية الثلاثة، والمراكز هي: مدينة إلورن، وإبادن، ولاغوس. فكان من هذه المدن الثلاث انتشر الإسلام وتعاليمه إلى بقية مدن بلاد يوربا، وخاصةً مدينة إلورن المنبع لهذه التعاليم من قَدَموسها.

فالقراء في بلاد يوربا في العصر الراهن - كما سبق أن ذكرنا - باللسان العصري، هم المهرة بقراءة القرآن الكريم تلاوةً وتجويداً وحفظاً. فهم بذلك غير القراء في العصر القديم، وعهد ظهور العلماء بها، حينما كانت التلاوة طلاوةً، والتجويد تجعيداً، وحفظ القرآن لديهم - حينذاك - عَفْساً.

لم يدخل تجويد القرآن الكريم وحفظه اللذَين صيرا المرتلين للقرآن قراءً بمعناه العصري إلا بنزول الشيخ أمين الله إبراهيم الإلُودُنِيّ الإلَوْرِنِيّ بمدينة إلورن بعد تخرجه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في السبعينيات القرن الماضي، وقد تخرج الشيخ أمين الله في الجامعة عام 1975م، وتخصص فيها في الشريعة الإسلامية، بالإضافة أنه التحق بحلقة التحفيظ وتجويد القرآن بالمدينة مما أهّله للانتساب إلى أهل القرآن وتجويده، وعاد إلى حافرته وخاصة مدينة إلورن مؤسساً لحلقة تحفيظ القرآن وتجويده بها. وكان الشيخ أمين الله إبراهيم من مواليد عام 1940م، وتوفي رحمه الله في 2012/3/22م.

الحقّ في أن الشيخ أمين الله لم يكن أول مجوّد للقرآن عرفته بلاد يوربا، فإنما قد سبقه بها الشيخ عبد الحفيظ أبو بكر اللاغوسي عام 1944م، وتعلّم في الأزهر الشريف بالقاهرة في كلية الشريعة والقانون، ومكث في القاهرة من بعد تخرجه في الأزهر أعواماً، وعاد إلى بلده عام 1958م، وصار مدرساً ورئيساً في مدارس جماعة أنصار الدين بمدينة لاغوس. وقد لازم الشيخ عبد الحفيظ أبو بكر مشاهير القراء إبَّان مكثه في القاهرة من أمثال الشيخ مصطفى إسماعيل، والشيخ عليّ البَنا، والشيخ خليل الحصري، والشيخ محمد الصديق المنشاوي، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد، وتأثر بهؤلاء القراء حتى يظنّ المستمع لتلاوته أنه متخصِّص في القراءة. وقد ظهر الشيخ عبد الحفيظ أبو بكر كالقارئ الأول بمعناه

العصري في بلاد يوربا، إلا أنه لم يكن له تلاميذ في الفنّ مثل ما كان للشيخ أمين الله إبراهيم في إلورن. ولقد كان الشيخ عبد الحفيظ أبو بكر ضمن القضاة في المسابقة القرآنية الوطنية بسوكوتو من عام 1986م إلى 1990م، وكان الآن أمير المسلمين في ولاية لاغوس قاطبة؛ وكان الشيخ عبد الحفيظ أبو بكر من مواليد لاغوس عام 1922م. وأما الشيخ أمين الله إبراهيم، فقد كان هو الآخر من القضاة للمسابقة القرآنية الوطنية بسوكوتو من بعد الشيخ عبد الحفيظ أبي بكر.

ذانك هما القارئان الأساسيان في مدينتي إلورن ولاغوس من المراكز الإسلامية في بلاد يوربا. وأما في مدينة إبادن، فيقال إن الشيخ عباس زكريا هو قارؤها ورائد تحفيظ القرآن وتجويده، بتأسيس معهده لتحفيظ القرآن بها. وإن كان قد سبقه بتأسيس طراز المدرسة بها السيد البروفيسور عيسى أَدَيْ {Ade} بلّو في عام 1991م، وكان حينذاك مديراً للندوة العالمية للشباب الإسلامي، وتمّ تأسيس الحلقة على نفقة الندوة المذكورة. وقد أورد البروفيسور عيسى إلى تلك الحلقة حينذاك قارئين من مدينة كَنَوْ، والقارئان: محمد الأول موسى، وأبو بكر زكريا. ثم تبعه الشيخ أحمد عبد الكريم أَيْلَيْنِيْأَيْرِنْ {Eleyin'erin} الإلورني أحد تلاميذ الشيخ أمين الله إبراهيم السالف الذكر، وأسس مركزه لتحفيظ القرآن بالمدينة عام 1992م. ثم جاء الشيخ عباس زكريا، وأسس معهده بإبادن في عام 1993م؛ وكان من المعهد - بإذن الله - انتشر القراء والمجودون في المدينة وما حولها، بل وإلى جميع بلاد يوربا على الإطلاق. لأن معهده وحده هو ما قدّر الله له البقاء من بين الحلقات القرآنية التي سبقته في المنطقة، والذي أنفق مؤسسه الغالي والنفيس في نشر الفنّ إلى ربوع بلاد يوربا.

4- إنتاجات الحلقات القرآنية ببلاد يوربا

بما أن التطور مفتاح الثقافة وكذا العكس، فقد كان ظهور المسابقة القرآنية في البلاد مفتاح بذل القراء الأُوّل قصارى جهودهم في تعليم وتخريج القراء المجودين في محيطهم، ليملأوا البلاد بمن يواصلون الأعمال القرائية إلى من دونهم من حياتهم ومن بعد مماتهم.

عرفت نيجيريا المسابقة القرآنية لأول مرة في عام 1986م من مركز الدراسات الإسلامية بجامعة سَوْكَوْتَوْ. ونشر المرحوم الدكتور عمر بلّو المحاضر بالجامعة والذي كان السكرتير العام للجنة المسابقة القرآنية بها، نشر رسالة الدعوة إلى الأمة الإسلامية بنيجيريا للمشاركة في المسابقة في عام 1985م[15].

فقد أجابت الأمّة من أقصا البلاد إلى أقصاها الدعوة بشغف، لِما في المشاركة في مثل ذلك العمل الخيري من الثواب والأجور. فوقعت المسابقة لأول مرة في مدينة سَوْكَوْتَوْ يوم السبت، اليوم السادس إلى الثاني عشر من محرم {6-1407/1/12ه} الموافق {9-1986/9/14م}. وإن قد سبقتها مسابقة قرآنية في بلاد يوربا بدار التلفزيون في مدينة أَبَيْكُوتَا {Abẹkuta} على شكل الاقتباس السماعي من المسابقة الدولية التي سبق إعلانها من جهة سَوْكَوْتَوْ، ولكن لم تقع بعد. وقد وقعت مسابقة أَبَيْكُوتَا في 1406/12/10ه الموافق 8/14/ 1986م؛ فقد سبقت مسابقة سَوْكَوْتَوْ الدولية بثلاثة أسابيع تقريباً.

كان بظهور المسابقة القرآنية في البلد أخاً مباركاً لتكثير وتخريج حفظة القرآن الكريم، فكم من المدارس القرآنية والحلقات التحفيظية ظهرت في الولايات النيجيرية كلها إسهاماً في

العمل الخيري؛ وكم من القراء الذين أنجبتهم هذه المدارس وصاروا في البلد أعلاماً في الميدان.

وبغض النظر عن جبلة القراء الظاهرين في بلاد هوسا بشمال نيجيريا، فهناك نظراؤهم ظهروا في بلاد يوربا في الجنوب، وإن كانوا دون القراء في الشمال كماً وكيفاً. وإذ لم يكن هذا البحث في قراء نيجيريا بأسرهم، بل مقتصر في قراء بلاد يوربا وحدهم. وسيذكر الباحث بعض مشاهير قرائها ما تتيح لنا الفرصة، وساعد عليه الحظّ في ذكرهم من إنتاجات المدارس التجويدية في المراكز الإسلامية الثلاثة ببلاد يوربا، بدءاً بمدينة إلورن، فإبادن، ثم لاغوس بالترتيب؛ بانتشارهم من هذه المراكز إلى بقية ولايات بلاد يوربا السبع. ثم الخوض في المشاكل التي تجابه هؤلاء القراء ببلادهم في الحقل، والتي هي خاتمة هذا البحث.

4: 1- قراء القرآن الكريم بولاية كُوَارَهْ

إنه لا يشك أحد في أن فضيلة الوالد الشيخ كمال الدين الأدبي، هو الرائد الأول لقراءة القرآن الكريم بالتجويد في مدينة إلورن بولاية كواره من أمس قديم. وكان له صوته الخاص الذي وضع لقراءته القرآن الذي يعرف بالصوت الأدبي، كان يقلده فيه تلاميذه وأتباعه.

وأما في عصرنا الراهن، فأوّل مجوّد كان يعرفه الوضع القرآني بمدينة إلورن، بل في ولاية كواره بعرْضها هو الشيخ أمين الله الذي سبق الكلام عليه؛ فقد جاء وأسَّس حلقته التجويدية بالبلد منذ الثمانينات من القرن الماضي.

ولما انتشرت المسابقة القرآنية في نيجيريا، جمع حملة القرآن من أهل البلد رءوسهم لتأسيس حلقة قرآنية خاصةً تقوم على عواتق الولاية، فاستوردوا من مَيْدُوغُورِي غَوْنِي الوالي إبراهيم بن عثمان كَوْلَوْمِي ليقوم بواجب التحفيظ لأبناء الولاية، وذلك في عام 1995م. ثم استوردوا من بعده غوني الغالي بِشارة عام 1997م لمواصلة العمل. وكان من هذين الحافظين انتشر القراء والمجودون في ولاية كواره{16}.

وأما القراء من انتاجات حلقة التحفيظ بولاية كواره، وكانوا من أبنائها؛ فأشهرهم: 1- سعيد أحمد الكاتبي. 2- عبد الرشيد أبو بكر. 3- خالد بلّو غنبري. 4- عبد الوهاب عبد الحيّ. 5- مسعود محمد الهادي. 6- أحمد محمد الهادي، وكان الأخيران من أبناء مدينة أَوْيَوْ المستوطنين مدينة إلورن{17}.

وأما في مدينة أَوْفَا {Ọfa} بالولاية، فقد قام الشيخ يونس غِوَا{18} بتأسيس مدرسة التحفيظ بها عام 1996م وسماها خلوةً. وقد أورد غوني أحمد الكانوري إلى المدينة للتحفيظ بها. ولما غادر المذكور البلد، قام بتأييد المؤسس فيها الأخ مسعود إبراهيم الذي قرأ على الشيخ القاضي محمد سنبو بمدينة منى، في ولاية نيجر. ثم استورد الشيخ غِوا إبراهيم محمد الثاني الإلورني المركزي إلى الخلوة. ثم اتصل الشيخ يونس غِوَا بالشيخ عباي زكريا لاستيراد المحفظين من معهده بإبادن. فوجّه عباس زكريا إسماعيلَ صلاح الدين الإيوَوْوِي إلى الخلوة، ثم وجّه إسحاق هاشم وآخرين من بعده إلى المدرسة بأَوْفَا{19}.

4: 2- قراء القرآن الكريم بولاية أَوْيَوْ

سبق أن أورد الباحث أن البروفيسور عيسى أَدَيْ بلّو أسس حلقة تحفيظ القرآن الكريم بمدينة إبادن على نفقة الندوة العالمية للشباب الإسلامي عام 1991م. وأورد إلى حلقته محمد الأول موسى وأبا بكر زكريا من مدينة كَنَوْ. ثم جاء الشيخ أحمد عبد الكريم أَيْلَيْبِنْأَيْرِنْ

الإلورني، وأسس مدرسته مركز إحياء الدين لتجويد القرآن بها عام 1992م. وإن كانت حلقة الندوة للأسف قد غلقت على وجهها الثورة الانتخابية الوطنية في عام 1993م التي انتصر فيها الزعيم مسعود أَبِيأَوْلَا {Abiọla}، ولم يبق من أثرها بالبلد إلا الدكتور عبد القادر عبد اللطيف الإيوَوْوِي، وعبد الرحمن إسحاق أَنِيمَاشَهُنْ {Animashahun}، وعبد الغني دَادَا {Dada} الذين كانوا ثمرة الحلقة؛ ثم انتقل هؤلاء الثلاثة بعد مغادرة أستاذَيْهم من بعد فتنة الثورة إلى معهد زكريا لتحفيظ القرآن والتعليم العربي لإكمال دراساتهم التجويدية. وكذلك مركز الشيخ أحمد عبد الكريم أَيْلَيْبِيْنْأَيْرِنْ الذي تقهقر شيئاً ما من بعد ظهور معهد زكريا، ثم كان يستورد المحفظين من المعهد إلى مركزه.

وأما القراء في ولاية أَوْيَوْ، فيشهد العوام أن جلّهم بل خمسة والتسعين في المائة منهم كانوا من إنتاجات معهد زكريا، وكانوا عديدين منذ أن تأسّس المعهد في 1993م، وكان يُخرِّج المعهد على الأقل كل عام عشرين إلى أربعين قارئاً.

وأما القراء من خريجي معهد زكريا، فبواكيرهم هم الذين سبق - في أول الوهلة - أن انخرطوا في المسابقة القرآنية الوطنية بنيجيريا من الولاية، واشتهروا كالقراء والمجودين بها وفي ضواحيها، فمنهم:

1- عبد الرحمن إسحاق أَنِيمَاشَهُنْ. 2- الدكتور عبد القادر عبد اللطيف. 3- سليم محمد الأول. 4- سليمان محمد الأول أَمُوبِيأَيْيَا {Amubiẹya}. 5- سعيد عاقب محمد الراجي. 6- يعقوب عبد الرحيم تِيتِيلَوْبَيْ {Titilọpẹ}. 7- عبد الحفيظ مسعود. 8- إبراهيم محمد الأول. 9- عبد الباسط عباس زكريا. 10- سليمان عبد الرءوف بدماصي، والحاجة حسنة عبد الحميد، وآخرون.

فهؤلاء من المحظوظين في المشاركة في المسابقة القرآنية الدولية منذ إنشائها، وهناك كثيرون من القراء منتشرين ببلاد يوربا كمحفِّظين، وأئمة المساجد، والرقاة للمصابين؛ فهؤلاء كالرقم الخيالي لا يمكن إحصاؤهم. ولكن مع ذلك، لا ينبغي أن نتغافل ذكر أمثال الأخ عبد المجيد حاشر الكِشْوي وزوجته نفيسة صلاح الدين اللذين استقرّا بمدينة كِشِي {Kishi} بمحفظة أَوْكَيْأَوْغُنْ {Oke'ogun} في الولاية، وأسسا بها مدرسة تحفيظ القرآن وتجويده المسماة:"مؤسسة اقرأ العلمية". كما لا ننسى الأخ قاسم محمد الجامع أَبِيأَوْدُنْ {Abiọdun} الإِكِرَيْوِي وامرأته ميمونة أَيَيْنِي {Ayẹni} اللذين توجّها إلى مدينة إِسَيِنْ {Isẹyin} وأسسا بها مدرسة مسماة:"معهد الجامع لتحفيظ القرآن والتعليم العربي". وكذلك إبراهيم محمد الأول، مؤسس:"معهد الثاني لتحفيظ القرآن والتعليم العربي" بحارة أَوْجَيْ {Oje} إبادن. وإسحاق شئت، مؤسس:"معهد شئت السلفي لتحفيظ القرآن الكريم" بحارة مسلم في إبادن. وكذلك كمال الدين مسعود أَكِنْأَوْلَا {Akinọla} مؤسس المركز الإسلامي لتحفيظ القرآن والسنة النبوية بمسجد أَوْلَامِينِي {Ọlamini} بإبادن.

4: 3- قراء القرآن الكريم بولاية لاغوس

إنه لا ينكر أحد نشاط الشيخ آدم عبد الله الإلوري الفعال في خدمته الإسلام واللغة العربية بتأسيسه مدرسته المسماة:"مركز التعليم العربي الإسلامي" في لاغوس عام 1952م. فبما أن الشيخ آدم من المتثقفين في الإسلام واللغة العربية ببلاد يوربا، ومن أوائل الذين خرجوا إلى البلاد العربية للتعليم في العلم عام 1946م، تأثر كثيراً بقراء العرب في مصر، وصار

يقرأ القرآن بالتجويد وبصوت محليّ رصين أنشأه من عنديته، وعرف بالصوت الآدمي المركزي.

اشتهر الشيخ آدم بصوته المركزي لقراءة القرآن في مجالس الوعظ والتفسير في رمضان وفي المناسبات الإسلامية، وقلّده فيه تلاميذه، فكان بالشيخ آدم ظهرت القراءة المجودة لأول مرة في لاغوس.

وأما القراء في لاغوس بالمعنى العصري، فكان الشيخ عبد الحفيظ أبو بكر اللاغوسي الأزهري أول قارئ بها. إذ كان يدعى إلى الحفلات للقراءة، فيظهر في زيّه الأزهري مرتلاً القرآن مثل القراء المصريين، وكان الشيخ عبد الحفيظ آية في محاكاة الشيخ مصطفى إسماعيل المصري في أداء القراءة{20}.

ثم ظهر بعد الشيخ عبد الحفيظ أبو بكر في الميدان في لاغوس الشيخ مرتضى عمران الذي تعلّم في لندن وتخصص بها في الحساب، ثم تقدّم إلى الهند وحفظ القرآن بها في 1980م. وقد كان الأخ مرتضى عمران رحّالاً، نزل بزامبيا، وأسس حلقة التحفيظ بها. ثم عاد إلى نيجيريا، وأسس مدرسة التحفيظ بحيّ أَوْلُوتِي {Oluti} في لاغوس 1987م{21}، فظهر بذلك حفظة القرآن الكريم في لاغوس. وكان الشيخ مرتضى عمران من مواليد عام 1375ه/1956م.

ثم ظهر من بعد الشيخ مرتضى عمران في لاغوس الشيخ الدكتور لقمان جمعة الذي تعلّم تجويد القرآن الكريم في كتشنا إبان خدمته الوطنية في الولاية بعد تخرجه في جامعة إلورن عام 1988م. ففي دراسته لدرجة الماجستير في جامعة إبادن عام 1994م، عمد في الكتابة في رواية ورش عن نافع، الأمر الذي حمله على الاستقصاء في البحث عن علم التجويد والقراءات حتى ظهر من يشار إليه بالبنان في الحقل. وقد توظّف الأخ لقمان لجامعة ولاية لاغوس محاضراً، وأسس لإعداد المتسابقين في المسابقة القرآنية حلقة التحفيظ بحارة مُوشِنْ {Mushin} في لاغوس. وكان يساعده فيها الأخ منصور بوصيري كَوْلَاوَوْلَيْ {Kọlawọle} أحد الدفعة الأولى من خريجي معهد زكريا في إبادن. وكان الدكتور لقمان جمعة محاضراً في جامعة ولاية كواره حالياً، وهو من مواليد 1964م{22}.

ظهر من بعد هؤلاء العلماء في لاغوس قراء من الشباب ولا سيما من خريجي معهد زكريا بإبادن، فمنهم: محمد مطيع الله أمين، وقاسم إسماعيل، ومطيع عبد الكريم، وإسماعيل عالم أَوْلَايِيدَيْ {Ọlayide}، وتوحيد صلاح الدين أَبِيأَوْلَا {Abiọla}، وتوحيد عبد الغني، وإدريس يحيى، ومحيي الدين عبد العزيز؛ وآخرون{23}.

4: 4- قراء القرآن الكريم بولاية أَوْغُنْ

كانت لجمعية الأحمدية قصب السبق في القراءة المجودة في ولاية أَوْغُنْ، فقد تمركزت الجمعية بمدينة إِلَارَوْ {Ilaro} في الولاية، وأسست بها مدرسة التحفيظ وتعليم العلوم العربية والإسلامية والغربية معاً في عام 1996م، وسميت:"الجامعة الأحمدية" اعتباراً لما ستكون.

أخذت هذه الجمعية ترسل من أعضائها إلى الجامعة الأحمدية بمدينة رَبْوَة في الباكستان من العام المذكور لمجابهة حفظ القرآن الكريم بها. فقد نجح من هؤلاء الأخ عبد الغني شَوْبَامْبِي {Shobambi} وسليمان داود، ومصلح الدين أَوْبَايَيْمِي {Ọpayẹmi}، وشقيقان مبارك وعبد القدّوس إِكُوكَوْيِي {Ikukoyi}. ثم وجّه الشيخ عباس زكريا عبدَ الحفيظ مسعود أحد

تلاميذه إلى هذه الجامعة محفّظاً عن طلب في عام 1999م، وكان عبد الحفيظ ضمن القضاة الوطنيين للمسابقة القرآنية من جهة سوكوتو اليوم، منذ عام 2015م.

كان أحد حذاق القراء في ولاية أَوْغُنْ الأخ عبد اللطيف أَوْلَادِيمَيْجِي {Ọladimeji} محمد البشير أحد أبناء الولاية، تمركز في بلده أَبَيْكُوتَا محاضراً في جامعة كِرْسَيْنت ومحفّظاً في حلقته، وكان من خريجي معهد زكريا بإبادن؛ والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ثم كان معه في الولاية عدد من خريجي معهد الشيخ عباس زكريا في مدارس شتى منذ عقدين من الزمن، من أمثال: محمد البشير محمد الجامع إلى أَبِيغِي {Abigi} منذ عام 1997م، وعبد الحكيم عبد الكريم، وبشير عبد العزيز، الذين بعثا إلى إِجَيْبُو إِبَوْ {Ijẹbu Igbo} قارئين محفظين في مدرسة الدكتور عبد الرفيع بوصيري عام 2000م. وكذلك منصور بوصيري، وكمال الدين عبد الحميد، وعبد السميع داود، وسليمان محمد الرابع، وعبد العزيز محمد الأول، وسعد عبد الغني، وعبد المؤمن محمد الأول، ومحمد الجامع عبد الرزاق، ومعروف يوسف، وإسحاق أَدَيْنِيرَنْ، وعبد العظيم محمد الأول، وشريفة سعيد آيْدُو {Edu}، فكل هؤلاء تم إرسالهم إلى مدرسة فَانَغَارِدْ {Vanguard} بقرب من مدينة أَيْبَيْ {Ẹpẹ} قارئين محفظين.

وأما في مدينة أَبَيْكُوتَا، فكان يونس تيجاني مبعوثا إلى مدرسة الحاج أَوْلَا {Ọla} يوسف محفظاً. ثم إسحاق محمد الرابع،وإبراهيم بدماصي، وعبد الرحمن صلاح الدين، وقمر الدين نور الدين أَبِيدَيْمِي {Abidemi} إلى مدرسة الهدى لتحفيظ القرآن بأَبَيْكُوتَا محفظين. وأما في جهة إِيَيْوَا {Iyewa}، فكان عبد الرحيم عبد العزيز متربّعاً ومحفّظاً بها مع أخيه الأكبر يوسف؛ لنذكر القليل[24].

4: 5- قراء القرآن الكريم بولاية أَوْسُنْ

لم يكن بولاية أَوْشُنْ كبار من القراء بالمعنى العصري، وإنما كان كلهم من الشباب. ولم يعرف من القراء بها حين نهوض المسابقة القرآنية إلا الأخ عبد الكبير غزالي بن بخاري وصديقه معروف عبد الحليم بمدينة إِيوَوْ {Iwo}، وكانا من خريجي مدرسة إصلاح الدين التي كان يديرها الشيخ عبد الباقي محمد.

ففي عام 1996م، نزلت بمدينة إبادن مؤسسة إسلامية من المملكة العربية السعودية تعرف بـ"مؤسسة الحرمين الخيرية"، وكان من نشاط هذه المؤسسة تحفيظ القرآن الكريم. ولما كان تخريج الدفعة الأولى من معهد زكريا لتحفيظ القرآن والتعليم العربي بإبادن في عام 1995م، وجاءت هذه المؤسسة بمنهج التحفيظ بدون إيراد المحفظين لا من المملكة العربية السعودية ولا من شمال نيجيريا، أصبح لزاماً أن تبحث عن المحفظين، فوافق شنّها طبقة معهد زكريا، فوظّفت سليم محمد الأول، وسعيد عاقب محمد الراجي، وسليمان محمد الأول، ويعقوب عبد الرحيم تِيتِيلَوْبَيْ {Titilọpẹ}، وحسنة عبد الحميد لبدإ العمل بمقرها بحارة بَاشَوْرُنْ {Basọrun} في إبادن. ثم نُقل سليم محمد الأول بعد عام إلى مدينة إِيوَوْ لبدإ طراز العمل بها.

ثم وظفت المؤسسة عبد الكبير غزالي ومعروف عبد الحليم لمساعدة سليم في العمل بالمدينة، ثُمَّ تَمَّ توظيف المؤسسة عبد المجيد عبد الجبار في المدرسة. ثم فُتح فرع المدرسة ببلدة أَوْيَايَا {Ọgbãgba} بقرب إِيوَوْ، فوظف بها منير الدين عبد الحميد، وسليمان أَيِيلَارَا {Ayilara}، وإسحاق هاشم، ويعقوب عبد الحميد الإيووي المحفظ بمدرسة الشيخ صلاح

الدين أَوْلَايِيوَوْلَا {Ọlayiwọla} بمدينة أَيْدَيْ {Ẹdẹ}، وكان كلهم من خريجي معهد زكريا بإبادن{25}. ثم ظهر الأخ ذكر الله محمد الثاني في الولاية قارئاً مجوّداً.

4: 6- قراء القرآن الكريم بولاية أَوْندَوْ

كان إبراهيم عبد الرشيد أَوْلَانْرَيْوَاجُو {Ọlanrewaju} قارئاً ومحفظاً في مدرسته: "معهد الرشيد لتحفيظ القرآن" بمدينة أَكُورَيْ {Akurẹ} في الولاية، وكان من خريجي معهد زكريا بإبادن. ثم والاه فيها الإمام حسن رماد البرناوي، نزيل مدينة أَكُورَيْ، وقد أسس مدرسته "مدرسة ابن عفان لتحفيظ القرآن" بها{26}.

4: 7- قراء القرآن الكريم بولاية أَيْكِيتِي

فأشهر المهتمين بقراءة القرآن الكريم في هذه الولاية اثنان، سليمان أَوْمَاتَادَيْ {Ọmọtade}، ومحمد طه إسماعيل، ثم ولاهما بها أبو بكر بلّو عبد الرزاق. وكانت الولاية بحاجة إلى القراء الذين يساعدون المذكورين في الميدان.

إلا في هذه الآونة التي كان بعض الآباء في الولاية، يوجّهون أبناءهم إلى القارئ كمال الدين مسعود أَكِنْأَوْلَا {Akinọla} في إبادن، الذي كان عددٌ من أبناء ولايتي أَوْندَوْ وأَيْكِيتِي يفدون إليه للقراءة والحفظ، وقد نجح الأخ في تدريب هؤلاء في مختلف الروايات، وكانوا من يشاركون حالياً في المسابقة الوطنية؛ وكان كمال الدين المذكور أحد خريجي معهد زكريا بإبادن{27}.

5- نشر القراءة عبر الأسطوانات والكاسيت ببلاد يوربا

تأثرت البيئة اليورباوية في قراء القرآن الكريم و نشره عبر الراديو والأسطوانات والكاسيت. فقد اقتفى الفصحاء من علماء بلاد يوربا أثر الشعراء في البلاد الذين ينشرون أغانيهم عبر الراديو والأسطوانات والكاسيت، إذ هم أول المثقّفين المهتدين إلى هذه الصناعة في طول وعرض بلاد نيجيريا.

كان الشيخ مصطفى قاسم أَيْكَيْمَادَيْ {Ekẹmọde} أول عالم، تم له نشر قراءة القرآن الكريم عبر الراديو والأسطوانات في بلاد يوربا، وكان الشيخ المذكور من أوائل أئمة جماعة أنصار الدين بمدينة لاغوس. ثم اقتفاه في ذلك الشيخ حسن دِنْدِي {Dindi}، إمام جماعة نوّار الدين في لاغوس. ثم والاهما الشيخ حمزة أَجِيكَنْلَيْ {Ajikanle} وابناؤه مسعود وعبد الرشيد في إبادن. ثم جاء بعدهم الشيخ حسن محمد، رئيس قسم الشئون الإسلامية بدار إذاعة نيجيريا في إِكَوْيِي {Ikoyi} لاغوس؛ كان كل ذلك من ثنايا الستينات من القرن الماضي. ثم ظهر بعد هؤلاء الشيخ أحمد أَلَايَيْ {Alaye} في مدينة إلورن. ثم ابن جلا الوعظ اليورباوي الشيخ محيي الدين أَجَانِي بلّو الإبادني المستوطن بمدينة كَنَوْ، وكان ظهور الأخيرين في مطلع السبعينات من القرن الماضي؛ ولم يبق من المذكورين في قيد الحياة اليوم إلا أحمد أَلَايَيْ ومحيي الدين، ثم لم يبق على المسرح في البلد حتى الآن إلا محيي الدين أَجَانِي وحده.

فقراءة هؤلاء العلماء الأجلاء على هذا الجهاز حينذاك لم تكن مجوّدة المائة في المائة، إذ لم يظهر علم التجويد على حقيقته في نيجيريا في ذلك الوقت إلا في عام 1982م{28}.

وأما القراء اليورباويون المجوّدون المحظوظون بنشر القراءة عبر الراديو والأسطوانات أو الكاسيت في عصرنا الراهن، فهم على ضربين: 1- الذين أيّدهم الله بنشر القرآن الكريم بأكملــه. 2- الذين كان حظّهم نشر بعض سور منه.

1/ أما الذين كان حظّهم نشر القرآن الكريم بأكمله وهم خمسة:

(أ) الشيخ محمد الرءوف محمد المصطفى، شاء القدر أن سجل القرآن الكريم عام 1989م عن طلب الحاكم الولائي بولاية أَوْيَوْ حينذاك، الحاكم شَوْدَيْ {Shode}. كان الشيخ مكلّفاً بقراءة القرآن الكريم في حفلة كبيرة حضرها الحاكم المذكور في إبادن، فطلب من الشيخ القَرَّاء قراءة القرآن الكريم بأكمله في الكاسيت للاستماع. وكان الشيخ محمد الرءوف من مواليد 1940م، وكان عالماً قديراً في البلد، وأستاذاً في المعهد العربي النيجيري في مدينة إبادن الذي تخرج على يده في المعهد هذا الباحث والشيخ محيي الدين أَجَانِي بلّو المذكور قريباً.

(ب) محبوب بن محمد المدّثّر: نشر الولد المبارك فيه القرآن الكريم بأكمله حديثاً على القرص المدمج برواية قالون عن نافع، وتمّ له التدشين للنشر يوم الأحد 5/29/ 2016م ببلده مدينة إِيوَوْ، وكان الولد تلميذاً للأخ كمال الدين مسعود أَكِنْأَوْلَا؛ الذي قد تقدّم ذكره في مدينة إبادن. وكان الولد المبارك من مواليد عام 2000م.

(ج) إبراهيم محمد الأول، بدأ بالتسجيل منذ عام 2004م بسور من القرآن في الأقراص بالتنغيم؛ ثم خاض في تسجيل القرآن الكريم بأكمله برواية حفص عن عاصم، وتم له ذلك عام 2017م. ثم بدأ بتسجيل آخر للقرآن بأكمله برواية ورش في العام نفسه؛ وكان المذكور مشهوراً ضمن المشاركين في المسابقة القرآنية الوطنية للقرآن والتفسير، وملازماً لرواية الدوري في المسابقات؛ وكان إبراهيم من مواليد 1978م.

(د) عبد الباسط عباس زكريا: بدأ بتسجيل القرآن الكريم بأكمله في رواية حفص حديثاً عام 2017م، وولد عام 1984م.

(ه) عادل عباس زكريا، بدأ بنشر بعض من السور القرآنية في رمضان عام 2016م عبر القرص مرتلاً، ثم شرع في تسجيل القرآن بأكمله برواية حفص عام 2017م؛ وكان عادل من مواليد 1988م.

2/ أما القسم الثاني من القراء اليورباويين الذين تم لهم تسجيل بعض السور من القرآن الكريم بإذن الله، فهم كالآتي:

(أ) عباس زكريا القارئ الإبادني: وقد بدأ بتسجيل القراءة للقرآن الكريم منذ عام 1978م، وتمّ له النشر لأول مرة سورة يــس في العام المذكور على الأسطوانات محاكياً التنغيم العبسطي في القراءة. ثم تقدّم لنشر سورة الواقعة، والرحمن، ومريم، وآيات من سورة البقرة، وجزء عمّ عبر الكاسيت على طلب العوام والطلاب.

ففي عام 1984م، استدعته دار إذاعة كنو لتسجيل لها قراءة القرآن الكريم للنشر أيام الجمعة وقبل صلاة الجمعة، فتم له التسجيل للإذاعة على يد السيد يوشع يحيى رئيس قسم التسجيل بدار الإذاعة. ثم تمّ له التسجيل في العام نفسه بدار تلفزيون كنو {CTV} للنشر مساء الجمعة بعد صلاة المغرب مباشرة.

ذلك كله في مدينة كنو، ولما عاد إلى حافرته إبادن عام 1993م، رحّبه أهلها، فأصبح يقرأ لكلي الإذاعة والتلفزيون بها إلى أن صرف همته عن ذلك لتراكم الواجبات؛ وكان عباس زكريا من مواليد عام 1372ه/1952م.

(ب) إسحاق شئت، وهو زميل إبراهيم محمد الأول في معهد زكريا. تم له النشر للقرآن الكريم مثل زميله في عام 2004م على القرص وبالتنغيم أيضاً؛ وكان من مواليد 1979م.

(ج) إسحاق مسعود أَبَوْلَوْرَيْ {Abọlọrẹ}، بدأ هو الآخر بالتسجيل للقرآن الكريم بالتنغيم عبر القرص عام 2005م، وقد سبق المذكورُ إبراهيمَ وإسحاق شئت في معهد زكريا، وكان من مواليد 1975م. وهو الآن في دولة القطر.

(د) عادل عباس زكرياء نشر بعض السور القرآنية حديثا في رمضان عام 2016م عبر القرص المدمج , وكان عادلا من مواليد 1988م

هذا، ويلاحظ أن تكلفة التسجيل والإنتاج غالبا ما تكون على عواتق المقريء نفسه حيث لا تتكفل بذلك جهة معينة او أفراد

6- المشاكل التي تواجه قراء القرآن الكريم في بلاد يوربا

إن لقراءة القرآن الكريم قراءة وتدريسا في بلاد اليوربا مشاكل كثيرة لا سيما إذا تم مقارنة ذلك مع زملائهم في شمال نيجيريا،فمن هذه المشاكل ما يلي:

(1)كانت البيئة الشمالية في نيجيريا شبه بيئة إسلامية بحت، الأمر الذي أكسب القراء فيها الشهرة العريضة لدى العوام، وهيمنهم شبه التصويت لنشاطهم القرائي، فارتفع بذلك شأنهم، وتمّ لهم النجاح البارز في الميدان.

وأما القراء ببلاد يوربا، فهم خلاف إخوانهم بشمال نيجيريا لأن بيئتهم مختلطة بالمسلمين والنصرانيين، وإن كانت نسبة المسلمين فيها أكثر من النصرانيين. فهذا بلا شكّ مجلبة للنزعة الناتجة من عدم الاتفاق الديني.

(2)إن الحكومة بشمال نيجيريا شبه حكومة إسلامية إذ تتحمل الكثير من أنشطة الإسلام على عاتقها، وتنفق له ولكل ما يمتّ إلى الإسلام بصلة من أمثال المسابقة القرآنية، فتنفق لكل ذلك من ميزانية البيئة.

وأما في بلاد يوربا، فأكثر الإداريين من النصارى الذين لهم قصب السبق في الثقافة الغربية التي هي ثقافة المستعمرين أهل الحلّ والعقد والزعامة الإداريــة. فكثيرا ما تغري الإداريون النصارى إخوانهم على المسلمين بحجة التهميش علما بأن مصاريف الحكومات جلها في أيديهم على حدّ قولهم: "ضربني وبكى، وسبقني وشكى".

(3)أن الأثرياء بكثرتهم في شمال نيجيريا مهتمون بالإسلام، متزودون لإنفاق الغالي والنفيس كلما ظهر للإسلام مجلبة للإنفاق.

وأما في بلاد يوربا، فأثرياء المسلمين فيها لا يهتمون بالإنفاق على الإسلام مثل ما كان لنظرائهم بشمال نيجيريا لتأثير البيئة فيهم. وبدلاً، قد يفضل بعض منهم النفقة للشعراء والمغنّين الذين يمدحونهم عبر الأسطوانات والكاسيت. إلا أمثال الزعيم مسعود كَاشِيمَاوَوْ أَبِيأَوْلَا {Kasimãwo Abiọla}، والحاج عبد الوهاب فَوْلَاوِيَوْ {Fọlawiyọ} في لاغوس. والحاج جبريل مَاتِيسْ كُويَيْ {Martins Kuyẹ} في أَبَيْأَوْكُوتَا بولاية أَوْغُنْ. والحاج عبد العزيز أَرِيشَيْكَوْلَا أَلَاهَوْ {Alao}، والحاج مفتاح أَجَادِي أَوْلَانِهُنْ {Ajadi Ọlanihun}،

والحاج عبد الرشيد أَدَيْسَوْكَنْ {Adesọkan} في إبادن. فهؤلاء المذكورون، هم خيار أثرياء المسلمين الذين يهتمون بالنفقة على الإسلام في بلاد يوربا.

إلا أن المأسوف عليه أنه لم يبق منهم اليوم إلا جبريل مَاتِيسْ كُويَيْ في أَبَيْأَوْكُوتَا، وعبد الرشيد أَدَيْسَوْكَنْ في إبادن اللذين كانا أصلاً دون الباقين في البسطة؛ فندعو لهما حياة طويلة في خدمة الإسلام.

(4)أن القراء بشمال نيجيريا آمنون مطمئنون على ما جُبلوا من وجود من يضافرهم على تنفيذه من تدعيم مدارسهم وكل ما يتعلق بشئون المسابقات.

وأما القراء في بلاد يوربا، فهم بأمور أنفسهم أدرى. ليس هناك من وَكَلَهُم بأمر فيشفق عليهم فيه. فمن أسس معهداً أو مدرسة فلنفسه. إلا بعضاً من المحظوظين منهم - في الآونة الأخيرة - قد يتلقى دعماً من قبل بعض المحسنين من المملكة العربية السعوديــة، فتُبنى له فصول، أو يعطى بعض المنح الدراسية أو الدعم المالي.

7- اقتراحات لحلّ المشاكل التي يعانيها القراء ببلاد يوربا

(1)أن يزيد جمهور العلماء ببلاد يوربا - بغضّ النظر عن كونهم من أهل الفنّ – أن يزيدوا في نشاطاتهم الدعوية وحركاتهم الوعظية لإبلاغ الأمة الإسلامية بها لزوم القيام والاعتناء بالإسلام أكثر من اعتنائهم بأمور الدنيا، والهيمنة على نشاطاته المختلفة، والإنفاق عليها، ونشر التعاليم الإسلامية بتأسيس المدارس العربية والحلقات القرآنية.

(2)أن تُوَحِّد صفوف الجماعاتُ الإسلاميةُ بكثرتها في بلاد يوربا أصواتهم{29}، وإعلائه ورفعه إلى الحكومة مطالبين اعتنائها بالإسلام وبالمسلمين ببلادهم. فتنفق لهم من ميزانية البلد لسد بعض حاجاتهم الدينية، كما يلاحظ نفس المسار مع الجماعات النصرانية.

(3)أن يقوم الأثرياء المسلمون ببلاد يوربا بإنفاق الغالي والنفيس من أرزاقهم في الإسلام بتأسيس المدارس العربية الإسلامية والحلقات القرآنية التجويدية لتخريج الحفظة والقراء، وأن يضافروا المتسابقين عند حلول المسابقة بإيوائهم حيث يُعِدّون أنفسهم لمراجعة محفوظاتهم قبل يوم المسابقة بغية التفوّق؛ وهذا أمر لا عهد له في بلاد يوربا إلا نزراً.

فقد كان المرحوم الحاج عبد العزيز أَرِيشَيْكَوْلَا وحده من تكفل بأمر المسابقة القرآنية في إبادن، فيأوي ببيته الذي أخصّ لذلك المتسابقين من ولاية أَوْيَوْ، ومن ولاية أَوْغُنْ ولاغوس أحياناً، فينفق على إطعامهم في مدّة إقامتهم في المكان. مات أَرِيشَيْكَوْلَا منذ عام 2014م، ولم يجد أهل بلاد يوربا من يملأ الفراغ الذي تركه حتى الآن.

(4)القراء في بلاد يوربا في قلق عظيم بالنسبة ما يجابهون من التحديات، فهم غير آمنين ولا مطمئنين على أمورهم.

إنما النجاح البارز تابع لمعاضدة الأنصار، فالنجاح البارز الذي كان عليه قراء شمال نيجيريا إنما تلقى قيامَ الأنصار نحوهم من فقه البيئة، مما أحازهم قصب السبق في الأمور الدينية الإسلامية، وكل ما يمتّ إليه بصلة، البيئة شبه العارية عن الصراع الديني.

(5)تمديد النظام الدعوي الإسلامي بطريقة معاصرة حيث يتكفل فيها ضعاف القلوب من المسلمين وغيرهم حتى تقوي شوكة الإسلام والمسلمين في البلاد

فعسى الله أن يؤيّد المسلمين ببلاد يوربا للغلبة على أعدائهم الألداء، ويدركهم بركب إخوانهم بشمال نيجيربا في القرآن وحفظه وتجويده؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً. فهذه البحث بموضوع: "المشاكل التي تواجه قراء القرآن الكريم في بلاد يوربا". فقد ناقش الباحث الموضوع بشرح مفرداته، ثم ذكر أولية قراءة القرآن الكريم في بلاد يوربا، ثم عهد ظهور العلماء ببلاد يوربا وقراء القرآن الكريم بـها، ثم قراءة القرآن الكريم في البلاد في عصرنا الراهن، ثم ساهم الباحث إنتاجات الحلقات القرآنية في الولايات السبع ببلاد يوربا، ثم القراء المحظوظين بالتسجيل للقرآن عبر الراديو والأسطوانات والكاسيت ببلاد يوربا قديماً وحديثاً، ثم ناقش المشاكل التي تواجه القراء في البلاد، كما أنه جاء باقتراحات لحلّ هذه المشاكل.

الهوامش والمراجع

(1) جبران مسعود: رائد الطلاب، "الطبعة الأولى" المطابع الأهلية اللبنانية بيروت – لبنان، {1967م}؛ ص – 843.
(2) يوسف محمد البقاعي: قاموس الطلاب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، {1422ه/2001م}؛ ص - 640.
(3) لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، لدار المشرق ببيروت؛ "الطبعة السابعة والعشرون" {1986م}، ص - 617.
(4) عليّ بن محمد الجرجاني: معجم التعريفات، طبعة دار الفضيلة بالقاهرة، {2004م}؛ ص – 146.
(5) آدم عبد الله الإلوري: نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، "الطبعة الثالثة"، مكتبة وهبة بالقاهرة؛ {1411ه/1990م}، ص – 32.
(6) آدم عبد الله الإلوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، "الطبعة الثانية"، {1398ه/1978م}، ص – 33.
(7) مصطفى زغلول السنوسي: أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا، "الطبعة الأولى"، شركة تكنو برس الحديثة، بيروت – لبنان، {1407ه/1987م}، ص – 92.
(8) عباس زكريا القارئ الإبادني: التجويد في نيجيريا: تاريخه وعلماؤه، "الطبعة الثانية"، مطبعة ديلايت إبادن نيجيريا، {1434ه/2013م}؛ ص -21. نقلاً من نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، للشيخ آدم عبد الله الإلوري: المرجع السابق، ص ص – 65/64.
(9) عباس زكريا القارئ الإبادني: التجويد في نيجيريا: المرجع السابق، ص – 21. نقلاً من: تي، جي، أو، بدماص: نمو الإسلام بين اليوربا {بالإنكليزية} ص ص - 19/7.
(10) T.G.O. Gbadamosi: The Growth of Islam among the Yoruba, Great Britain Western printing services limited, Bristol London {1978}.
(11) آدم عبد الله الإلوري: لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن، مطبعة النموذجية القاهرة، {1982م}؛ ص – 19.
(12) آدم عبد الله الإلوري: نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ص – 57. نقلاً من الأمير شكيب في تعليقه على العالم الإسلامي.

(13) آدم عبد الله الإلوري: المرجع السابق والصفحة نفسها.
(14) عباس زكريا القارئ الإبادني: التجويد في نيجيريا، ص – 38.
(15) عباس زكريا القارئ الإبادني: المرجع نفسه، ص – 38، نقلاً من الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق؛ للإلوري، ص – 70.
(16) عباس زكريا القارئ الإبادني: التجويد في نيجيريا: تاريخه وعلماؤه، المرجع السابق، ص ص – 178/177.
(17) عباس زكريا القارئ الإبادني: المرجع السابق نفسه، ص ص – 184- 188.
(18) عباس زكريا القارئ الإبادني: المرجع نفسه، ص – 181.
(19) المرجع السابق نفسه، ص ص – 180/179.
(20) عباس زكريا القارئ الإبادني: المرجع نفسه، ص – 217.
(21) عباس زكريا القارئ الإبادني: المرجع نفسه، ص – 219.
(22) المرجع نفسه، ص – 220.
(23) عباس زكريا القارئ الإبادني: المرجع نفسه، ص – 222.
(24) المرجع نفسه: ص ص – 201 – 211.
(25) عباس زكريا القارئ الإبادني: المرجع نفسه، ص ص – 193- 198.
(26) المرجع نفسه: ص ص – 200/199.
(27) المرجع السابق نفسه: ص – 192.
(28) عباس زكريا القارئ: المرجع نفسه، ص – 96.
(29) تعددت الجمعيات الإسلامية في بلاد يوريا إثر ضغط النصرانية على الإسلام بها، وقد جمع وجهاه بلاد يوربا مع علمائها بإنشاء هذه الجمعيات بغية المصارعة مع أعدائها النصرانية التي منعت أبناء المسلمين حضور المدارس إلا بتنصيرهم. فكانت أولى الجمعية التي أنشئت ببلاد يوربا هي جمعية الأحمدية في لاغوس عام 1916م. ثم تمّ إنشاء جمعية أنصار الدين بها أيضاً عام 1923م. ثم الزمرة الإسلامية عام 1926م. ثم جمعية نوّار الدين 1934م. ثم جمعية أنصار الإسلام في 1945م. وأما اليوم، فقد تعددت الجمعيات الإسلامية في بلاد يوربا إلى الرقم الخيالي، تنيف خمسمائة جمعية على الأقل؛ فكلها تسعى في الصراع مع النصرانية دافعة عن الإسلام.
(30) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، للشيخ آدم عبد الله الإلوري؛ ص – 151.

مراتب قراءة النص الديني – قرآنا وسنة- وأدوات استنباط الأحكام الشرعية اللازمة للداعية والمفسر والمفتي

د. علي محمد الأحمر
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
جامعة ميدغري
iisbakri@yahoo.com
08024563302; 07061920235

المقدمة:

لا شك في أن العلماء من خلال علم أصول الفقه أوضحوا لنا: أن المسائل الشرعية من حيث صلتها بالنصوص تنقسم إلى قسمين: مسائل منصوص عليها، ومسائل غير منصوص عليها، فغير المنصوص عليها هي المسائل التي تطرأ على حياة الناس من غير سابق مثال لها، فهذه تدخل في دائرة فقه النوازل، أو بالأحرى تدخل في مسمى دائرة العفو، التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أورده الدارقطني في سننه: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها: وترك الله التنصيص على حكمها لا يدل على غفلته وإنما يدل على رحمته وحكمته، وليروض العقل المسلم على استنباط الأحكام وفق الظروف المكانية والزمانية التي يعيش فيها الإنسان، ولذا قال العلماء إن الحكم على مسائل من هذا النوع ينبغي أن يميل إلى الإباحة لا التحريم، وإلى التيسير لا التعسير، لماذا يا ترى؟ قالوا لأن الله تعالى لم يترك محرما إلا وقد أوسعه بيانا، وهذا ما تعنيه الآية الكريمة: وما لكم ألا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم" ومن ثم قال العلماء إن النظر إلى المسائل التي لم ينص عليها يقتضي أمرين:

(1)النظر إلى أن الله لم يذكر حكمها إنما من أجل الرحمة، وأنه لم يرد لها التحريم، ولذلك يركز على الإباحة دون التحريم

(2)أنه لا حق لأحد الإنكار على من خالفه في هذه المسائل إذا كان المخالف استند على ما يسوغ له الخلاف، مخافة الملل نختصر هنا على أمل أن نوافي اخواننا ببعض الأمثلة التي تصلح لهذه المسائل.

أمثلة المسائل الشرعية غير المنصوص.

وإن أردنا أن نمثل للمسائل التي تندرج ضمن مسائل هذا النوع فإننا سنقول" إن مسائله تنتظم جملة من قضايا الساعة، كالاحتفال بالمولد النبوي والتأمين، وبطاقة الائتمان، والاستنسال(الاستنساخ) وزراعة الأعضاء البشرية ونقلها، وإجراء العمليات الجراحية بقصد التجميل، وقتل الرحمة والزواج المسيار، وكتابة وتسجيل شهادات الزواج والطلاق، واستئجار الرحم، وقتل الرحمة، وعمل المرأة خارج البيت، وسياقة المرأة للسيارات والدبابات والطائرات والقاطرات والباخرات وسواها من المواصلات الحديثة، وتولي المرأة منصب القضاء والمحاماة، ونظم الحكم والتعليم المختلفة"[1]، فهذه المسائل صنّفها علماء الأصول بأنها تمثل أكبر مساحة للاجتهاد، ولذلك لا يصح لأي مجتهد أن يعتقد أنما توصل إليه هو الحق المطلق، وأن من خالفه أو خالف عالما ارتضاه على ضلال أو بدعة أو جهل،

إذا كان هذا هو موقع هذه المسائل من الأدلة الشرعية، فللإنسان المسلم أن يتساءل لماذا تركها الشارع الحكيم من غير أن ينص عليها في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فما الغاية التي لأجلها ترك الشارع التنصيص عليها علما بأن حكمة الشارع تقضي وضع وضع كل شيء في مكانه المناسب له، قولا أو تركا.

الغايات التي لأجلها ترك الشارع التنصيص على هذه المسائل.

ذهب العلماء على أن عد التنصيص على أحكام مباشرة لهذه المسائل لا يعني بأي حال من الأحوال أنها لم تكن معروفة، بل هي معروفة للشارع كل المعرفة، وإنما للشارع في هذا الأمر ثلاث غايات أساسية، وهي:

الغاية الأولى: تأكيد مشروعية الاجتهاد في الفكر الإسلامي بصورة عامة، ذلك لأنه ليس ثمة وسيلة لبيان أحكام في الواقع إلا الاجتهاد، فبالاجتهاد يتم التوصل إلى أحكام الله في هذه المسائل، كما يتم تحديد السبل المثلى لتنزيل أحكام الله فيها في الواقع، فكأن الشارع يقرر عبر هذه المسائل مشروعية الاجتهاد وضرورة القيام به في كل عصر ومصر، فلو لم يكن الاجتهاد مشروعا لتكفل الشارع الحكيم ببيان أحكامه في جميع المسائل، ولما ترك مسألة دون بيان حكمها الشرعي، وفضلا عن ذلك، فإن تجاوز الشارع عن بيان كيفية تنزيل أحكامه في تلك المسائل في الواقع دليل أكيد على مشروعية نوع آخر من الاجتهاد، وهو الاجتهاد التطبيقي (التطبيقي)

الغاية الثانية: فيتمثل في فسح المجال أمام أهل الاجتهاد من العالمين لأن يبحثوا أحكام شرعية مناسبة لهذه القضايا وذلك وفق متطلبات ظروفهم وأحوالهم وأمكنتهم وأزمنتهم، فإن وفقواإلى الوصول إلى الأحكام المرادة للشارع في واقع الأمر كان لهم أجران، أجر إصابة أحكام وأجر الاجتهاد في البحث عن أحكام الله مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه:" إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[2] وفي هذا تقرير وتأكيد على مشروعية الاجتهاد في الفكر الإسلامي في سائر المسائل وخاصة هذه المسائل بشكل خاص.

الغاية الثالثة من عدم تنصيص الشرع على أحكام مناسبة لهذه المسائل، فإنه يتمثل في رغبة أكيدة في تضييق دائرة المحظورات والمحرمات ودائرة الواجبات والفرائض في حياة المكلفين، حيث إنه ليس من ريب في أن في الامتثال بالواجبات والفرائض كلفة، كما أن في الامتناع عن المحظورات كلفة، وكلتا الكلفتين تحتاج إلى إرادة قوية ودرجة عالية من الإيمان والتقوى، وأما فعل المباحات أو تركها، فإنه لا كلفة فيه، ولهذا، لأم ما اعتبر الشارع هذه المسائل مسائل واقعة وداخلة في منطقة العفو الواسعة، وهي منطقةالتي وردت الإشارة إليها في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أورده الدارقطني في سننه: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فى تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة من غير نسيان، فلا تكلفوها رحمة بكم فاقبلوها"

إن مقتضى هذه الغايات الثلاثة، أن يحاول أهل الاجتهاد في كل عصر ومصر اختيار الأحكام المبنية على التيسير والتي تلبي ظروف المكلفين وترفع عنهم الإصر والأغلال التي كانت على الأمم قبلهم، فالاجتهاد في هذه المسائل ينبغي أن يتسم على الدوام بالتجدد والتنوع، وأن يبنى على مراعاة المصلحة التي تقوم على جلب المنفعة ودرء المفسدة.

إلا أن الوافق على كثير من هذه المسائل يجدها تختلط عند كثير من المتفقهة وطلبة العلم بموضوع البدع في الشرع، إذ إنه غالبا ما يذهب بعضهم إلى تغليب جانب الحظر فيها على جانب الإباحة، متذرعين بعدم ورود أدلة شرعية لها وبعدم جريان عمل السلف على اعتبارها، مما يدفعهم في معظم الأحيان إلى تبني حكم التحريم في معظم مسائل هذا النوع، فاعتبار من الأمور المحدثة في الدين، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، ومعلوم أنه ليس كل بدعة ضلالة، وأنما البدعة الضلالة هي البدعة السيئة، وذلك لأن الحديث مخصص

بحديث" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها "

ولأن القول بتحريم مسائل من هذا النوع يتعارض مع مقاصد الشرع، ذلك لأنه لوكان ترجيح جانب التحريم في تلك المسائل على جانب الإباحة، لفصّل القرآن ذلك تصديقا لقول القرآن ذاته" وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ "[3] ولقوله صلى الله عليه وسلم" النعمان بن بشير، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « الحلال بين والحرام بين وبين الحلال والحرام أمور متشابهات، لا يدري كثير من الناس من الحلال هي أم من الحرام؟ فمن تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن واقع شيئا منها يوشك أن يواقع الحرام، كما أنه من يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه: ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه »[4]

إذا كان فيما لا نص فيه من المسائل، فإن هوة الاجتهاد تضيق عندما يكون ثمة نص في مسألة من المسائل، أو في حكم من الأحكام، وهذا ما سنناقشه في ما سيأتي من البحث تمت مسمى: المسائل المنصوص عليها- قرأنا وسنة-.

المسائل المنصوص عليها- قرآنا وسنة

إن النصوص بعضها ظني الثبوت وظني الدلالة، وبعضها ظني الثبوت قطعي الدلالة، وبعضها قطعي الثبوت ظني الدلالة، وبعضها قطعي الثبوت قطعي الدلالة. فقطعية الثبوت هي القرآن الكريم والسنة المتواترة، والأحاديث أحاديث الآحاد الصحيحة التي حفت بها قرائن وتلقتها الأمة بقبول حسن، وقد قال تعالى فى محكم كتابه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} ([5]) فالراسخون في العلم هم الذين يعودون بالمتشابه إلى المحكم، ويفهمون بذلك الجميع، ومن يطلع على علم أصول الفقه يتبين الفروق بين العموم والخصوص، ودلالات الألفاظ على المعاني ودرجة تلك الدلالة مما جرى فيه اختلاف العلماء فى كل زمان، وفهمهم من كتاب الله تعالى.

وهذه كتب الآثار طافحة بأمثلة عديدة تؤيد اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم لخبر الواحد حجة فقد "بعث رسله واحداً واحداً إلى الملوك، ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم إلى قبائلهم، وكانت الحجة قائمة بإخبارهم عنه صلى الله عليه وسلم مع عدم اشتراط التعدد ([6])

وهو القائل صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع"(4).

وقل مثل ذلك فى قصة أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فتوقف أبى بكر فى خبر المغيرة بن شعبة فى ميراث الجدة. هذا ليس منه مطرداً، فهو يريد مزيداً من التثبت والتحوط لا اتهاماً للمغيرة باعتباره راوياً فرداً، ولا طعناً فى حجية خبر الواحد. دليل أنه قبل خبر عائشة وحدها في أن النبي صلى الله عليه وسلم مات يوم الاثنين وقبل أيضاً خبرها وحدها فى قدر كفن النبى صلى الله عليه وسلم فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: "دخلت على

أبى بكر رضي الله عنه فقال: فى كم كفنتم النبى صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص، ولا عمامة، وقال لها فى أى يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت يوم الاثنين. قال: فأي يوم هذا؟ قالت يوم الاثنين. قال: أرجوا فيما بينى وبين الليل ...الحديث" ([7]) وأما قصة عمر رضي الله عنه وتوقفه فى خبر أبى موسى فى الاستئذان، فإن أبا موسى أخبره بذلك الحديث عقب إنكاره عليه رجوعه بعد الثلاث، وتوعده، فأراد التثبت خشية أن يكون دافع بذلك عن نفسه ([8]).

يدل على ذلك ما جاء فى إحدى طرق الحديث أن أبي ابن كعب قال لعمر:"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك يا ابن الخطاب! فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان الله! إنما سمعت شيئاً. فأحببت أن أتثبت" ([9]). وفى رواية:"والله إن كنت لأمينا على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أحببت أن أتثبت ([10])،وفى رواية:"أما إنى لم أتهمك.ولكن خشيت أن يتقوَّل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ([11]) وقد قبل عمر رضي الله عنه أخبار آحاد كثيرة دون توقف. فقد قبل خبر عبد الرحمن بن عوف وحده فى أخذ الجزية من المجوس. فيما روى عنه رضي الله عنه أنه ذكر المجوس، فقال: ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم. فقال: عبد الرحمن ابن عوف: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب" (12) وبعد هذا كله لا بد لطاب العلم العلم أن يتعرف على أمرين يتعلقان بالنص الديني حتى يستطيع أن يميز بينهما ويقدم أحدهما على الآخر عند النزاع، وهما:

أ- صراحة النص: ومعلوم أنّه عند النزاع لا بدّ من الرجوع إلى صريح النصّ بدلاً من الاعتماد على ما يحتمل التأويل

ب- مقتضى النص: قال الجرجاني في التعريفات: مقتضى النص: ما لا يدل اللفظ عليه ولا يكون ملفوظا، وقيل هو جعل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق, مثاله (فتحرير رقبة) وهو مقتض شرعاً لكونها مملوكةً إذ لا عتقَ فيما لا يملكه ابنُ آدمَ فيُزادُ عليه ليكون تقديرُ الكلام فتحرير رقبةٍ مملوكة"[13].

ثم بعد كل هذا، وضع العلماء شروطا لتحقيق الحوار وتجاوز الخلاف المذموم، والعودة إلى أحضان التفاهم والتسامح والاعتراف بالآخر على ضوء النصوص الدينية وفهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وتتلخص في:

1- التفريق بين القطع والظن في الأدلة والتركيز على المحكمات لا المتشابهات، وهو ما سبق الحديث عنه مفصّلا، وقد تبيّن موقف المسلمين من العمل بالنصوص المتواترة والآحادية في العقائد والعبادات.

2- تجنب القطع في المسائل الاجتهادية. فالاجتهاد إذا كان وفقًا لأصول الاجتهاد ومناهج الاستنباط في علم أصول الفقه يجب عدم الإنكار عليه، ولا ينكر مجتهد على مجتهد آخر، ولا ينكر مقلد على مقلد آخر وإلا أدّى ذلك إلى فتنة.

إن من أراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلا بد له أن يطلع على خلافات العلماء وأدلة كل منهم حتى لا ينكر على الناس أمرًا هم متبعون فيه علماء أفاضل فالاختلاف من ضروريات الحياة، وقد قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} [هود 118]، فالتعصب لمذهب واحد واعتقاد أن كل من خالفه مخطئ أمر يجرُّ إلى فتن عظيمة.

3- تحديد المفاهيم والمصطلحات التي يدور حولها النقاش إذ يجب أن تكون واضحة جلية وهو ما يسميه العلماء تحرير موضع النزاع فكثير من النقاشات التي تقدم اليوم مردها إلى خلاف في اللفظ.
4- النظرة الشمولية، فلا بد من الجمع بين كل ما ورد فيما يخص المسألة الواحدة لتحريرها تحريرًا جليًّا واضحًا. وأرى ألا ننساق وراء شيخ واحد نقدسه أو عالم واحد نعظمه ولا نلتفت إلى سواه وإلا دخلنا في محظور قول الله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}
5- النظر في المقاصد واعتبار المآلات. فمسألة المقاصد الإسلامية لها دور كبير في تيسير المعاملات وتسهيل العمل في هذا الزمن وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».
6- أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح فالإخلاص مقدم على غيره. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم وصوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فكل الفضائل مردها إلى القلب.
7- الاهتمام بهموم المسلمين، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم. إن مشكلاتنا اليوم كثيرة ومتعددة احتوت الظلم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والتفسخ والانحلال وهناك أمراض جديدة لم نكن نألفها، فلماذا لا نتفق على ما اتفقنا عليه وندع الخلافيات ونواجه الخطر الداهم اليوم خطر التمزق، وخطر التدهور.
8- التعاون في المتفق عليه. إن مشكلة الأمة الإسلامية اليوم ليست في ترجيح أحد الرأيين أو الآراء في القضايا المختلف فيها بناءً على اجتهاد أو تقليد. فالواقع أن الخطأ في هذه القضايا يدور بين الأجر والأجرين.

أين يكون مكمن مشاكل المسلمين؟

مشكلة المسلمين اليوم ليست فيمن يذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، وليست فيمن يجهر بالذكر أو يسر، ولكن مشكلة الأمة حقا في تضييع الأمور المتفق عليها , مشكلة المسلمين ليست في الذي يؤول آيات الصفات وأحاديثها - وإن كان مذهب السلف أسلم وأرجح - بل في الذي ينكر الذات والصفات جميعًا.

مشكلة المسلمين ليست فيمن يقول: استوى على العرش بمعنى (استولى) أو كناية عن عظمة سلطانه تعالى، بل فيمن يجحد العرش ورب العرش معا.

مشكلة المسلمين ليست فيمن يجهر بالبسملة أو يخفضها أو لا يقرؤها في الصلاة، ولا فيمن يرسل يديه في الصلاة أو يقبضهما، ومن يرفع يديه عند الركوع أو الرفع منه أو لا يرفعهما، إلى آخر هذه المسائل الخلافية الكثيرة المعروفة. إنما مشكلة المسلمين فيمن لا ينحني يومًا لله راكعًا، ولا يخفض جبهته لله ساجدًا، ولا يعرف المسجد ولا يعرفه المسجد. مشكلة المسلمين ليست فيمن يأخذ بأحد المذاهب المعتبرة في إثبات هلال رمضان أو شوال، بل فيمن يمر عليه رمضان كما مر عليه شعبان وكما يمر عليه شوال، لا يعرف صيامًا ولا قيامًا، بل يفطر عمدًا جهارًا ونهارًا، بلا خشية ولا حياء.

مشكلة المسلمين ليست في عدم تغطية الوجه بالنقاب، واليدين بالقفازين، كما هو رأي بعض العلماء، بل في تعري الرؤوس والنحور، والظهور، ولبس القصير الفاضح، والشفاف الوصاف، إلى آخر ما نعرف مما يندى له الجبين.

إن المشكلة حقًّا هي وهن العقيدة، وتعطيل الشريعة، وانهيار الأخلاق وإضاعة الصلوات، ومنع الزكوات، واتباع الشهوات، وشيوع الفاحشة وانتشار الرشوة وخراب الذمم، وسوء الإدارة، وترك الفرائض الأصلية وارتكاب المحرمات القطعية وموالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين،مشكلة الأمة المسلمة الحقيقية في إضاعة أركان الإسلام، ودعائم الإيمان، وقواعد الإحسان، فالواجب على دعاة الإسلام أن ينبهوا على التركيز على مواطن الاتفاق قبل كل شيء، وأن يرفعوا شعار (التعاون فيما نتفق عليه) فإن هذا التعاون فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين وضرورة يحتمها الواقع"[14].

أعاننا الله على التبصّر بمشاكلنا ووضعها في قائمة الأولويات لمعالجة ما يمكن علاجه في الوقت والمكان المناسبيْن، من غير قفز على الحقائق، ولا تجاهل للضروري الملحّ من حاجات المسلمين ومتطلبات عيشهم ومآلهم، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه

وبعد:

فإن القرآن العظيم قد اشتمل على الكثير الطيب من مصالح المعاش والمعاد، وأحاط بمنافع الدنيا والدين، تارة إجمالا، وتارة تفصيلا، وتارة عموما، وتارة خصوصا، ولهذا يقول –سبحانه وتعالى" ما فرّطنا في الكتاب من شيء [15]. ويقول -عز وجل- وكل شيء أحصيناه في إمام مبين [16]. ويقول -تبارك وتعالى-: [ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء [17]، ونحو ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

إلا أن القرآن أحيانا يتغاضى عن ذكر أحكام بعض المسائل لا لأنه أغفلها ولم يكترث لها، وإنما لأنه فسح الباب واسعا أمام المجتهدين، وأنه بذلك شرع للاجتهاد وأقره، أو لأنه يريد رفع الإصر والأغلال التي كانت على الأمم قبلنا، أو أراد تضييق دائرة التحريم والتعسير، واستبدالها بالإباحة والتيسير، هذا في الجانب الذي اصطلح على تسميته بالمسائل الاجتهادية عديمة الأدلة، أو المسائل غير المنصوص عليها مطلقا، أما المسائل الاجتهادية المنصوص عليها، فإن دائرة الاجتهاد فيها أضيق من دائرة الاجتهاد في المسائل غير المنصوص عليها، ذلك لأن فيها قسما لا يقبل النظر والاجتهاد فيه مطلقا وهو ما اصطلح على تسميته بالنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، وهذه تمثل جانب النص المحكم الذي لا يقبل التأويل ولا يعطي إلا معنى واحدا، ولذلك تجدهم يلوذون إلى القول في مسائل من هذا القبيل" لا اجتهاد مع وجود النص، أما النصوص الأخرى والتي تفيد: النصوص قطعية الثبوب ظنية الدلالة، وظنية الثبوت قطعية الدلالة، وظنية الثبوت ظنية الدلالة، فهذه النظر والاجتهاد فيها مسوغ مع مراعاة عدم القطع بالإطلاق فيما ذهب إليه أي مجتهد، ومراعاة عدم الإنكار لمن خالفه فيما توصل إليه من الحكم على أي مسألة إن بالتحريم أو الكراهة أو بالوجوب أو الإباحة، لأنها محكوم بظنيتها على أية حال ما دام أنه لم يرد في حكمها نص محكم يفيد اليقين في التحريم أو أي حكم آخر يمكن أن يعطى لتلك المسألة المعنية بالحكم.

هذا ما توصل إليه هذا البحث راجيا من الله تعالى أن يوفقنا للمزيد من العطاء في هذا الموضوع الحيوي لنقف من النصوص الدينية وقفة محددة بمسافة واحدة، لا زيغ فيها ولا مجافاة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الحواشي والهوامش

[1] - لا إنكار في مسائل الاجتهاد رؤية منهجية تحليلية/أ.د.قطب مصطفى سانو/ص53/دار ابن حزم/بيروت لبنان2006م
[2] - متفق عليه
[3] - الأنعام الآية 119
4-: السنن الصغير للبيهقي/باب البيوع/ج4/ص245.
[5] - سورة آل عمران 7.
[6] - تدريب الراوى/السيوطي/ 73/1.
[7] - أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجنائز، باب موت يوم الاثنين 297/3 رقم 1387
[8] - انظر: تدريب الراوى 73/1، والرسالة للشافعى ص 433 فقرات رقم 1189، 1196.
[9] - أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الآداب، باب الاستئذان 387/7 رقم 7254.
[10] - انظر: فتح البارى 32/11 رقم 6245.
[11] - أخرجه مالك فى الموطأ كتاب الاستئذان، باب الاستئذان 734/2 رقم 30، وانظر: شرح الزرقانى 425/4 - 427، والرسالة للشافعى ص 435، 436 فقرات رقم 1195 - 1200.
[12] - أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب 297/6 رقمى 3156، 3157، وأخرجه مالك فى الموطأ كتاب الجزية، باب جزية أهل الكتاب والمجوس 233/1 رقم 42 واللفظ له
[13] - التعريفات للجرجاني , صـ 226
[14] - آداب الحوار وقواعد الاختلاف/عمر بن عبد الله كامل/منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية/ص42.
[15] - الأنعام الآية 38
[16] - يس الآية 36
[17] - النحل الآية 89

طرق التعليم القرآن الكريم وتعلمه

إعداد:
الدكتور أبوبكر محمد
قسم اللغة العربية - كلية الآداب واللغات
جامعة بمكو للآداب والعلوم الإنسانية
بمكو عاصمة جمهورية مالي
maigaaboubacrine329@yahoo.fr
هاتف: 67130994 / 0022376088395

ملخص البحث

إن إلمام المعلم بطريقة إيصال المادة العلمية إلى طلابه،من أهم أركان نجاحه في العملية التعليمة التعلمية، قديما وحديثا، ولذلك اهتم العاملون في مجال التربية والتعليم، بطريقة التعليم،وأوصوا المدرسين بان يتعلموا طرق التعليم المتنوعة قبل مباشرتهم مهنة التعليم،ويرون أن نجاح المدرس متعلق بمعرفته طرق التعليم المختلفة،وأن عمل المدرس الذي يباشر التعليم قبل العلم بها ناقص،وقد يؤدي جهله بها إلى فشله في عمله وهو يعلم مادته،ولذلك كله اخترنا هذا الموضوع:"طرق التعليم والتعلم على ضوء القرآن الكريم" بالدراسة، ليستفيد منه العاملون في مجال تعليم القرآن الكريم،وهي،دراسة استقرائية عن أهم طرق تعليم القرآن الكريم وتعلّمه،من القرآن الكريم.وتهدف الدراسة إلى تقديم الصورة الصحيحة لاستخدام طرائق وأساليب تعليم القرآن الكريم المستمدة من الكتاب والسنة النبوية الشريفة بشكل يساعد العامل في مجال تعليم القرآن الكريم وتعلمه على كيفية تعليم طلابه القرآن الكريم بسهولة لا عناء فيه، لأن خير طريقة يسلكها معلم في تعليم القرآن الكريم في المراكز القرآنية،ما كانت مستمدة من القرآن الكريم نفسه،وكذلك تهدف الدراسة إلى لفت نظر معلم القرآن الكريم إلى كيفية الإفادة من نظام طرق التعليم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم،وإلى تمكينه من كفاءات ومهارات التعليم والتعلم مما له علاقة به آناء الليل وآناء النهار،وإلى حثه على تأمل كتاب الله كيف تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من معلمه الروح الأمن جبريل عليه السلام،وكيف علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه إياه،ليتأسّى به صلى الله عليه وسلم في الطريقتين أخذا وعطاء،وقد تضمنت الدراسة تمهيدا،وأهم طرق تعليم القرآن الكريم المستنبطة من القرآن الكريم بطريقة الاستقراء،وأمثلة توضيحية لتلك الطرق من الكتاب أو السنة، وخاتمة تبين أهم النتائج التي وصلنا إليها من خلال الدراسة.

تـمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد المبعوث معلما، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم أجمعين فقد اختار الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا يبلغ عنه رسالته الأخيرة إلى خلقه ليخرجهم من الظلمات إلى النور،،فأنزل عليه القرآن الكريم خاتمة الكتب السماوية وأمره بتعلمه وتعليمه بطرق سهلة مؤدية إلى فهمه والعمل به.وهو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد لهداية الناس أجمعين، وقد جاء معجزة خالدة تحدى بها الإسلام

العرب فعجزوا عن مجاراته فيما حواه من إعجاز في نظمه وأسلوبه وما اشتمل عليه من روائع الشرائع والحكم والعلوم والأمثال.

وقد وصفه في كتاب الله الكريم وسنة رسوله العظيم وصفه بغية التعريف بجلال القرآن وحقيقة قدسيته، وأنه معجزة الإسلام الكبرى. قال الله وتعالى في وصفه والتعريف به في أول سورة البقرة: (ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون"الآيات: 3،2،1.

وقال سبحانه وتعالى في أول سورة الكهف: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا). الآيات:3،2،1

وقال جل من قائل في سورة المائدة: "يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم" الآية: 16.

وقد دلت السنة النبوية الشريفة على فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه. قال الرسول صلى الله عليه وسلم"خيركم من تعلم القرآن وعلمه".[1]

وقد أشار صلى الله عليه وسلم أن أهل القرآن أهل الله وخاصته،وأنهم هم الحافظون له والعاملون بما فيه،وأن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وأن جلاءها تلاوة القرآن وذكر الموت،وأنه ما من أحد يعلم ولده القرآن إلا توج يوم القيامة بتاج في الجنة وأن القرآن الكريم هو المخرج من فتن الدنيا، وأن أفضل عبادة أمته تلاوة القرآن،وأن القرآن مأدبة الله فليتعلموا من مأدبته ما استطاعوا،وأن تلاوة القرآن الكريم تنور منازلهم.

ولما كان لكل هدف طريقة توصل إلى تحقيقه، اختار الرسول صلى الله عليه وسلم لما أُمِرَ بتبليغه الناس أحسن الطرق التي توصله إلى الهدف من رسالته، المتمثلة في إخراج الناس من الظلمات إلى النور،

وهذه المقالة تعرض أهم الطرق التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل بها في تعليم وتعلم الصحابة رضي الله عنهم.

لقد سبقت الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأمره بتبليغه إلى الناس وبيانه لهم بأقواله وأفعاله،قال تعالى:"يا أيّها الرسول بلّغْ ما أُنزلَ إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين". المائدة:67 وقال تعالى:" وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون".النحل:44.

وبما أن الناس الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ إليهم القرآن الكريم وعلمهم إيّاه وبين لهم منه ما يحتاج إلى بيان مختلفون لهجة وعقلا وفهما، ومتفاوتون عمرا وغيره...فلابد أن تختلف طرق تعليمهم حسب اختلاف عقولهم وفهمهم وخصائصهم وظروفهم، وأعمارهم، ومادام من المستحيل حصر عقول هؤلاء وفهمهم وخصائصهم وظروفهم،فإنه يستحيل كذلك معرفة عدد الطرق التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه.وحتى أصحابه كانوا يستعجبون من حسن تصرفه في مخاطبة أصحابه وتعليمهم بطرق ولهجات مختلفة،حتى قال له عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله وجهه – وقد سَمِعَهُ يخاطبُ وَفْد بَني نَهْد -: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال:" أدَّبني رَبّي فأحْسَنَ تَأديبي وَرُبِّيتُ في بني سَعْد".. فكان صلى الله عليه وسلم يُخَاطب العرب على اختلاف شُعُوبهم وقبائلهم وتَبَاين بُطونهم وأفخاذهم وفصائِلِهم كلاًّ

منهم بما يفهمون ويُحادثُهم بما يعلمون.[2] قال رسول الله عليه وسلم:" أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم".[3] وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً".[4]،وبناء على كل ما ذكر سنقتصر على أربعة طرق من طرق تعليم القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم عن طريق الاستقراء، وهي الطريقة التقريرية،والطريقة الحسية،والطريقة الاستجوابية (طريقة المناقشة)، والطريقة العملية(طريقة الممارسة).وبالاستقراء من الكتاب والسنة نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه رضي الله عنهم جميعا: الابن، والأب، والجد، والحفيد،والذكر،والأنثى... في فصل واحد وفي آن واحد ولكن بطرق متعددة ومتنوعة.ومن أهم تلك الطرق ما نوردها هنا.

طرق تعليم القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم

إن طرق تعليم القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من تحصى في مثل هذه الدراسة الموجزة،فلذلك ستقتصر الدراسة على ذكر أشهرها.

أ- الطريقة التقريرية (طريقة المحاضرة)

وهي قسمان: تقريرية إلقائية،و تقريرية قصصية، وسمة هذه الطريقة أن المعلم يلقي درسه والطلبة ينصتون له ويستمعون إليه من بداية المحاضرة إلى نهايتها دون أن يتخلل المحاضرة مناقشة أو أسئلة من قبل الطلبة،إذ ليس لهم من الأمر شيء،ولاشك أن هذه الطريقة بنوعيها كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل بهما في تعليم القرآن،وذلك لأن تعليم القرآن الكريم غالبا لا يخرج عن هذه الطريقة وذلك لأنها متسمة بالهدوء والاستماع والإنصات عملا بقوله تعالى:" وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون".الأعراف:204.

وقوله تعالى: " لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه". القيامة:19. قوله تعالى:" ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربّ زدني علما".طه:114.وقوله تعالى:" قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا".الكهف:70.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، " أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَكْرَهُ الصَّوْتَ عِنْدَ ثَلاَثٍ عِنْدَ الْجِنَازَةِ، وَإِذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ، وَعِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ".[5]

فمن أمثلة ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمه بطريقة تقريرية إلقائية من القرآن الكريم قوله تعالى: " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون و الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون و الذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون".المؤمنون:1-11.

ومن أمثلة ما كان يعلمه صلى الله عليه وسلم بطريقة إلقائية قصصية من القرآن الكريم قوله تعالى:"الر تلك آيات المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين".يوسف:4.

إلى آخر القصة.فمثل هذه النصوص التي أوردناها، هاهنا من قصص القرآن كانت طريقة تعليمها في عهده صلى الله عليه وسلم تقريرية ليس غير.

ب- الطريقة الحسية

فهذه الطريقة من الطرق التي أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم اهتماما كبيرا لإيصال المعلومات إلى أذهان المتعلمين، فقد كان الرسول صلى الله عليه يعمل بها في تعليم أصحابه القرآن الكريم وأحاديثه الشريفة،وهي طريقة يعتمد المعلم فيها على ذكر أشياء محسوسة تساعد الطلاب على فهم أشياء غير محسوسة،أو معنوية بسهولة. فمن أمثلة ما كان يعلمه الناس بهذه الطريقة من القرآن الكريم قوله تعالى:إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض للآيات لقوم يعقلون".البقرة:164.

فذكرت الآيات أشياء مادية حسية يستعين بها المتعلم إلى الوصول بأن الله موجود،لأن هذه المخلوقات دالة على خالقها،ولأن الأثر يدل على المؤثر. فمثل هذه النصوص وما

يشبهها كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه بالطريقة الحسية، وهي طريقة تمتاز بأنها توصل المتعلم بنفسه باستخدام حواسه إلى الفهم واليقين.

ج- الطريقة الاستجوابية (طريقة المناقشة)

فالسؤال والجواب والحوار والمناقشة والاستفسار من أهم الطرق التي واظب عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم.وهذه الطريقة تمتاز بأن للطلبة يشاركون المعلم فيها للوصول إلى الهدف المقصود من الدرس. قال تعالى:"وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين".الأعراف:66-67

د- الطريقة العملية (الممارسة)

إن الطريقة العملية من أهم الطرق التي وجهت مدرسة النبوة إلى الاهتمام بها في تعليم الدين،وهي طريقة يمكن أن يقال عنها بأنها أحسن طريقة لتعليم الدين وغيره،إذ المقصود والغرض من التعليم إحداث تغيير في سلوك المتعلم، وهذه الطريقة تتسم بأن العملية التعلمية فيها مقترنة بالعمل المقصود مباشرة، ويمكن أن تكون النصوص الآتية أمثلة لهذه الطريقة قال تعالى:" يا أيُّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيد طيبا فامسحوا بوجوهكم أيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون" المائدة:6

وقال تعالى:" وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا" النساء:102.

وهذه الطرق وغيرها هي التي كان تعليم القرآن الكريم يتم بها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي طرق يجب على كل من اتخذ مهنة تعليم القرآن الكريم أن يتعلمها ويعرفها ويعمل على منوالها إن أرادالنجاح في عمله، وذلك لأنه لن يجد طريقة أنجع لإيصال المادة القرآن الكريم إلى المتعلمين من غير هذه التي استخدمها معلم القرآن االكريم الأول، وهو بدوره صلى الله عليه وسلم استنبطها واستمدها مما أوحاه الله إليه من الذكر الحكيم.

قال تعالى:" وما ينطق عن الهوى إن إلاّ وحي يوحى " النجم:4

وقال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم".[6]،إذًا فكل طريقة استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم مما علمناها ومما لم نعملها لتعليم القرآن الكريم فهي من عند الله يجب على معلم الدين أن يعمل بها لأنها أنجع لتعليم الدين قديما وحديثا.

طرق تعلم القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإذا كان **المعلم** يواجه عادة بعض المشاكل والصعوبات أثناء قيامه بتعليم المتعلم، وذلك بغض النظر عن خبرته في ممارسة عملية التعليم،وعدد سنواته في الخدمة، ونوع المادة التي يعلمها،والمرحلة التي يدرس فيها،ومثل هذه المشاكل صعوبات عامة يواجهها عامة المدرسين من حين لآخر،وتأخذ أشكالا معينة،كما تتعلق بطبيعة العملية التعليمة التعلمية عينها. فإن **المتعلم** أيضا يواجه عادة بعض المشاكل والصعوبات أثناء قيامه بالتعلم بغض النظر عن سنه، والمادة التي يتعلمها،والمرحلة التي يتعلم فيها،وإلمام الطالب بطرق التعلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم،والعمل بها يزيل تلك الصعوبات والمشاكل

إن مما لم يختلف فيه علماء الأمة الإسلامية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن الكريم مصدر الدين الإسلامي الأول منجما عن معلمه الروح الأمين جبريل عليه السلام مدة عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين سنة على حسب الاختلاف في مدة لإقامته صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة بعد النبوة.[7] قال تعالى:" من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين".البقرة:97.

وقال تعالى:" وقال الذين كفروا لولا نزل هذا القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا" الفرقان:32.

وقال تعالى:"وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا"الإسراء:106

- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:"فُصِلَ القرآن من الذكر فوُضِعَ في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي،صلى الله عليه وسلم"

- وعنه رضي الله عنهما قال:"أُنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله يُنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض".[8]

فمن المعلوم أنه لا يمكن لأحد أن يحيط علما بعدد طرق تعلم القرآن في عهده صلى الله عليه وسلم،وبناء على ذلك سنقتصر على ثلاث قواعد من قواعد تعلم القرآن في عهده صلى الله عليه وسلم، ونخص لكل قاعدة مبحثا خاصا بها.

أ- طريقة التدرج

إن من أهم القواعد التي تلقى بها الصحابة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم،طريقة التدرج، فكانوا يتعلمون منه القرآن والحديث شيئا فشيئا،عَنْ أَبِي خَلْدَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ خَمْسًا خَمْسًا، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ بِالْقُرْآنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا خَمْسًا " قَالَ عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ: " قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: مَنْ تَعَلَّمَ خَمْسًا خَمْسًا لَمْ يَنْسَهُ " قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: " خَالَفَ وَكِيعًا فِي رَفْعِهِ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَرِوَايَةُ وَكِيعٍ أَصَحُّ ".[9]

ب- طريقة البدء من السهل إلى الصعب

وهذه قاعدة أيضا من أشهر القواعد التي يتم تعلم الدين بها في عهده صلى الله عليه وسلم،فكان أصحاب الرسول يتعلمون بها القرآن والحديث على حد سواء،وكذلك غيرهم.

فقد كان المسلمون الأولون يتعلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم التوحيد فقط النطق بكلمة (لا إله إلا الله،وأن محمدا رسول الله) وترك عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع القائم بعبادتها،وقد مكثوا في ذلك مدة لا تقل عن تسع سنوات،وذلك لأن النطق بالشهادتين والاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى وحده المستحق بالعبادة أمر تعلمه أسهل على

الإنسان، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان... وغيرها من الفرائض التي تعلموها فيما بعد لكونها أصعب لأنها تؤدى حسيا وتتطلب من المتعلم بذل جهد حسي لا معنوي فقط، ولست كالإيمان، فإنه سهل لا يتطلب فراغا واسعا من المتعلم،ومن الأمثلة على هذه الطريقة ما يلي:

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أَنَّ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - بَعَثَ مُعَاذًا - رضى الله عنه - إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ « ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِى أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ».[10]

ج- طريقة الانتقال من النظرية إلى التطبيق

تعني هذه القاعدة أن المتعلم يتعلم وحدة علمية معينة نظريا ثم ينتقل إلى تطبيقها.

وهي من أهم قواعد تعلم القرآن الكريم التي تعلم بها الصحابة في عهد الرسول صلى الله عليه،وذلك لأن تنفيذ المتعلم ما تعلمه بعد تعلمه إياه من أهم الأمور التي ترسخ العلم في ذهنه وتساعده على فهمه فهما دقيقا، بالإضافة إلى ذلك فإن الغاية من تعلم المتعلم هي أن يستطيع تطبيق ما تعلمه بعد ما تعلمه نظريا،إذ لا فائدة من تعلم الشيء نظريا دون أن يعقبه تنفيذ وتطبيق، ولذلك نجد أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم كانوا يتعلمون منه الدين نظريا ثم ينتقلون بعد تعلم النظرية مباشرة إلى التطبيق ولا يتريثون في ذلك، وهذا ما أشار إليه التابعي بقوله:حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالُوا فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ".[11]

والفرائض كلها كان المسلمون يتعلمون نصوصها في عهده صلى الله عليه وسلم بقاعدة النظرية ثم ينتقلون منها إثر تلك إلى تطبيقها وتنفيذها بدون تأخير، فالصلاة والزكاة والحج...مثلا فإن المسلمين كانوا يتعلمون صفة كل منها عند الرسول صلى الله عليه وسلم،نظريا ثم ينتقلون بعدها إلى تطبيقها،كما يظهر لنا ذلك في الكتاب والسنة وخلاصة القول أنه بهذه القاعدة تم تعلم الدين كله في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة

ظهر لنا من خلالها جليا أن القرآن الكريم اعتنى اعتناء فائقا بطرق التعليم وأصل لها أصولا تستنبط منها فروع طرق التعليم المختلفة عند الاقتضاء،وعمل على إثبات دعائمها،كما عمل جاهدا على توطيد الأركان القوية لمنهج التعليم والتعلم وطرقهما الناجحة رغبة منه في مساعدة وتوجيه المجتمع البشري وخاصة معلم القرآن الكريم، إلى أقوم السبل وأهداها التي تعينهم على تكوين شخصياتهم تكوينا متكاملا يضمن لهم فهم كتاب الله عز وجل وسعادة الحياتين الدنيا والآخرة، ومن هنا وضع لكل من التعليم والتعلم مفهوما موضوعيا ومنطقيا سليما من دسائس الدجالين،وخاليا من شوائب الدساسين بعيدا عن الفهم الخاطئ المبني على المادة البحتة، وبين للبشرية هدفا جليا الفاعلية والمعالم، كما رسم لها

قواعد وأسسا تقوم البشرية على منوالها،وكما خطط لها طرقا متنوعة لمعا لجة القضايا والحقائق بصورة مفهومة ومعقولة وواضحة وضوح الشمس في كبد السماء،ولكن على رغم ذلك نلقى في مجتمعاتنا الإسلامية من يحيد عن هذه الحقائق الجلية النافعة التي أقرها النبي للعملية التعليمية التعلمية منذ أربعة عشر قرنا ونيف، لاعتقاد هؤلاء الخاطئ الفاسد بأن النبي صلى الله وسلم إنما اعتنى بالجوانب الروحية فقط من الحياة، جاهلين أمتجاهلين عما كانت عليه صلى الله عليه.

وأنّ فهم ما تضمنته موضوعات هذه المقالة على نحو تكاملي جيد يمكّن العامل في مجال تعليم القرآن الكريم من تكوين تصور واضح عن كيفية التعلم والتعليم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعينه على تجاوز الكثير من المشكلات التي تواجهه أثناء أداء أنشطته التعليمية المتنوعة، الأمر الذي يسهل تعلم الطلاب ويجعل المدرس ناجحا أكثر في مجال تعليم القرآن الكريم.

وأنه صلى الله عليه وسلم قد سبق كل الناس إلى اختيار طرق التعليم و التعلم المناسبة للفطرة البشرية،وأن طرقه صلى الله عليه وسلم تغني المسلمين العاملين في مجال التربية والتعليم عن كل الطرق المستحدثة في هذا المجال من قبل الفلاسفة المحدثين وخاصة غير المسلمين منهم.

وكذلك ثبت لنا من الخلال الدراسة أن طرق تعليم القرآن والسنة تعلمهما في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قد شملت كل طرق التعليم و التعلم التي تدعو علماء التربية المعاصرون إلى العمل بها وتطبيقها في العملية التعليمية التعلمية، بل تحتوي مالم تصل إلي فهمه عقولهم حتى الآن.

وكذلك تيقنا من خلال الدراسة أن الرسول صلى الله أعلم البشرية على الإطلاق بطرق التعليم و التعلم الناجعة الناجحة بما علّمه ربه عز وجل.

وأنه يلزم العامل في مجال التربية والتعليم أن يعرف طرق التعليم والتعلم في عهد الرسول صلى الله إن أراد النجاح في عمله ومهنته التعليمية،لأنه لن يجد عنها بديلا مساويا لها.

وأن طريقة تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم تمتاز بما لا يوجد في غيرها أبدا بحال من الأحوال،وهو تعليم الناس المختلفين لهجة وعمرا وجنسا وغيرها في فصل واحد في آن واحد،وكلهم يفهمون ما يعلمهم إياه رغم تفاوت مستوياتهم المختلفة،وهذا مما لم يصل إلى فهمه التربويون المعاصرون حتى الآن،فلذلك تراهم يقسمون التلاميذ على مراحل مختلفة حسب أعمارهم ومستوياتهم لأنهم لا يقدرون على تعليمهم في فصل واحد وفي آن واحد كما يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأن كل طرق التعليم و التعلم التي تم العمل بها في عهده صلى الله عليه وسلم كانت مستمدة من وحي الله إليه، لأنه لا يصدر منه صلى الله عليه وسلم أي تصرف مما له علاقة بالدين والدنيا من قول أو فعل أو تقرير، أو يخص تبليغ الرسالة وتبيينها للناس بأي وجه من الوجوه وأي حال من الأحوال إلاّ بأمر من الله سبحانه وتعالى:" وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"النجم:3

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:"أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ..."[12].

وقال الرسول صلى الله علي وسلم: " أُمِرْتُ أن أخاطبَ الناسَ على قَدْر عُقُولهم".[13]
وعن ابن عباس رضي الله عنهما:" أمرنا أن كلم الناس على قدر عقولهم".[14]
ولنا في رسول الله أسوة حسنة. قال تعالى:" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"الأحزاب:21
بهذه الدراسة الموجزة نكون ألقينا الضوء على أهم طرق تعليم القرآن الكريم وطرق تعلمه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم،و بها نكون قد أنهينا إنجاز الخطة الموجزة التي رسمناها لهذه الدراسة، وللحديث بقية.ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به وينفع سائر الأمة الإسلامية به، فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وما كان فيه من خطأ فمن قلة علمنا، فالكمال لله وحده.وآخر دعوانا: أن اللَّهمَّ انْفَعني بما عَلَّمتَني، وعَلِّمْني ما يَنفَعُني، وزِدني علما، الحمدُ لله على كل حالٍ، وأَعوذ بالله من حَال أهل النار.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أحمدبن حنبل،**مسند الإمام أحمد بن حنبل**،تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة،1420هـ، 1999م،الطبعة الثانية.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159 - 235 هـ) **مُصنف ابن أبي شيبة**،تحقيق محمد عوامة، رقماط الدار السلفية الهندية القديمةج،12،ص،462.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري،**النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي،المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م
- البخاري،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**،تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة،1422هـ، الطبعة الأولى.
- ..... **الأدب المفرد**، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي،دار البشائر الإسلامية،1409ه / 1989م،بيروت،الطبعة الثالثة.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى** وفي ذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد،الطبعة الأولى، 1344 هـ.
- ..... **الْأَرْبَعُوْنَ الصُّغْرَى**،تحقيق،أَبُوْ إِسْحَاق الْحُوَيْنِيُّ الْأَثَرِيُّ،دَارُ الْكِتَاب الْعَرَبِيِّ،1408هـ،بَيْرُوْت الطَّبْعَةُ الْأُوْلَى.
- .....، **شعب الإيمان**، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية،141م، بيروت،الطبعة الأولى.
- السيوطي،أبوالفضل،جلا الدين عبد الرحمن أبوبكر، **الإتقان في علوم القرآن**،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان.
- الزركشي أبو عبد الله،محمد بن بهادر بن عبد الله سنة الولادة 745/ سنة الوفاة 794، **البرهان في علوم القرآن**،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة،1391م،بيروت.
،بيروت،الطبعة الثالثة.
- علي بن حسام الدين المتقي الهندي،**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**،مؤسسة الرسالة، 1989م، بيروت.

- القرطبي، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري،**شرح صحيح البخاري**، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - 1423هـ - 2003م، الثانية.
- محمد بن فتوح الحميدي، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، تحقيق د. علي حسين البواب،دار ابن حزم،1423هـ - 2002م - لبنان بيروت،الطبعة الثانية.

الهوامش:

(1) أحمد بن شعيب النسائي،فضائل القرآن، تحقيق د.فارروق حمادة،دار إحياء العلوم – بيروت،الطبعة الثانية، 1992م.ص103.

(2) محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني،(ولد 598هـ،(ت) 672هـ)**إكمال الأعلام بتثليث الكلام**،تحقيق سعد بن حمدان الغامدي،جامعة أم القرى، 1404هـ 1984م،مكة المكرمة - المملكة السعودية،ج2،ص449.

(3) علي بن حسام الدين المتقي الهندي،**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**،مؤسسة الرسالة - بيروت 1989 مج7،ص365.

(4) 4- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري،**النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي،المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، ج1،ص3.**

(5) محمد بن فتوح الحميدي، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - 1423هـ - 2002م،الطبعة الثانية،ج2ص **465.**

(6) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159 - 235 هـ) **مُصنف ابن أبي شيبة**،تحقيق محمد عوامة، الدار السلفية الهندية القديمةج،12،ص،462.

(7) 7- ابن أبي شيبة المرجع السابق،ج3،ص500.

(8) راجع الزركشي أبو عبد الله،محمد بن بهادر بن عبد الله سنة الولادة 745/ سنة الوفاة 794، **البرهان في علوم القرآن**،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة،1391م،بيروتج1،ص228.

(9) السيوطي،أبو الفضل،جلا الدين عبد الرحمن أبوبكر، **الإتقان في علوم القرآن**،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،م1،ص89،

(10) وراجع:مناع القطان،**مباحث في علوم القرآن**،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،1421هـ - 2000م، الطبعة الثالثة،ص،101.

(11) البيهقي،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ) **شعب الإيمان**، حقيقه راجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،1423 هـ،الطبعة الأولى، - 2003 م ج3،ص346.

(12) 11-البخاري، أبو عبد الله-،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، **صحيح البخاري**، ج5،ص341.

(13) أحمد بن حنبل،**مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقق:شعيب الأرنؤوط وآخرون،مؤسسة الرسالة،1420هـ، 1999م،الطبعة الثانية ج38،ص466.

(14) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)،**مسند أحمد** بن حنبل،تحقيق السيد أبو المعاطي النوري،الكتب – بيروت،الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998 م،ج4،ص130.

(15) علي بن حسام الدين المتقي الهندي،**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**،مؤسسة الرسالة، 1989م، بيروت،ج10،ص 439

(16) المرجع نفسه، ج10،ص 439

ماهية القراءات القرآنية

إعداد
د. تجاني زبير رابع
مركز البحوث والدراسات القرآنية
جامعة بايرو كنو نيجيريا

ملخص البحث

هذا البحث دراسة موجزة في علم القراءات، ويهدف إلى الإجابة عن الأسئلة في ماهية علم القراءات، والخلاف بين أئمة القراء. فقسم الباحث الورقة إلى مقدة وعدة مباحث وخاتمة على النحو التالي:-

- المبحث الأول: نشأة علم القراءات والمراحل التي مر بها.
- المبحث الثاني: مبادئ علم القراءات.
- المبحث الثالث: أصول علم القراءات التي ينبني عليها الخلاف بين أئمة القراء.
- المبحث الرابع: القراءة الصحيحة والشاذة وما يجوز فيها وما لا يجوز.
- المبحث الخامس: الفرق بين القراءات والروايات والطرق والخلاف الواجب والجائز.
- المبحث السادس: الفرق بين المقرئ والقارئ والقراء العشرة ورواتهم وطرقهم.
- المبحث السابع: أماكن انتشار القراءات في العصر الحاضر.

واختتم الباحث بأهم ما على المقرئ في هذا العصر.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ولذا حرصت الأمة عليه، فوعته في صدورها، وسجلته في السطور، ووعت جميع قراءاته ورواياته التي نزل بها جبريل عليه السلام على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم في مدة ثلاثة وعشرين عاما.

ولما كان من سنة الله تبارك وتعالى الماضية في عباده أنه لا يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ما أنزل إليهم، وكان العرب الذين أنزل إليهم القرآن الكريم مختلفي اللهجات متعددي اللغات متنوعي الألسن، أنزل الله تعالى كتابه على لهجات العرب ولغاتهم المختلفة ليتمكنوا من قراءته، ولينتفعوا بما فيه من أحكام وشرائع. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرؤه بهذه اللهجات ليسهل على كل قبيلة تلاوته بما يوافق لهجتها، ويلائم لغتها.[1] وقال عليه الصلاة والسلام "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه" الحديث.[2]

تلقى الصحابة القرآن الكريم من الحضرة النبوية الأفصحية بقراءاته ورواياته، فلم يضيعوا منه جملة، ولم يغفلوا منه كلمة، ولم يهملوا منه حرفا، أو شكلا، أو قراءة أو رواية، ونقله عن الصحابة التابعون على هذا الوجه من الإحكام والتحرير والإتقان والتجويد، ثم إن جماعة من التابعين وأتباع التابعين كرسوا حياهم، وقصروا جهودهم على قراءة القرآن

وإقرائه، وتعليمه وتلقينه، وعنوا كل العناية بضبط ألفاظه وتجويد كلماته وتحرير قراءته، وتحقيق رواياته، وكان ذلك شغلهم الشاغل، وغرضهم الهادف، حتى صاروا في ذلك أئمة يُقتدى بهم، ويرحل إليهم، ويؤخذ عنهم، في المدينة ومكة والكوفة والشام والبصرة ومصر وغيرها، ولتصديهم لذلك كله نسبت القراءة إليهم فقيل: قراءة فلان كذا، وقراءة فلان كذا، فنسبة القراءة إليهم نسبة ملازمة ودوام، لا نسبة اختراع وابتداع.[3]

وقد أجمع المسلمون على تواتر قراءاتهم، فقد نقلتها عنهم الأمم المتعاقبة، والأجيال المتلاحقة، أمة بعد أمة، وجيلا إثر جيل إلى أن وصلت إلينا، ولن تزال الأمم تتعاهدها وترويها وتنقلها لمن بعدها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وكل ذلك مصداق لقوله تعالى چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ الحجر: ٩

المبحث الأول: نشأة علم القراءات والمراحل التي مر بها

القراءات القرآنية مرتبطة بنزول القرآن الكريم، وكان النبي صلّى الله عليه وسلم يقرئ الصحابة رضي الله عنهم بهذه القراءات، وكل واحد منهم يأخذ القراءة، ويقرأ ويقرئ بحسب ما تعلم، وانتشر الصحابة في الأمصار وتلقى منهم التابعون هذه الأحرف، وأخذ الأئمة عن التابعين حتى وصلت إلى زمن التدوين. ثم عني العلماء بتدوين القراءات بعد وضع الشروط لقبولها، واعتبارها قرآنا.[4]

المرحلة الأولى: القرآن والقراءات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو على النحو التالي:

(1)تعليم جبريل عليه السلام النبي صلّى الله عليه وسلم القرآن والقراءات، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» متفق عليه[5].

(2)تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم الصحابة القرآن الكريم ورُوِيَ عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا"[6]

(3)تعليم بعض المسلمين بعضا آي القرآن وسوره، وكان ذلك بأمر النبي صلّى الله عليه وسلم وإقراره، فأول من قدم إلى المدينة لتعليم المسلمين القرآن الكريم من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وأنه نزل دار القراء وكان سمي بالمقرئ، وعبد الله بن أم مكتوم، ثم بلال وعمار رضي الله عنهم، ولما فتح النبي صلّى الله عليه وسلم مكة ترك فيهم معاذ بن جبل رضي الله عنه لتعليم المسلمين القرآن.

(4)ظهور طائفة من الصحابة يتدارسون كتاب الله عز وجل يسمون (بالقراء)، وهو بداية نشوء هذا المصطلح، وكانوا سبعين رجلا شببة كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا القرآن.

(5)تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن عن ظهر قلب في زمن النبي صلّى الله عليه وسلم، ومنهم: أبو بكر الصديق، وأبي بن كعب (ت 20 هـ)، وعبد الله بن مسعود (ت 32 هـ)،

وأبو الدرداء عويمر بن زيد (ت 32 هـ)، وعثمان بن عفان (ت 35 هـ)، وعلي بن أبي طالب (ت 40 هـ)، وأبو موسى الأشعري (ت 44 هـ)، وزيد بن ثابت (ت 45 هـ) رضي الله عنهم، قال الذهبي عنهم: «فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي صلّى الله عليه وسلم، وأخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة»[7] وهؤلاء هم الذين اشتهروا في الأخذ عن الحبيب المصطفى صلّى الله عليه وسلم وهناك من الصحابة من أخذوا القرآن وحفظوه على النبي صلّى الله عليه وسلم غيرهم.

المرحلة الثانية: القرآن والقراءات في زمن الصحابة والتابعين:-

(1)تلمذ جماعة من الصحابة والتابعين على جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، فقد قرأ أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش وأبو العالية الرياحي على أبي بن كعب، وقرأ المغيرة بن أبي شهاب المخزومي على عثمان بن عفان، وقرأ الأسود بن يزيد النخعي على عبد الله بن مسعود.

(2)بدأ أخذ بعض وجوه القراءة المختلفة، ونقلها بالرواية،

(3)تعيين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهم مقرئا خاصا لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف، وتوافق قراءته قراءة أهل المصر المرسل إليهم في الأكثر الأغلب، وفي هذه المرحلة بدأ التمييز بين القراءات الصحيحة المعتبرة، والقراءات الآحادية والشاذة، وبدأت تنتشر الروايات الشاذة، وهذا التمييز أساسه التلقي وموافقة الرسم العثماني.

وقد أرسل عبد الله بن السائب المخزومي (ت في حدود 70 هـ) إلى مكة، وأبو عبد الرحمن السلمي (ت 47 هـ) إلى الكوفة، وكان قبله ابن مسعود حينما أرسله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وعامر بن عبد قيس (حوالي 55 هـ) إلى البصرة، والمغيرة ابن أبي شهاب المخزومي (ت نيف وسبعين هـ) إلى الشام، وجعل زيد بن ثابت (ت 45 هـ) مقرئا في المدينة، وكان هذا في حدود سنة ثلاثين من الهجرة.

(4)إقبال جماعة من كل مصر على المصحف العثماني لتلقي القراءات وفق ما تلقاه الصحابة عن النبي صلّى الله عليه وسلم، وذلك على النحو التالي:

أ- في المدينة: معاذ بن الحارث، المعروف بمعاذ القارئ (ت 63 هـ)، وسعيد ابن المسيب (ت 94 هـ)، وعروة بن الزبير (ت 95 هـ)، وعمر بن عبد العزيز (ت 101 هـ) وعطاء بن يسار (ت 103 هـ)، وسالم بن عبد الله بن عمر (ت 106 هـ)، وغيرهم.[8]

ب- في مكة: عبيد بن عمير (ت 74 هـ)، ومجاهد بن جبر (ت 103 هـ)، وطاوس بن كيسان (ت 106 هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت 115 هـ)، وعبد الله بن أبي مليكة (ت 117 هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت 200 هـ)، وغيرهم.

ج- في الكوفة: عمرو بن شراحيل (ت بعد 60 هـ)، وعلقمة بن قيس (ت 62 هـ)، ومسروق بن الأجدع (ت 63 هـ)، وعبيدة بن عمرو السلماني (ت 72 هـ)، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت 74 هـ)، وإبراهيم بن يزيد النخعي (ت 96 هـ)، وغيرهم.

د- في البصرة: عامر بن عبد قيس (ت حوالي 55 هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (ت 90 هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت قبل المائة هـ)، وأبو رجاء العطاردي (ت 105 هـ)، والحسن البصري (ت 110 هـ)، ومحمد بن سيرين (ت 110 هـ)، وغيرهم، هـ- في الشام:

المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت نيف وسبعين هـ)، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء، وغيرهم، وشملت هذه النقطة النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري.[9]

4 - تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة حتى صاروا أئمة يقتدى بهم في القراءة، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقبول، ولتصديهم للقراءة نسبت القراءة إليهم، ومنهم:

أ- بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130 هـ)، وشيبة بن نصاح (ت 130 هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت 169 هـ).

ب- بمكة: عبد الله بن كثير (ت 120 هـ)، وحميد بن قيس الأعرج (ت 130 هـ)، ومحمد بن محيصن (ت 123 هـ).

ج- بالكوفة: يحيى بن وثاب (ت 103 هـ)، وعاصم بن أبي النجود (ت 129 هـ)، وسليمان بن مهران الأعمش (ت 148 هـ)، وحمزة الزيات (ت 156 هـ)، والكسائي (ت 189 هـ).

د- بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق (ت 129 هـ)، وعيسى بن عمر (ت 149 هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ)، وعاصم الجحدري (ت 128 هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت 205 هـ).

هـ- بالشام: عبد الله بن عامر (118 هـ)، وعطية بن قيس الكلابي (ت 121 هـ) وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ويحيى بن الحارث الذماري (ت 145 هـ)، وشريح بن يزيد الحضرمي (ت 203 هـ).

المرحلة الثالثة: بدء التأليف في القراءات

(1)بدء التأليف في علم القراءات، وبدء عملية التدوين، وأول من ألف في علم القراءات، الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، وقيل غير ذلك، ثم تتابع التأليف من بعده إلى تسبيع ابن مجاهد السبعة واقتصاره عليهم، وجعلهم في مصنف خاص على ما يُذكر عن أربع وأربعين مصنفا. ويلاحظ أن هذه المصنفات لم تقتصر على عدد معين من القراءات.

(2)تسبيع السبعة، وذلك في كتاب (السبعة في القراءات) لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت 324 هـ)، ولم يقصد أن هذه القراءات السبع هي المقصودة في الحديث.

(3)توالي التأليف في القراءات السبع، ومن أبرز هذه الكتب «التيسير» لأبي عمرو الداني (ت 444 هـ)، ونظمه للإمام الشاطبي (ت 590 هـ)، وتعدّ هذه النقطة هي الفاصلة للتفرقة بين القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة، باشتهار كتاب التيسير ونظمه للشاطبي.

(4)ثم جاءت مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها دفعا لما علق في أذهان كثيرين من أن الأحرف السبعة الواردة في الحديث الشريف هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد[10]. قال مكي: «إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرا في العدد كثيرا في الاختلاف فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا

من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط به القراءة، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته وثقته وعلمه، فأفردوا من كل مصر وجّه إليه عثمان مصحفا إماما هذه صفته: فكان هؤلاء السبعة في الأمصار، ومع ذلك لم تترك القراءة بقراءة غيرهم كأبي جعفر ويعقوب وغيرهما».[11]

المبحث الثاني: مبادئ علم القراءات

- تعريفه: هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله[12]
- موضوعه: الكلمات القرانية من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها[13]
- ثمرته: العصمة من الخطإ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به ومالا يقرأ به[14]
- فضله: انه من أشرف العلوم لشدة تعلقه بأشرف كتب سماوي منزل.[15]
- واضعه: أئمة القراء وأول من دون فيه أبو عبيد القاسم ابن سلام.[16] المتوفى سنة 224 هـ رحمه الله
- اسمه: علم القراءات جمع قراءة بمعنى وجه مقروء به [17]
- استمداده: من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [18]
- حكم الشارع فيه: الوجوب الكفائي تعلّما وتعليما.[19]
- مسائله: قواعده الكلية كقولهم كل ألف منقلبة عن ياء يميلها حمزة والكسائي ويقللها ورش بخلف عنه أو بغير خلف في رءوس الآي السور العشرة. وهكذا.[20] مثل قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ البقرة: ٣٧

المبحث الثالث: أصول القراءات

فالكلمات القرآنية المختلف فيها تنقسم إلى قسمين، أصول وفرش، أي مطردة ومنفردة، فالمطردة هي كل حكم جار في كل ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم، كالمد والقصر والإظهار والإدغام وما إلى ذلك، والمنفردة هي كل ما يذكر في السور من كيفية قراءة كلمة قرآنية مختلف فيها بين القراء، مع عزو كل قراءة لصاحبها، ويسمى فرش الحروف، وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول.[21]

والأصول الدائرة على اختلاف القراءات، سبعة وثلاثون أصلا، وهي الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء، والصلة، والمد، والتوسط، والقصر، والإشباع، والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والإسقاط، والنقل، والتخفيف، والفتح، والإمالة، والتقليل، والترقيق، والتفخيم، والتغليظ، والاختلاس، والإخفاء، والتتميم،[22] والإرسال،[23] والتشديد، والتثقيل،والوقف، والسكت، والقطع، والإسكان، والروم، والإشمام، والحذف، والاثبات، وياءات الإضافة، وياءات الزوائد.[24]

المبحث الرابع: القراءة الصحيحة والشاذة.[25]

ذكر العلماء قاعدة تعرف بها القراءات المقبولة والمردودة[26] وهذه القاعدة هي:

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة[27] التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها، ووجب على الناس قبولها، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم [28] فهي قراءة شاذة مردودة، وفي هذا المعنى يقول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح إسنادا هو القرآن فـهـذه الـثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة [29]

الـمبحث الخامس: الفرق بين القراءات والروايات والطرق والخلاف الواجب والجائز.

خلاصة ما قاله العلماء في هذا المقام أن كل خلاف نُسب لإمام من الأئمة العشرة مما أجمع عليه الرواة عنه فهو قراءة وكل ما نسب للراوي عن الإمام فهو رواية وكل ما نسب للآخذ عن الراوي وإن سفل فهو طريقة، نحو الفتح في لفظ (ضعف) في قوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الروم: ٥٤ قراءة حمزة، ورواية شعبة، وطريق عبيد بن الصباح، عن حفص وهكذا، ومثل إثبات البسملة بين كل سورتين، فهي قراءة ابن كثير المكي ورواية قالون عن نافع، وطريق الأصبهاني من ورش عن نافع، [30]وهذا هو الخلاف الواجب فهو عن القراءات والروايات والطرق بمعنى أن القارئ ملزم بالإتيان بجميعها، فلو أخل بشيء منها عُدّ ذلك نقصا في روايته، كأوجه البدل مع ذات الياء لورش، مثل: قوله تعالى ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ البقرة: ٣٧ فإن لورش فيها فتح ذات الياء وفي البدل وجهان القصر والمد، ثم تقليل ذات الياء وفي البدل التوسط والمد، [31] فهذه طرق، وإن شاع التعبير عنها بالأوجه تساهلا.

وأما الخلاف الجائز للقارئ فهو خلاف الأوجه التي على سبيل التخيير والإباحة، كأوجه البسملة مع الاستعاذة أو مع السورة، وأوجه الوقف على عارض للسكون، فالقارئ مخير بالإتيان بأي وجه منها، غير ملزم بالإتيان بها كلها، فلو أتى بوجه واحد منها أجزأه ولا يعتبر ذلك نقصا في روايته، وهذه الأوجه الاختيارية لا يقال لها قراءات ولا روايات ولا طرق بل يقال لها أوجه فقط.[32]

الـمبحث السادس: الفرق بين المقرئ والقارئ، والقراء العشرة ورواتهم وطرقهم

المقرئ بضم الميم وكسر الراء، هو من علم القراءة أداء ورواها مشافهة وأجيز له أن يعلمها غيره.

والقارئ هو الذي جمع القرآن حفظا عن ظهر قلب. وهو مبتدئ ومتوسط ومنتهي. فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط من جمع أربع روايات إلى خمس، والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها.[33] فأما القارئ مقابلة للراوي فهو أحد الأئمة العشرة والراوي هو الآخذ عنه ولو بواسطة، وصاحب الطريق هو الآخذ عن الراوي، فلكل قارئ راويان مشهوران عنه، ولكل راو طريقان مشهوران عنه كما هو مبين في الجدول الآتي:

1 - نافع المدني			
قالون		ورش	
أبو نشيط	الحلواني	يوسف الأزرق	الأصبحاني
2 - عبد الله ابن كثير			
البزي		قنبل	
أبو ربيعة	ابن الحباب	ابن مجاهد	ابن شنبوذ
3 - أبو عمرو البصري			
الدوري		السوسي	
أبو الزعراء	ابن فرج	ابن جرير	ابن جمهور
4 - ابن عامر الشامي			
هشام		ابن ذكوان	
الحلواني	الداجوني	الأخفش	الصوري
5 - عاصم الكوفي			
شعبة		حفص	
يحيى بن آدم	يحيى العليمي	عبيدالله ابن الصباح	عمرو بن الصباح
6 - حمزة الكوفي			
خلف		خلاد	
أحمد بن عثمان	ابن مقسم	ابن شاذان	ابن الهيثم
7 - الكسائي			
أبو الحارث		حفص الدوري	
محمد بن يحيى	سلمة بن عاصم	جعفر النسيبي	أبو عثمان الضرير
8 - أبو جعفر المدني			
ابن وردان		ابن جماز	
الفضل بن شاذان	هبة الله بن جعفر	أبو أيوب الهاشمي	أبوعمرو الدوري
9 - يعقوب البصري			
رويس		روح	
التمار	النحاس	ابن وهب	الزبيري
10 - خلف الكوفي			
إسحاق الوراق		إدريس الحداد	
ابن أبي عمروالطوسي	محمد ابن إسحاق	الشطي	ابن بويان

وبعض الرواة أخذوا عن شيوخهم بواسطة، ولكن تركنا ذكر الواسطة اختصارا، وهذه الطرق المذكورة تفرع عنها طرق بلغت تسعمائة وثمانين طريقا ذُكرت في النشر. [34]

المبحث السابع: أما كن انتشار القراءات في العصر الحاضر:

كانت قراءات الأئمة العشرة منتشرة في الأمصار الإسلامية، يقرأ أهل كل مصر وما حوله بقراءة إمامهم، واستمر الحال على ذلك قرونا، وذكر الداني أن إمام الجامع الكبير في البصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب. [35] وكان أهل مصر يقرءون برواية ورش حتى القرن الخامس الهجري، ثم انتشرت بينهم قراءة أبي عمرو البصري[36].

انتشرت رواية حفص عن عاصم في معظم العالم الإسلامي بسبب اعتماد الدولة العثمانية لها، ثم طباعة المصحف بها، وازدادت انتشارا بسبب كثرة المصاحف المطبوعة بها، وانتشار التسجيلات بها وعبر الإذاعات ووسائل الإعلام المتعددة.

وقيل لما اخترعت آلة الكاتبة بالعربية لم تستطع أن تنقط الامالة والتسهيل فنظروا الى أقرب الروايات للطباعة فكتبوا بها.

فرواية حفص عن عاصم يقرأ بها معظم المسلمين اليوم. ويقرأ برواية قالون عن نافع، في ليبيا وأجزاء من تونس والجزائر، وبرواية ورش عن نافع في غرب مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وتشاد والكمرون ونيجيريا وأغلب البلاد الإفريقية الغربية، وفي شمال وغرب السودان. ويقرأ برواية الدوري عن أبي عمرو في السودان والصومال، وحضر موت في اليمن.[37]

الخاتمة

ومهمة المقرئ في هذا العصر، تنحصر في اتباع القراءات العشر برواياتها وطرقها الصحيحة، التي حوتها الكتب الثلاثة.

- الأول: نظم حرز الأماني ووجه التهاني، المعروف بالشاطبية، للقاسم بن خلف الشاطبي الأندلسي.
- الثاني: نظم الدرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر لمحمد بن محمد بن محمد ابن الجزري.
- الثالث: نظم الطيبة في القراءات العشر للإمام ابن الجزري أيضا، وهو الذي قام بعملية تصفية لما قرأ واستبعد ما فوق العشر من القراءات لعدم توفر شروط قبول القراءات الصحيحة فيها، وأما العشر، فاستبعد منها كل طريق فيه طعن ولم يتحقق فيه اللقيا بين الشيخ وتلميذه، فالعمل الذي قام به الأمام الحافظ ابن الجزري في القراءات ليحصل على الصحيح منها، هو مثل العمل الذي قام به الإمام البخاري لاختيار الحديث الصحيح وأكثر منه.

فكل قراءة أو رواية أو وجه مذكور في أحد هذه الكتب الثلاثة فهو مقروء به متلقى بالقبول.

هذا وتعرض الباحث من خلال هذه الجولة عن ماهية القراءات القرءانية ونشأة هذا العلم وتعريفة واصوله ومن هم أئمة القراء ومن هو الراوي ومن هو صاحب الطريقة وما الذي ينبغي على القارئ في هذا الزمن وكل هذا محاولة متواضعة عسى أن أكون قد أجبت على أسئلة الإخوة القراء المهتمين بهذا الفن العظيم.

والنفع إن وجدت فيه فاشكن لربنا إن خطأ فالتعزرن
ولتصلحن السقـــات والخلل بعد يقين وتأمل حصل

وأسأل الله تبارك تعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، وحجة لنا لا حجة علينا وأن يزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، إنه ولي ذلك والقادر عليه. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة.
- ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد:
  - طيبة النشر في القراءات العشر مكتبة الهدى المدينة المنورة الطبعة الأولى 1414هـ.
  - النشر في القراءات العشر دار الفكر بيروت لبنان.
- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار الفكر بيروت 1996م
- ابن شريح الرعيني: أبو عبد الله محمد الأندلسي: الكافي في القراءات السبع دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 2000 م
- أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت665هـ)
  - إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع وهو شرح للشاطبية المطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1413هـ
  - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز. الناشر: دار صادر - بيروت 1395هـ - 1975م
- البنا: أحمد بن محمد (ت 1117هـ): اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات. مكتبة الكليات الأزهر. الطبعة الأولى 1407ه
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الأولى، 1404ه
- الزبيدي: عثمان بن عمر الناشري: الإيضاح شرح الإمام الزبيدي على متن الدرة مطبعة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة 1411هـ
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1991م
- صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي (الدكتور): أثر القراءات في الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى أضواء السلف الرياض.
- الضباع: علي محمد: الإضاءة في بيان أصول القراءة، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي.
- عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى: تأملات حول تحريرات العلماء للقراءات المتواترة. الطبعة الأولى 1413هـ
- غوني (GWANI)حسن مقري: دليل الحيران إلى رواية أبي سعيد بلاطبع.
- القاضي: عبد الفتاح
  - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. مطبعة مصطفى البابي ط 1

- تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني القاهرة
- القطان: مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ): مباحث في علوم القرآن الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة 2000م
- محمد أحمد خاطر (الدكتور)، قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها مصادرها إحصاؤها، دار الاعتصام القاهرة، ص ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي النشر في القراءات العشر للحافظ دار الفكر.
- مسلم: بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مفلح القضاة: محمد أحمد، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور الناشر: دار عمار(الأردن): مقدمات في علم القراءات الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م
- مكي: أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي(ت437هـ): الإبانة عن معاني القراءات. دار نهضة مصر للطبع والنشر.

التوثيق

[1] القاضي: عبد الفتاح: تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني القاهرة، ص 2-3.

[2] ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار الفكر بيروت 1996م 10 / 28

[3] انظر: البنا أحمد بن محمد (ت 1117هـ): اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات. مكتبة الكليات الأزهر. الطبعة الأولى 1407 هـ 10/1

[4] انظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر دار الفكر. (7/1 - 9)، وأبو شامة: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (ت 665هـ): المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز. الناشر: دار صادر - بيروت 1395 هـ - 1975م ص 148

[5] انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، في فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (23/9)، مسلم: بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، في صلاة المسافرين، بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف (559/1).

[6] القطان: مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ): مباحث في علوم القرآن الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م ص 6

[7] الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الأولى، 1404ه(1: 39).

[8] مفلح القضاة: محمد أحمد، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور الناشر: دار عمار (الأردن) مقدمات في علم القراءات الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م ص 52

[9] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (1: 7) وما بعدها.

[10] ابن الجزري، النشر (1: 43 - 44).

[11] مكي: أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي(ت437هـ): الإبانة عن معاني القراءات دار نهضة مصر للطبع والنشر ص 47 - 48.
[12] الضباع: علي محمد الإضاءة في بيان أصول القراءة، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي. ص 12
[13] أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 665هـ): إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع وهو شرح للشاطبية. المطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1413 هـ ج 1 / 14
[14] انظر: ابن شريح الرعيني: أبو عبد الله محمد الأندلسي: الكافي في القراءات السبع دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 2000 م ص 9
[15] القاضي: عبد الفتاح: البدور الزاهرة في القراءا ت العشر المتواترة مطبعة مصطفى البابي الطبعة الأولى. ص 5
[16] انظر: ابن شريح الرعيني: الكافي في القراءات السبع، ص 9
[17] الزبيدي: عثمان بن عمر الناشري: الإيضاح شرح الإمام الزبيدي على متن الدرة. مطبعة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة 1411هـ ص35
[18] القاضي: عبد الفتاح: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص 5.
[19] أبو شامة: إبراز المعاني: شرح الشاطبية. ج 1 / 14
[20] انظر: ابن شريح الرعيني الأندلسي: الكافي في القراءات السبع، ص 9
[21] انظر : الضباع: الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص 12.
[22] التتميم لغة التكميل واصطلاحا: عبارة عن صلات ميمات الجمع خصيصة بها، (المرجع السابق)
[23] الإرسال لغة الإطلاق، وعرفا عبارة عن تحريك ياء الإضافة بحركة الألف، وهي الفتح المعروف وهي عبارة قديمة. (المرجع السابق)
[24] الضباع: الإضاءة في أصول القراءة ص 12
[25] انظر: محمد أحمد خاطر (الدكتور)، قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها مصادرها إحصاؤها، دار الاعتصام القاهرة، ص 58.
[26] انظر: ابن الجزري: النشر. ج 1 / 51
[27] انظر: صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي (الدكتور): أثر القراءات في الفقه الإسلامي، ط الأولى أضواء السلف الرياض. ص 56
[28] انظر: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1991 م. ج 1 / 164
[29] ابن الجزري: طيبة النشر في القراءات العشر مكتبة الهدى المدينة المنورة الطبعة الأولى 1414هـ. ص: 32
[30] انظر: الزبيدي: الإيضاح شرح الزبيدي عل متن الدرة ص 36
[31] انظر: غوني (GWANI)حسن مقري: دليل الحيران إلى رواية أبي سعيد ص 6 بلاطبع،
[32] انظر: عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى: تأملات حول تحريرات العلماء للقراءات المتواترة. الطبعة الأولى 1413هـ ص57
[33] الضباع: الإضاءة في أصول القراءة ص 5.
[34] انظر: عبد الرزاق بن علي: تأملات. ص 17 - 22.
[35] عبد الرازق موسى، تحقيق: الإيضاح على متن الدرة، ص 27.

[36] الضباع: الإضاءة ص 57.
[37] مفلح القضاة مقدمات في علم القراءات ص 63

منهج الشيخ عبد الله بن فودي في الإسرائيليات في تفسيره للقرآن الكريم وموقفه منها

محمد إبراهيم يعقوب
مركز البحوث للدراسات القرآنية
جامعة ولاية يوبى – نيجيريا
رقم الهاتف: 08022194085 –

و

الدكتور أبوبكر الصديق أحمد
قسم الدراسات الإسلامية –
جامعة ولاية يوبى – نيجيريا

المقدمة:

الحمد لله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، أنزله الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأوضح آياته وبينها، وأورد قصصه وهذبها، فكانت أحسن القصص وأعذبها، قال تعالى: چ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ چ يوسف: ٢ - ٣ وإن في القرآن الكريم أخباراً تعلقت ببني إسرائيل، وجاءت مختصرة وموجزة، منها ما أوضحت السنة المطهرة، ومنها ما بقي على إيجازه وإبهامه، ولا سبيل إلى إدراك تفاصيله إلا برواية عن بني إسرائيل، ورواياتهم فيها ما فيها، فقد احتوت على الحق والباطل، والصحيح والفاسد، والصدق والكذب.

وسكوت القرآن عن تفاصيل تلكم القصص يعد من باب الرحمة بهذه الأمة، إلا أن الطبع البشري والنفس الإنسانية مولعة بمعرفة تفاصيل ما جاء موجزاً من القصص في القرآن الكريم، والذي لا سبيل إليه إلا بالرواية، فاضطر بعض المفسرين أثناء تفسيرهم لكتاب الله تعالى أن يلجأوا إلى الرواية عن بني إسرائيل، ولم يكتفوا بما صح منها في السنة النبوية، فكانوا بين مكثر ومقل، لأن وظيفة المفسر هي بيان المراد من النص القرآني بمختلف ألوانه، ولذا لم يسلم كثير من المفسرين من ذكر الإسرائيليات في كتبهم، فقد استعانوا بها لبيان ما جاء منها مجملا في القرآن الكريم، خاصة ما كان منها من أخبار الأمم الماضية، والقرون الغابرة، وقصص الأنبياء والرسل ومن كان معهم في تلك الأزمان. وابن فودي كغيره من المفسرين، قد نقل _ رحمه الله تعالى - شيئا من الإسرائيليات، في أثناء تفسيره للقرآن للكريم، وهذه الورقة عبارة عن دراسة مفصلة توضح منهج الشيخ عبد الله بن فودي في الإسرائيليات توضح كيفية استفادته منها، والمنهجية التي تناول بها تلك الإسرائيليات، وقد اشتملت على مقدمة وثلاث نقاط وخاتمة.

النقطة الأولى: تعريف الإسرائيليات:

أ/الإسرائيليات لغة: كلمة الإسرائيليات من المصطلحات الإسلامية التي ناسبت مجيء الإسلام، ولم يكن للعرب قبل ذلك معرفة بها.

فالإسرائيليات جمع إسرئيلية، نسبة إلى نبي الله تعالى، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[1].

فالقرآن خير شاهد على هذا, فقد قال تعالى چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ آل عمران: ٩٣ وباتفاق المفسرين على أن المقصود بإسرائيل في الآية هو يعقوب عليه السلام، ويؤيد ذلك قوله تعالى چۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ البقرة: ١٣٣

ب/ واصطلاحا: لفظ الإسرائيليات إذا أطلق في الاصطلاح العلمي فإنه ينصرف إلى ما يروى عن اليهود من قصص وحوادث ومعلومات، وقد يدل على كل ما يروى من مصادر نصرانية أو غيرها. وقد يتوسع فيه عند بعض المحدثين والمفسرين ليدل على كل ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من الأخبار التي لا أصل لها ليشوهوا بها ملامحه الحسنة، كقصة الغرانيق، وقصة زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش[2].

والجزء الأخير من التعاريف للإسرائيليات، وهو: (كل ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير...) إلى آخره، ويرى الباحث أنه لا يدخل تحت مسمى الإسرائيليات، وإنما هو من قبيل ما حارب به المستشرقون الإسلام والمسلمين، مما يسمى إن صح التعبير بالاستشراق، وقد تصدى له علماء المسلمين فأبطلوه وفندوه بما فيه الكفاية والحمد لله.

ولعل أحسن ما عُرف به الإسرائيليات هو: منقولات عن أهل الكتاب اليهود والنصارى، إذ هي في هذا الباب لا تعني أخبار بني إسرائيل من حيث الإخبار عنهم، لكن من حيث إنها منقولات عنهم، يطنب ويفصل بها مجمل وموجز ما جاء في القرآن الكريم من القصص، سواء أكانت قصصهم أو قصص غيرهم من الأمم[3].

وإطلاق لفظ الإسرائيليات على جميع أهل الكتاب من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدإ ظهور الإسلام إلى أن بسط نفوذه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجا [4].

النقطة الثانية: أقسام الإسرائيليات: الإسرائيليات يمكن تقسيمها إلى قسمين، وذلك من حيث مصدرها ومن حيث اعتبارها.

أما من حيث المصدر فإنها تنقسم إلى قسمين:

(1)إسرائيليات مصدرها عن اليهود، لأنهم أصحاب ثقافة دينية تعتمد في جملتها على التوراة التي قال فيها القرآن: چچ ڍ ڍ ڌ ڌ ڈ ڈ ھ چ المائدة: ٤٤. وإلى جانب التوراة ما نقلوه عن موسى عليه السلام مشافهة من السنن والنصائح، وعلى مرور الزمان وتعاقب الأجيال تم تدوينها وعرفت باسم التلمود. وإلى جانب التلمود الأدب اليهودي والقصص والتاريخ والتشريع والأساطير وهذه الجوانب كلها مصدر ثقافي لليهود، ومنه نقلوا إلينا الإسرائيليات، سواءً على أيدي اليهود أنفسهم أو على أيدي غيرهم ممن دخلوا اليهودية من العرب.

(2)إسرائيليات مصدرها عن النصارى، وهم أيضا أصحاب دين وثقافة مستوحاة في الغالب الأهم من الإنجيل الذي قال عنه القرآن: چٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ڈ ڈ ٺ ٺ ٺ ٺ ڈ ڈ ڤ ڤ چ المائدة: ٤٦ وإلى جانب الإنجيل ما عثر عن النصارى من القصص والأخبار والتعاليم التي زعموا أنهم تلقوه عن عيسى عليه السلام.

ومن هنا يتضح لنا أن التوراة كانت مصدرا أساسيا لليهود كما أن الإنجيل كان مصدرا أوليا للنصارى، إضافة إلى ما ألحق بهما.

ومن يبحث في التوراة والإنجيل يجد أنهما اشتملا على كثير مما اشتمل عليه القرآن الكريم وبخاصة ما كان له تعلق بقصص الأنبياء عليهم السلام، لأن القرآن جاء مصدقا لما فيهما، قال تعالى: ﭼ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ آل عمران: ٣ وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ المائدة: ٤٨ لأن معظم ما جاء في القرآن من هذه القصص مجمل وموجز، ولذا يلجأ بعض المفسرين إلى بيانه من مصادر اليهود والنصارى.

أما الإسرائيليات من حيث الاعتبار أي القبول أو الرد فإن العلماء يقسمونها إلى ثلاثة أقسام وهي:

(1)ما علم صحته مما بأيدينا من نصوص الكتاب والسنة المنقولة إلينا نقلا صحيحا مما يشهد له بالصدق، كأكثر قصص الأنبياء وغيرهم مما ذكر في القرآن، أو جاء في السنة مما يتفق مع ما جاء عند أهل الكتاب.

وحكم هذا القسم أنه صحيح ومقبول.

(2)ما علم كذبه بأن يناقض ما عرف من شرعنا أو كان لا يتفق مع العقل، ومن ذلك ما يذكر من قصة داود وزوجة أوريا في سورة (ص~)، وكقصة صخر المارد في قصة سليمان في السورة نفسها، وكقصة عوج بن عنق في عهد نوح، وكصة مدينة (إرم) وغير ذلك من القصص التي لايخفى ما فيها من الخرافات والكذب.

وحكم هذا القسم أنه يجب رده ولا يجوز التحدث به إلا أن يروى للتحذير منه والتنبيه عليه، ولا يصح قبوله.

(3)ما هو مسكوت عنه لا هو من قبيل الأول ولا هو من قبيل الثاني، كبعض التفاصيل التي جاءت في قصة قتيل بني إسرائيل الذي أحياه الله بضربة بجزء من البقرة التي أمروا بذبحها.وحكم هذا القسم أنه يجب التوقف عنه فلا نصدقه ولا نكذبه، وتجوز حكايته لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا قول أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"[5]

وما جاء في الأحاديث مما يفيد الأذن في التحدث عن بني إسرائيل يحمل على القسم الأول والتي وردت بالمنع تحمل على القسم الثاني، والتي وردت بالنهي عن التصديق والتكذيب تحمل على القسم الثالث الذي لا يفيد فائدة دينية، ولذلك يلاحظ فيه اختلاف كثير بين المفسرين،كاختلافهم في أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي ذأحياها الله لإبراهيم، وتعيين جز البقرة الذي ضرب به قتيل بني إسرائيل، ونوع الشجرة التي كلم منها موسى، إلى غير ذلك مما ورد في القرآن مبهما، ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ودنياهم[6]

النقطة الثالثة: أثر الإسرائيليات في التفسير:

لاشك أن الإسرائيليات لها أثر سلبي وإيجابي في التفسير فهي سلاح ذو حدين لا يستفيد منه إلا من أحسن استخدامه، وأما من أساء استخدامه فإنه لا فائدة ترجى منه، هذا إن لم يضر به، والأثر السلبي للإسرائيليات يظهر فيما يلي:

(1)لم يكتف المفسرون بالصحيح من الإسرائيليات ولم يقف بهم الأمر على ما كان عليه في عهد الصحابة بل زادوا على ذلك فرووا كل شيء عنهم مما ظاهره الصدق, ومما ظاهره الكذب.
(2)أدخل المفسرون في التفسير القصص الخيالي المخترع مما أدى إلى سقوط قيمة كتب التفسير التي كثرت فيها الإسرائيليات.
(3)وضع المفسرون المكثرون من الإسرائيليات العقبات في طريق معرفة الأخبار الصحيحة، لجمعهم بينها وبين الأخبار المكذوبة.
(4)إلحاق التهم والريبة ببعض من أسلم من أهل الكتاب وأصبحوا في رتبة الصحابة أو التابعين.
(5)انتهاك حرمة الجناب النبوي بإلصاق هذا الزور به ورفعه إليه.[7]

وأما الجانب الإيجابي للإسرائيليات فإنه يكمن في ما جازت روايته وحكايته مما لا يتعارض مع ما عندنا في القرآن الكريم، وتظهر فائدته في بيان المجمل من القصص والأخبار في القرآن الكريم، وتوضيح المبهم الوارد في كتابنا العزيز، فيتفق معه ولا يختلف، وهذا لا يكون إلا لمن اتبع القوانين والضوابط في التعامل ونقل الإسرائيليات، وقليل من المفسرين من التزم هذه القوانين والضوبط في تفسيرهم للقرآن الكريم، وصاحبنا الشيخ عبد الله بن فودي من أولئك القلة، كما سينجلي لنا فيما بعد إن شاء الله تعالى.

النقطة الرابعة:منهج ابن فودي في تناوله للإسرائليات أثناء التفسير وموقفه منها:

لقد استعان الشيخ عبد الله بن فودي في تفسيره للقصص القرآني والحوادث بالإسرائيليات، إلا أنه له منهجه الخاص في تناول تلك الإسرائيليات، يتضح من خلال ما يورده الباحثان من شواهد على تفسيره بذلك، مقسما لها إلى ثلاثة أقسام، وإليك بيانها:

القسم الأول: ما استعان به ابن فودي من الإسرائيليات وكان موافقا لما في القرآن أو السنة:

ومن أمثلة ذلك:

عند قوله تعالى ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ إبراهيم: ٣٧ الآية، قال ابن فودي عند تفسيره لهذه الآيات نقلا عن البخاري[8]: " ولما كمل إبراهيم أدعيته ذهب إلى الشام، ثم إن أم إسماعيل لما رجعت إلى مكانها الذي تركها فيه عند دوحة، عند زمزم في أعلى المسجد، جعلت ترضع إسماعيل وتشرب من ماء السقاء حتى إذا نفد عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى فانطلقت كراهية أن تنظر إليه يموت فوجدت الصفا أقرب جبل إليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي هل ترى أحدا فلم تر أحدا، فهبطت حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها فسعت سعي المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات، قال عليه السلام: " فلذلك سعى الناس بينهما، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعته أيضا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال: بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بقدر ما تغرف، قال عليه السلام: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا، فشربت وأرضعت ولدها، فقال الملك: لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، فكانت كذلك حتى مرت بها رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرا طائفا, فقالوا: إن هذا الطائر يدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي ما فيه ماء, فأقبلوا إلى ذلك المكان فإذا هم بأم إسماعيل عند الماء، فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت: نعم، لكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم، فنزلوا فأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كانوا أهل إبيات شب الغلام وتعلم العربية منهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك تزوج امرة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته.... الحديث بطوله أخرجه البخاري وغيره"[9].

هذا ما أورده ابن فودي عند تفسيره للآية الكريمة، غير أنه اكتفى بما صح فيها عن البخاري وغيره مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك في آخر الخبر.

ويلاحظ هنا أنه لم يكمل باقي القصة، واقتصر على محل الشاهد فيها لتوضيح معنى الآية، وكل ما ذكره صحيح وموافق لما في القرآن والسنة النبوية.

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن فودي عند قوله تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ الأحزاب: ٦٩ قال ابن فودي مفسرا لهذه الآية ومبينا نوع الأذى الذي لقيه موسى من قومه وذلك: "بتحريض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله، وبقولهم: ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر (فبرأه الله مما قالوا) بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر

الحجر به حتى وقف به بين ملإ من بني إسرائيل، فأدركه موسى فأخذ ثوبه واستتر، فرأوه لا أدرة به، وهي نفحة في الخصية، رواه البخاري وغيره[10] عن أبي هريرة " [11].

وابن فودي عند تفسيره للآية ذكر نوعين مما آذى به بنوا إسرائيل موسى عليه السلام وهما:

تحريض امرأة على قذفه بنفسها وبأنه آدر

ويلاحظ هنا أنه لم يذكر من القصص التي تحكى حول هاتين القصتين عدا ما صح فيها من رواية البخاري وغيره، وقد اختصر الحكاية الأولى اختصارا شديداً، وذلك لأنه ذكرها مفصلة عند تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ القصص: ٧٦ إلى قوله ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ القصص: ٨١ ولكنه لم يذكر لهذا التفصيل مصدرا، بل أورده بصيغة (روي) مما يدل على أنها ضعيفة لديه، وإنما ذكرها لأن ذكرها لا يقدح في حق موسى عليه السلام، ولا ينقص من مكانته، وغاية ما يقال في مثل هذا: أنه من قبيل الإسرائيليات التي لا تكذب ولا تصدق، ولعل هذا ما سوغ لابن فودي ذكرها في تفسيره.

وهذا الموقف الذي وقفه ابن فودي من الإسرائيليات والقصص التي تخالف ما جاء في أصول ديننا الحنيف عند هذه الآية، هو الموقف نفسه الذي يقفه مع أمثالها أثناء تفسيره لكتاب الله تعالى، حسب ما استقرأه الباحثان.

القسم الثاني: ما استعان به ابن فودي من الإسرائيليات مما هو مسكوت عنه في كتبنا:

وابن فودي في تفسيره لآيات القصص القرآني ذكر نوعا من أنواع الإسرائيليات مما هو مسكوت عنه في كتبنا من حيث القبول أو الرد.

وتحت هذا القسم يستعين ابن فودي بالإسرائيليات ليوضح بها أسماءً مبهمةً واردةً في آيات القصص القرآني، أو بيان عدد مجمل، أو تعيين فترة تاريخية، أو أماكن لم يصرح بها القرآن، أو وصف شيء غامض ورد في تلك القصص والحوادث التي جاء ذكرها فيه، مما لا يخدش في العصمة النبوية، ولا يترتب على ذكره نقص في الدين، ولا يتناقض مع العقل السليم، ولا يشم فيه رائحة الكذب أو الوضع، وفيما يلي شواهد على ذلك من كتابه ضياء التأويل وهو أنواع:

النوع الأول: ما جاء عنه من الإسرائيليات في ذكر الأسماء والعدد، ومن أمثلة ذلك:

1- في قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ البقرة: ٤٩

ذكر أن معنى (فرعون) الوارد في الآية: لقب لكل من ملك من العمالقة بمصر، ولعتوهم أشتق منه: تفرعن الرجل، إذا عتى وتجبر، وفرعون موسى: مصعب بن ريان أو ابنه وليد، من بقايا عاد[12].

2- في قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الكهف: ٩ قال في معنى الرقيم: "اللوح المرقوم أي المكتوب فيه أسمائهم، وقيل: الرقيم: الوادي الذي فيه الكهف، وقيل: الرقيم قريتهم، وقيل: اسم مكان بقرب فلسطين، وقيل: اسم كلبهم، وقيل: أصحاب الرقيم قوم آخرون، ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء فآووا إلى كهف فانحطت صخرة

وسدت بابه فدعوا الله كل بعمله الخالص لله، ففرج الله عنهم، وقد ذكرت قصتهم في البخاري وغيره"[13]

فالمثال الأول اشتمل على اسم من أسماء الأشخاص، بينما اشتمل المثال الثاني على اسم من أسماء الأمكنة، مما جاء على سبيل الإجمال والإبهام، وإن كان ابن فودي قد ذكر فيه أكثر من قول، إلا أن الإمام ابن كثير رجح القول الأول وعزاه إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال: "وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير"[14].

النوع الثاني: ما جاء عنه من الإسرائيليات في ذكر الأنساب وتعيين الفترات الزمنية:

ومن أمثلة ذلك: - في قوله تعالى: چڈ ٹ ٹ ٹ ڈ ڦ ڦ ڦ ڦ ڈ ڈ ج ج چ چ چ چ ج چ الأعراف: ٥٩

قال في تفسيرها: "أرسلنا نوحا ابن لامك بن شلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلابيل بن فينان بن أنوش بن شعيب بن آدم، وبينه وبين آدم ألف ومئتا سنة، بعث ابن أربعين أو خمسين، وعاش ألف سنة على الأصح" [15].

فبين نسب نوح عليه السلام إلى آدم وذكر الفترة الزمنية بينهما، ومتى بعث؟ وكم عاش؟ وكل ذلك مما يستوي ذكره وعدمه، فليس هناك فائدة كبيرة ترجى من ورائه، وما جاء من ذلك عن ابن فودي قليل جدا لا يعتد به، كيف؟ وقد أشار هو إلى قلة الفائدة من الخوض فيه.

النوع الثالث: ما جاء عنه من الإسرائيليات في الوصف:

ومن أمثلة ذلك: - في قوله تعالى چأ ب ب ب پ پ پ پپ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ چ هود: ٣٨ قال ابن فودي في أثناء تفسيره للآية واصفا سفينة نوح عليه السلام: "روي أنه أكمل السفينة في سنتين، وكان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعا، وارتفاعها ثلاثين ذراعا، وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، ولها ثلاث طبقات، لما جاء الماء جعل في الأولى الوحش والسباع والهوام في الوسطى هو ومن معه من الأنعام والدواب، وفي العليا الطيور"[16].

النوع الرابع: ما جاء عنه من الإسرائيليات ولا ينافي العصمة:

وأمثلته من الشواهد الآتية: قوله تعالى: چئې ئى ئى ئد ى ى ي ي□□□□□□ بم بى □□ □ تم□□ □ ثم□□ چ سبأ: ١٤ قال ابن فودي مستعينا في تفسير هذه الآية بما جاء فيها من الإسرائيليات: "(فلما قضينا عليه الموت) مكث قائما على عصاه حولا ميتا، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها"[17].

وهذا الذي أورده ابن فودي لا ينافي العصمة ولا ينقص شيئا من مكانة سليمان عليه السلام، وأحسن ما يقال فيه إنها معجزة له، ولذا لم يعلق عليها بشيء.

القسم الثالث: ما ذكره ابن فودي من الإسرائيليات مما فيه كلام من حيث القبول أو الرد:

باستقراء ما جاء في كتاب ضياء التأويل لابن فودي من الإسرائيليات مما فيه كلام عن العلماء بالنقد والرد وعدم القبول، أدرك الباحث أن جملة ما تطرق إليه ابن فودي من هذا النوع ينقسم إلى أربعة أنواع وهي:

النوع الأول: ما يذكره ابن فودي من غير نقد ولا تعليق:

ومن أمثلته ما قاله ابن فودي عند قوله تعالى چڎ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ يوسف: ١٧ "روي[18] أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا ثوبه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه، فأخذه يعقوب وتأمله وقال: ما رأيت ذئبا أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه، وقيل: إنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله, فقال يعقوب: أيها الذئب أأنت أكلت ولدي؟ فأنطقه الله فقال: والله ما أكلته ولا رأيته، ولا يحل لنا أكل لحوم الأنبياء، فأطلقه وقال: چ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ گ چ يوسف: ١٨

والشيخ عبد الله بن فودي لم يعلق على هذه الروايات التي سردها تحت تفسيره للآية، ولم يبد رأيه فيها، ويرى الباحث أنه إنما فعل ذلك لأمور وهي:

- الأمر الأول: لم يرد في القرآن ولا في السنة ما يعارضها ويخالفها
- الأمر الثاني: ليس في القصة ما يتناقض مع مكانة النبوة وجلالتها
- الأمر الثالث: ولعل ابن فودي يرى مثل هذه الأخبار تعد من باب المعجزات التي تحصل للأنبياء والرسل، ككلام الذئب مع يعقوب عليه السلام، والله أعلم.

وهذا منهج ابن فودي في مثل هذه القصص التي لا تتعارض مع الدين أو العقل، وأمثال هذه القصص كثير، وفي هذين المثالين كفاية.

النوع الثاني: ما يذكره موجها وناقدا ما جاء فيه من مخالفة:

وهذا النوع قلما يرد في تفسير ابن فودي، وما أورده من ذلك فلإرادة نقده وتوجيهه، أو رده وعدم قبوله، ومن أمثلته ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى چڤ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ڱ ں چ الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠

قال عند تفسيره للآية وبالتحديد عند قوله تعالى: ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ قال المفسرون[19]: بتسميته عبد الحارث، والحارث اسم إبليس، ولا ينبغي أن يكون عبدا إلا لله، وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم، وأيد ذلك السيوطي وغيره لحديث سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ولما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، والترمذي وقال: حسن غريب.ا ه قال ابن العربي في الأحكام: هذا الحديث ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره، وفي الإسرائيليات التي لا يعول عليها من له قلب، فإن آدم وحواء وإن غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، والقول الأشبه بالحق هو أن المراد جنس الآدميين، فإن من حالهم في الحمل إذا ثقل عليهم نذروا فيه كل نذر، وإذا ولد لهم جعلوا فيه لغير الله شركاء إلا من عصمه الله"[20].

ويلاحظ هنا أن الشيخ عبد الله بن فودي بدأ بنقل القصة الإسرائيلية عن المفسرين إشارة منه على عدم قبولها، لمخالفتها للعصمة، خاصة ما جاء فيها من الوقوع في الشرك، ولذا وجهها بما جاء عن ابن العربي، وهو تأويل جميل يناسب المقام والحال.

وبهذا الأسلوب السلس والمنهجية الرصينة يظهر موقف ابن فودي من الإسرائيليات والقصص التي لا تصح نقلا ولا عقلا.

النوع الثالث: ما يذكر بعضه ويسكت عن بعضه المخالف أو يرده:

وهنا نجد ابن فودي يستعين ببعض الإسرائيلية أو بعض القصة ويسكت عن البعض المخالف فيها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﭽﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ البقرة: ٢٥١ قال ابن فودي عند قوله تعالى ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ " وكان في عسكر طالوت من أبناء (إيشى) داوود صغيرهم، فأوحى الله إلى نبيه أن داوود هو الذي يقتل جالوت، فطلبه من أبيه فجاء، ومر في طريقه بثلاثة أحجار ودعاه كل واحد منها أن يحمله، وقالت له: إنك بنا تقتل جالوت فحملها وبارز جالوت وفي بيضته ثلاثمائة رطل من الحديد فقتله بها كما قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ فزوجه طالوت بنته"[21].

هذا ما ذكر ابن فودي من قصة قتل داوود جالوت وتزويج طالوت ابنته لداوود باختصار شديد، وقد جاءت مطولة في كتب التفسير[22] التي اهتمت بالإسرائيليات وفيها ما فيها من المخالفات الشرعية وانتهاك لحرمة الأنبياء، ولهذا سكت عنها ولم يتعرض لها، واكتفى منها بما يكمل به تفسير الآية، وبيان المراد لسلامته من المخالفات.

ومما مضى نرى أن ابن فودي ذكر من القصة ما يرى أنه صحيح، وسكت عن بعضها لعدم صحته، أو لأن غيره أصح منه. وعلى هذا المنهج سار ابن فودي في قصة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج[23].

النوع الرابع: ما يشير إليه إشارة من غير ذكر، ثم ينقده موجهاً أو راداً لمخالفته:

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ المائدة: ٢٢ قال عند تفسيره للآية: "من بقايا عاد طوال ذي قوة...، لكن ما يذكر المفسرون من وضع بني إسرائيل في عظمة هؤلاء الجبارين، وأنه كان فيهم عوج بن عنق, وأن طوله كذلك, وكذا،فمخالف لما في الصحيح" إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن " ثم ذكروا أن عوج كان كافرا ولم يغرق بالطوفان، وهذا كذب وافتراء لقوله تعالى ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ الشعراء: ١٢٠ وقوله حكاية عن نوح ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ نوح: ٢٦ وقال ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ هود: ٤٣ وإذا كان ابن نوح غرق فكيف يبقى عوج، وهو كافر، وهذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم وجود رجل يقال له عوج فيه نظر، والله أعلم" [24].

انظر كيف تناول ابن فودي هذه الآية، فقد بدأ أولا بتقرير معناها الصحيح، ثم شرع في تفنيد ونقد ما يذكره المفسرون من حكايات موضوعة عند هذه الآية، لكن من غير أن يذكر ذلك وإنما أشار إليه إشارة، ولم يكتف بالتنبيه على مخالفتها، بل حشد في إثبات ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، والعقل والقياس، ثم وسمها – أي القصة - بالوضع، وأنكر في النهاية وجود شخصية عوج بن عنق.

وعلى هذا المنهج نفسه تناول ابن فودي ما جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ البقرة: ١٠٢. ففسرها أولا بما يراه صوابا في معناها فقال: "جاء عن ابن عباس: هما رجلان ساحران يعلمان السحر، سميا ملكين باعتبار صلاحهما" ثم انتقل إلى نقدها وتجهيل من يوردون بعض الحكايات الباطلة والموضوعة عند تفسيرهم للآية في كتبهم فقال: "وأما ما ينقله جهلة المفسرين من قصة هاروت وماروت مع الزهرة فأكاذيب اليهود لا نلتفت إلى ذكرها"[25].

الخاتمة:

من خلال ما قدم الباحثان من الشواهد المختلفة يتبين منهج الشيخ عبد الله بن فودي في تناوله للإسرائيليات، كما ظهر موقفه منها، فهو يذكر منها ما كان موافقا لما عندنا في القرآن أو السنة من غير تعليق ومن غير أن ينقص من ذلك شيئا. وفي المقابل نجد أنه لا يذكر شيئا من الإسرائيليات المخالفة للشرع أو العقل، وقد يشير إليها ناقدا، أو مجهلا راويها، وقد يذكر بعض ما صح من الإسرائيليات في القصة ويسكت عن بعضها الآخر منبها على ذلك أو ناقدا.

وأحيانا يذكر وجها آخر للقصة الإسرائيلية المخالفة أو يزول فيها تأويلات تناسب العقل والدين، وما أورده ابن فودي من الإسرائيليات مما لا يفضي ذكره إلى محذور شرعي فإنه عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[26]فهي في جملتها لا تعدوا أن تكون مبينة لما أبهم من أسماء الأشخاص، أو الأماكن أو العدد، أو بيانا لما أجمل في القصص القرآني، أو هو مما يقال فيه معجزة للأنبياء عليهم السلام، أو كرامة لأولياء الله تعالى.

الهوامش:

[1] - كبير يونس – الدكتور- دراسات في أصول التفسير، الناشر: دار الأمة – كانو نيجيريا – ط 1، 2010م
ص: 435
[2] - انظر: كبير يونس, المصدر السابق , ص: 436
[3] - انظر: دتسو، عبد الله موسى، مفتاح علوم البيان، ط1، 2014م
: 348،
[4] - انظر: الدكتور الذهبي، المصدر السابق، ص: 147، المصدر السابق
[5] - بدر الدين العيني، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، الناشر – دار الفكر بيروت لبنان، ط1، 1989م، ج 25، ص: 75
[6]- انظر: الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، الناشر: دار الحديث – القاهرة – ط 1، 1432ه – 2012م ص: 158- 159
[7] الدكتور الذهبي، المصدر السابق، نفس الصفحة
[8] - راجع: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، باب يزفون النسلان في المشي، ج 23، ص: 228
[9] - انظر: ضياء التأويل , ج2, ص: 204
[10] - علي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، باب موسى عليه السلام،مؤسسة الرسالة – بيروت 1989م، ج 11، ص: 710
[11] - ابن فودي ضياء التأويل، ج3, ص: 250
[12] - انظر: ابن فودي، ضيا ء التأويل, , ج1, ص: 30
[13] - انظر:ابن فودي، المصدر السابق، ج 3، ص: 4
[14] - ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم - دار النشر: مؤسسة قرطبة،ط2000:1م ج: 9 / 107
[15] - انظر: ابن فودي، ضياء التأويل, ج5, ص: 141
[16] - انظر: ضياء التأويل، ج 2، ص: 136

[17] - ابن فودي، ضياء التأويل، ج3، ص: 355
[18] - أبو البركات، عبد الله بن أحمد النسفي، تفسير النسفي، ج 2، ص: 308
[19] - وأحسن ما جاء فيها عن المفسرين هو ما قاله الشنقيطي: إن في الآية وجهان من التفسير معروفان عند العلماء، والقرآن يشهد لأحدهما.
=الأول: أن حواء كانت لا يعيش لها ولد، فحملت. فجاءها الشيطان، فقال لها سمي هذا الولد عبد الحارث فإنه يعيش، والحارث من أسماء الشيطان، فسمته عبد الحارث فقال تعالى:{فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً} أي ولداً إنساناً ذكراً جعلا له شركاء بتسميته عبد الحارث، وقد جاء بنحو هذا حديث مرفوع وهو معلول كما أوضحه ابن كثير في تفسيره الوجه الثاني: أن معنى الآية أنه لما آتى آدم وحواء صالحاً كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما،وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء، لأنهما أصل لذريتهما كما قال:{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} أي بتصويرنا لأبيكم آدم لأنه أصلهم بدليل قوله بعد:{ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لأَدَمَ}، ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده:{فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2، ص: 46
[20] - انظر: ضياء التأويل، ج2، ص: 42
[21] - ابن فودي، ضياء التأويل، ج 1، ص: 101
[22] -ذكرت القصة بحزافيرها في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود – محمد بن محمد العمادي
الناشر: دار إحياء التراث العربي، ج 2، ص: 272
[23] - راجع: ابن فودي، ضياء التأويل، ج3، ص: 17
[24] - ابن فودي، ضياء التأويل، ج 1، ص: 233
[25] - ابن فودي، ضياء التأويل، ج1، ص: 45
[26] - أخرجه النسائي في السنن الكبرى، عن أبي سعيد الخدري، حديث رقم: 5848 دار الكتب العلمية –بيروت، تحقيق: د/ عبد الغفار سليمان البنداري، ط: 1، 1991م،ج 3، ص: 431

علوم الشريعة الإسلامية ونظام تدريسها بين جامع الشيخ غوني محمد كولو وجامعة ميدغري (دراسة مقارنة)

إعداد:
مصطفى أبوبكر مصطفى
مركز البحوث والدراسات القرآنية
جامعة ولاية يوبى – دماترو- نيجيريا
+2348086592161 or +2347031387180
ambiyama@yahoo.com
babaganaambiyama@gmail.com

ملخص البحث

تعتبر ولاية برنو عاصمة مملكة كانم التي عاشت حينا من الدهر في خدمة الشريعة، وأول بلد دخله الإسلام في السودان الأوسط، وأثبت الباحثون قديما وحديثا بأنها مملكة قامت على أُسس الشريعة الإسلامية، لِمَا لها من العلاقة الودية والحدودية مع الدول العربية. وكان النظام المعتاد في هذه المنطقة لتدريس علوم الشريعة هي ما يسمى الآن بالنظام الدهاليزي القديم، حيث يجلس الشيخ مع طلابه في الجامع فيقرءون كتب التراث المكتوبة بالعربية كالرسالة لابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل ويترجم لهم إلى اللغة المحلية، إلى أن فُتحت جامعة ميدغري وفيها كلية خاصة لتدريس الشريعة والقانون، وكان لها مقرراتها الخاصة ونظام تدريسها المختلف عن ما فى الجوامع القديمة فصار لتدريس الشريعة نظامان متباينان. وتكمن إشكالية هذا البحث في منهج التدريس بينهما بالأخص ما يتعلق بلغة التدريس ونطام التدريس حيث تبنت الجامعات اللغة الإنجليزية كلغة التدريس في قسمي الشريعة والدراسات الإسلامية وتبنت الجوامع اللغة العربية والمحلية لغتي الأصل للمصادر والتدريس، وكذلك من حيث اعتراف الحكومة بالشهادات الجامعية مع عدم إلمامهم بالعلوم الشرعية الأصيلة، وعدم اعتبار الدارسين في الجوامع لعدم الشهادة مع كونهم مؤهلين للقضاء والدعوة والفتوى. وتبرز أهمية هذا البحث في تحديد أهم العوائق والبحث عن الحلول المناسبة لها. والمنهج المتبع في البحث هو: المنهج التأصيلي والمقارنة بين هذيْن النظامين مع التركيز على جانبي الإيجابي والسلبي لكلٍ من النظامين. وقداختار الباحث الجامع للشيخ غوني محمد غوني كولو وجامعة ميدغري كلية الشريعة والقانون كنموذج لهذه الدراسة المقارنة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن من أهم دواعي إعداد هذا البحث؛ ما نعايشه من إسناد العمل إلى غير أهله بالأخص ما يتعلق بالقضاة والمفتين والمحاضرين في المدارس والجامعات لمواد الشريعة والدراسات الإسلامية اليوم. وما ذلك إلا خطة مقصودة لتعقيم هذين القسمين عن إيجاب شخصيات مزودة بالعلوم والفهم الصحيح عن أصول الشريعة وفروعها. ولا يمكن الخلاص مما تعانيه

الدولة من الفوضى في الحكم والفتوى وانتشار الرشوة والتناقض في الحكم حتى يُسند هذا الواجب إلى أهله.

وعلى هذا فإن هذه الورقة مهتمة فى عرضها وتحليلها للمنهجين فى الجامع والجامعة إلى أربعة مباحث لتقوم بدراسة الموضوع دراسة تأصيلية مقارنة بين منهج أو نظام التدريس القديم المعروف الآن بالدراسة التقليدية ونظام الجديد المعهود في المدارس والجامعات الحديثة. فالمبحث الأول: الجامع للشيخ غوني محمد غوني كولو ومنهج تدريسه للعلوم الشرعية والمبحث الثاني: جامعة ميدغري كلية الشريعة والقانون ومنهج تدريسها للعلوم الشرعية. وفي والمبحث الثالث: مقارنة بين المنهجين أو نظامين. ثم الخاتمة والتوصيات وأهم المراجع والمصادر.

المبحث الأول: الجامع للشيخ غوني محمد غوني كولو ومنهج تدريسه للعلوم الشرعية

الشيخ غوني محمد غوني كولو

هو الشيخ غوني محمد بن محمد بن على كولو الفقيه الأديب النحوي اليرواوي. ولد عام 1370هـ الموافق 1949م بمدينة "يَرْوا". وكان أبوه وجده من أهلها، نشأ في كنف أبيه العالم الحافظ المتقن الزاهد غوني محمد بن علي كولو، وكان والده عالما جليلا محترما لدى أهل يروا وهو من حفاظها، واشتهر بالعلم والورع والتقوى، فشب في تلك الدار حافظا للقرآن الكريم ومعانيه حفظا وتجويدا وترتيلا حتى لقب بـــ "الغوني" ومعناه "الماهر في القرآن الكريم" باللغة الكانمية في السن المبكر قبل الحلم وكان الناس يأتون إليه من بعيد ليروا الولد الصغير الذي حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ. وتلمذ لوالده في دراساته الأولية فقرأ عنه كُتبا عديدة في مختلف الفنون كالتفسير والفقه والحديث واللغة العربية والأصول والتوحيد وغيرها من العلوم الإسلامية[1].

شيوخه:

ما من شيخ يُذكر ممن تبحر في العلم والمعرفة ونفع الله به العباد والبلاد إلا وذُكر له شيوخُه وتلاميذه، لأن العلم أمانة يؤخذ من السابقين ويقدم للاحقين، فللشيخ غوني محمد كولو مشايخ وتلاميذ , ومن شويخه من يأتي أسمائهم:

(1) والده الشيخ عوني محمد بن علي كولو.
(2) الشيخ بشير بن الحاج الحسين.
(3) الشيخ الأديب غوني تجاني بن عيسى الكانمي.
(4) الشيخ الفقيه غوني عبدالله بن محمد.
(5) الشيخ أبوبكر المسكين اليرواوي
(6) الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني.

وغيرهم من الشيوخ الأجلاء في برنو ممن عايشهم وجالسهم واستفاد من علومهم.

ومن تلاميذه:

إن للشيخ تلاميذ لا يمكن إحصاءهم حيث بدأ التدريس في السن المبكر ولأكثر من ثلاثين سنة ولم ينقطع إلى يومنا هذا، والناس يأتون إليه دفعة دفعة فيصعب التعرف عليهم ناهيك عن معرفتهم بالاسم، فمن محاولة الباحثين السابقين توقف الباحث على أسماء بعض تلاميذ الشيخ منهم:

(1) الشيخ كياري تجاني.
(2) مالم عبدالله غوني محمد كولو.
(3) مالم غريما عبدالله.
(4) مالم مدو لمنتي.
(5) مالم أحمد تجاني شريف (من المعاصرين وكُتاب الشيخ حاليا).

مؤلفاته:

اهتم الشيخ بكتابة القصائد والنظم العلمية في مختلف الفنون، فكان أديبا وفقيها وموهوبا في التأليف، له من المؤلفات - المخطوط والمطبوع – أكثر من خمسين كتابا[2] ولم يزل يؤلف وينظم ويكتب ويدرس كما ورث من والده الشيخ محمد بن علي كولو (رحمه الله).

ومما لاحظ الباحث في شخصية الشيخ أنه شيخ فصيح ذو همة عالية فى التعليم ما فتح الله له من العلوم حيث لا شغله شغل شاغل والإفتاء وخدمة العلم تعليمانشرا وكتابة، وكذلك جوّاد لا يخشى الفقر ولو لِلَحظة، حيث ترى بعد الانتهاء من الدرس يجتمع عليه المساكين المعوقين كالعميان والمسنين رجالا ونساء وغيرهم ويقدم لكل واحد منهم ما تيسر من المال، ويجتمع عليه أولاد الحارة وأحفاده ليأخذوا نصيبهم ولا أحد منهم يعود خائبا[3].

ولقد حاول الباحثون الكتابة عن حياة الشيخ ودراسة أدبياته لنيل شهادات أكاديمية مختلفة منها:

(1) إدريس، محمد إدريس. **الشيخ محمد بن محمد كولو شاعرا "دراسة أدبية تحليلية لنماذج المدح والتوسل"** رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا تكملة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية عام 2012م.
(2) أمين أحمد عثمان. **مساهمة الشيخ غوني محمد غوني مدو علي كلو في الكتابة النثرية** بحث تكميلي قدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وأدابها نوفمبر 2008م.
(3) د. أبوبكر الصديق إدريس وكاوا قسم الدراسات العربية جامعة ولاية نصراوا كيفي. **حياة الشيخ محمد بن مجمد كولو اليرواوي "عرض ودراسة"** نشر في النور: مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ولاية يوبى دماترو، المجلد الثالث العدد الأول 2015م الجزء الثاني من ص63 – 81.
(4) ثم يأتي هذه البحث الذي يعرض من ذلك كله وهو منهج تدريسه فى جامعه المشهور كما يأتي

يقع جامع الشيخ في حارة مَافُونِي وتأسيسه قد مر عليه أكثر من ستين سنة وورث رئاسة هذا الجامع من والده منذ أكثر من ثلاثين سنة خلون[4]. وكان الجامع ملتصق ببيته حيث يجلس أمام بيته ويمتد مجلس التلاميذ حتى ما وراء الجامع لأنه يصل العدد إلى ما فوق ثلاثمائة طالب، ومن عادة طلاب العلم في برنو أن يخلع الطالب قلنسوته ويجلس أمام الشيخ مطأطأ رأسه يجيب بـــ (نعم، نعم)، ومما لاحظه الباحث في مجلس الشيخ أنه مجلس مفتوح يحضره البعض للاستماع والاستفادة والبعض للتبرك بمجلس العلم.

منهج الشيخ لتدريس العلوم الشرعية

إن منهج الشيخ للتدريس هو نفس المنهج المعتاد في المنطقة والمذكور أعلاه، وكان نظامه للتدريس نظام دقيق ومتقن حيث إذا شرع في شرح الكتاب لا يتركه إلا بعد الانتهاه منه ويكرر شرح نفس الكتاب إذا طُلب منه ذلك، وكان يقرأ النص العربي ثم يفسره باللغة المحلية (الكانورية) والطلاب يكتبون معاني الكلمات العربية أمام النص العربي باللغة المحلية ولكن بالحروف العربية. ومن محاسن طلابه أنهم يجيدون القراءة من الخطين المغربي والمشرقي. ومن أهم المقررات الشرعية والعربية التي يدرسها الشيخ من مجلسه:

تفسير الجلالين, تفسير الصاوي,مختصر خليل,الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ومنظومتها,المقدمة العزية,متن الأخضري,متن العشماوي,مصباح السالك,تحفة الحكام,نثر الورود على مراقي السعود ,الورقات. ومنظومتها,ابن عاشر.

نظم الكبرى السنوسية,المنظومة البيقونية,ألفية السيوطي,مقامات الحريري ,ألفية ابن مالك، وشرحه لابن عقيل, عقود الجمان في علم المعاني والبيان,الجوهر المكنون,الدرة اليتيمة,الفريدة,شرح الآجرمية, ملحة الإعراب,لامية الأفعال. وغير ذلك من كتب الفقه وأصوله واللغة العربية والحديث والمصطلح وبعض كتب التصوف التي تدعو إلى مكارم الأخلاق وتزكية النفوس[5]. وكانت طريقة تدريسه بالجامع طريقا مناسبا للمستويات الطلبة المختلفة، حيث يشرح في المنطومات خمسة أبيات وفي النثر ما لا يتجاوز الأسطر، ويعقد مجلسه صباح كل يوم عدا الخميس والجمعة. ومن عادة ختام الجلسة كل يوم توزيع القرآن الكريم للحاضرين وقراءة ختمة كاملة في أقل من عشر دقائق ثم يدعو الشيخ وينصرفون.

المبحث الثاني: كلية القانون بجامعة ميدغري ومنهج تدريسها للعلوم الشرعية

تأسيس جامعة ميدغري

أسست جامعة ميدغري عام 1975م في ولاية برنو ميدغري وهي جامعة تابعة للحكومة الفيدرالية، وتم اعتماد برامجها من قِبل المجلس التنفيذي (Governing Council) في اليوم الثاني من شهر أكتوبر 1976م 1976/10/2م وبُدأت الدراسة فيها في اليوم الرابع من شهر أكتوبر 1976م 1976/10/4م مع مجموعة من الطلبة عددهم 743 فى مرحلة الليسانس في ثلاث كليات:

(1) كلية الآداب والتربية. (Faculty of Arts and Education)
(2) كلية العلوم الاجتماعية والقانون. (Faculty of Social Sciences and Law)
(3) كلية العلوم (Faculty of Science)[6].

كلية القانون

أنشئت كلية القانون بجامعة ميدغري في أول الأمر كقسم للقانون (Department of Law) تابع لكلية العلوم الاجتماعية والقانون وذلك عام 1976م، وفي عام 1978م تم اعتماده على استقلالية قسم القانون من كلية العلوم الاجتماعية وتسميتها كلية القانون وتحتها قسم واحد وهو (Department of Common law) وبعد ذلك تمت الموافقة من قِبل لجنة الجامعات الوطنية.(N.U.C). على فتح خمسة أقسام تابعة للكلية، ولكن لم تتمكن الكلية من فتحها جميعا في نفس الوقت، وفي 2 من أكتوبر 1980 تم افتتاح قسم(Department of Sharia)، وفي السنة الدراسية 1998/1997م وافق مجلس الجامعة على تقسيم قسم (Department of Common law) إلى قسمين (Private law) و (Public law) فصار في الكلية ثلاثة أقسام.

1- (Department of Sharia)
2- (Private law)
3- (Public law) [7]

منهج كلية الشريعة – جامعة ميدغري - لتدريس العلوم الشرعية

إن المنهج المقرر لطلاب قسم الشريعة – جامعة ميدغري – المتعلق بالعلوم الشريعة كالآتي:

1- (101 Introduction to Islamic Law I)
2- (102 Introduction to Islamic Law II)
3- (103 Introduction to Arabic for Shari`ah I)
4- (104 Introduction to Arabic for Shari`ah II)
5- (201 Qur`an and Hadith I)
6- (202 Qur`an and Hadith II)
7- (203 Application of Islamic law in Nigeria)
8- (Islamic Constitutional law)
9- (205 Comprehension in Arabic for Shari`ah I)
10- (206 Comprehension in Arabic for Shari`ah II)
11- (301 Islamic law of Crime and Torts)
12- (302 Mu`amalat I)
13- (303 Mu`amalat II)
14- (304 Application of Arabic for Shari`ah I)
15- (305 Application of Arabic for Shari`ah II)
16- (306 Islamic law of Banking and Insurance I)
17- (306 Islamic law of Banking and Insurance II)
18- (401 Islamic Family law I)
19- (402 Islamic family law II)
20- (403 Mirath and wasiyah I)
21- (404 Mirath and wasiyah II)
22- (405 Phonetics and Eloquence in Arabic for Shari`ah I)
23- (406 Phonetics and Eloquence in Arabic for Shari`ah II)
24- (409 Islamic law of war and peace I)
25- (410 Islamic law of war and peace II)
26- (501 Usul Al-fiqh I)
27- (502 Usul Al-fiqh II)
28- (503 Islamic property and Company law I)
29- (504 Islamic property and Company law II)
30- (505 Murafa`at I)
31- (506 Murafa`at II)
32- (507 Islamic Constitutional law I)
33- (508 Islamic Constitutional law II)[8]

تلك المواد التي مقررات الجامعة على الكلية وأوجبت النجاح فيها قبل الحصول على شهادة الليساس في قسم الشريعة، وجماع هذه الم يتخلص فى الآتي:

1- تاريخ التشريع الإسلامي.
2- قواعد اللغة العربية.
3- نصوص من القرآن والسنة
4- الفقه (المعاملات والجنايات والحدود والأقضية).
5- أصول الفقه.
6- تاريخ تطبيق لقانون الإسلامي فى نيجيريا

المبحث الثالث: مقارنة بين المنهجين أو نظامين

إن المقارنة بين شيئين بقصد إدراك أوجه الاتفاق والاختلاف والوقوف على الإيجابيات والسلبيات للشيئين تحتاج إلى تحديد الحيثيات أولا. فقبل المقارنة بين هذيْن المنهجين لا بد من تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما وذلك لإخراج ما هو متفق عليه. فأوجه الاتفاق بين المنهجين كالآتي:

1- إن كلا من المنهجيْن يهدف إلى إلمام الطالب بعلوم الشريعة الإسلامية ليتولى مهمة القضاء والإفتاء.

وأما أوجه الاختلاف بينهما فيمكن إجمالها في الآتي:

أولا: من حيث التقدم التاريخي أو الزمني:

إن جامع الشيخ غوني محمد غوني كولو من أقدم الجوامع في ميدغري حيث ورثه من والده من أكثر من ثلاثين سنة مضت ووالده أيضا درّس الجامع لأكثر من ثلاثين سنة كما تقدم بيانه، وهو حال الجوامع في برنو حيث يرث الأبناء من الآباء. وأما قسم الشريعة - جامعة ميدغري – فكانت بداية الدراسة فيها عام 1978م. فبالنظر إلى أصل الجامع يكون الجامع أقدم من الجامعة، أما بالنظر إلى تاريخ تولي الشيخ التدريس فيه فالجامعة أقدم منه تأسيسا.

ثانيا: من حيث التخصص.

بغض النظر إلى التفاصيل يمكن القول بأن الهدف من كلٍ منهما هو التعرف بالعلوم الشرعية، إلا أن الدراسة في الجامع لا تعرف لغة التخصص، حيث يُدرس فيه علوم اللغة والشريعة والحديث والتفسير على سواء - مع أن كتب الشريعة تأخذ من غيرها نصيب الأسد لكن ليس بغرض التخصص فيها فحسب – أما الجامعة فالغاية القصوى منها هي التخصص في علوم الشريعة حيث لا أحدَ يدعي التخصص في الشريعة مالم يمر بتلك المرحلة. – مع أن في الجامعة أيضا موادا أخرى تضاف على المواد الدراسية كاللغة الإنجليزية والعربية والعلوم الإجتماعية والإدارية التي تعطي الطالب معلومة عامة حول الأعمال الإدارية والحياة الاجتماعية والقضائية.

ثالثا: لغة التدريس:

إن لغة الدراسة في جامع الشيخ غوني محمد كولو هي اللغة العربية، حيث إن هذه الكتب العواتق المذكورة سابقا تدرس على هيئتها الأصيلة، إلا أن الشيخ يترجم لهم ويزودهم بالمعاني والمفردات العربية الواردة فيها باللغة المحلية وهي اللغة الكانورية. وتَبَنَّت الجامعات النيجيرية كلها اللغة الإنجليزية لغة الدراسة والتدريس في قسم الشريعة، مع أن الأصل في لغة دراسة الشريعة هي اللغة العربية، فمهما حاول الإنسان أن يتمكن في الشريعة فلا بد أن يكون ملما باللغة العربية، لأنها هي لغة مصادر الشريعة لغة القرآن والحديث. لقول الإمام الشاطبي في الموافقات:

أَنَّ الشَّرِيعَةَ عَرَبِيَّةٌ، وَإِذَا كَانَتْ عَرَبِيَّةً؛ فَلَا يَفْهَمُهَا حَقَّ الْفَهْمِ إِلَّا مَنْ فَهِمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةِ حَقَّ الْفَهْمِ؛ لِأَنَّهُمَا سِيَّانِ فِي النَّمَطِ مَا عَدَا وُجُوهَ الْإِعْجَازِ، فَإِذَا فَرَضْنَا مُبْتَدِئًا فِي فَهْمِ الْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ مُبْتَدِئٌ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ، أَوْ مُتَوَسِّطًا؛ فَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْمُتَوَسِّطُ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ

النِّهَايَةِ، فَإِنِ انْتَهَى إِلَى دَرَجَةِ الْغَايَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ كَانَ كَذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ؛ فَكَانَ فَهْمُهُ فِيهَا حُجَّةً كَمَا كَانَ فَهْمُ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْفُصَحَاءِ الَّذِينَ فَهِمُوا الْقُرْآنَ حُجَّةً، فَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ شَأْوَهُمْ؛ فَقَدْ نَقَصَهُ مِنْ فَهْمِ الشَّرِيعَةِ بِمِقْدَارِ التَّقْصِيرِ عَنْهُمْ، وَكُلُّ مَنْ قَصُرَ فَهْمُهُ لَمْ يُعَدَّ حُجَّةً، وَلَا كَانَ قَوْلُهُ فِيهَا مَقْبُولًا "[9].

وقال ابن خلدون في مقدمته: "ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مصادر الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عربي وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة[10].

وقال المسلاتي "لا يجوز لامرئ أن يقدم على اجتهاد والإفتاء إلا إذا كان جامعا لجملة من الشروط، ومن مقدمها الإلمام الواسع باللغة العربية[11]"

إذن، فمعرفة اللغة العربية لطلاب الشريعة فرض عين، وإلا فقد أُسند العمل إلى غير أهله. واعلم أن الذين تخرجوا في قسم الشريعة هم الذين يتم تعيينهم قضاة في المحاكم الشرعية وللإفتاء في أمور الدين، ولا يمكن لهم الوقوف على الصواب إلا بمعرفة لغة المصادر والمراجع لكتب الفقه والأصول والحديث بعد القرآن الكريم. والاعتماد على كتب مترجمة إلى لغات أجنبية كالإنجليرية والفرنسية لا يجدى لأسباب منها:

(1)إن الترجمة لا تخلو عن كونها نقل المعاني من لغة إلى لغة أخرى، فقد حُرمنا إذن من تلك الفصاحة والبلاغة التي في القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهما مااعتمد عليه أهل الاجتهاد في استنباط الأحكام.

(2)إن أيادي المستشرقين الملوثة قد لعبت دورها المعروف عند ترجمة أهم الكتب الإسلامية لا سيما كتب العقيدة والأحكام نظرا لخطورتها.

(3)وإن سلمنا – جدلا- بصحة ترجمتهم فالكتب المترجمة قليلة جدا بالنطر إلى أصلها العربي إذ لا تتجاوز واحدا من المائة من التأليفات في هذا الفن[12].

فعلى الطالب الشرعي أن لا يتساهل بهذه المادة، مع أنها وسيلة إلى مقصوده وليست غايته ولكن لا يستغني عنها مهما كان الأمر. وعارٌ على الطالب الشرعي أن يستدل بالآيات القرآنية المترجمة ويعجز عن الاتيان بنصها العربي، وليس العار عليه وحده بل حتى على الجامعة التي تخرج فيها حيث إنه لم تقرر عليه من خلال دراسته الجامعية لمدة خمس سنوات حفظ بل ولو قراءة ءاية واحدة من القرآن الكريم بنصها العربي.

رابعا: من حيث اهتمام الحكومة:

تعد الدراسة في الجوامع جهودا فرديا لا دخل للحكومة فيها لا لتحمل تكاليف الدراسة كالكتب والمباني وباقي المتطلبات، ولا دفع الشهرية للشيخ. أما الجامعة فكلها عبء على الحكومة الفيدرالية، حيث يتولى بناءها وترميمها وإعداد المتطلبات الدراسية كالأثاث والخدمات الأخرى وفي نفس الوقت يتقاضى منها المحاضرون مرتباتهم الشهرية. فاهتمام الحكومة مائة في المائة بالجامعة ولا اهتمام لها بالجوامع.

خامسا: كفاءة الهيئة التدريسية.

عادة لا يتولى أحد التدريس في الجوامع إلا إذا شهد له أهل العلم والحل والعقد فى البلد بأهليته وأنه يجب عليه أن يتولى ذلك. خلافا للجامعات، مع الأصل فيها أيضا الحصول على

الشهادات التي تؤهل المحاضر والفوز في امتحانات القبول كموظف إلا أن الكفاءة بينهما تختلف تماما لا سيما في قسم الشريعة كما سيأتي المزيد عليه لاحقا إن شاء الله.

سادسا: الاعتماد والتشبث بالتراث

المقررات أو المناهج الدراسية في الجوامع أكثرها من كتب التراث، وهو حال جامع الشيخ كما مر بنا ذكر الكتب التي تدرس فيه، حيث الاعتماد على كتب التراث هو الأخذ من الأصل والأقدم، فالشريعة الإسلامية مهما تطورت لا تستغني عن جهود السابقين ولا تخرج من حدود جهدهم، أما الجامعة فكان اهتمامها واعتمادها على الكتب المعاصرة غالبا، لا سيما المترجمة إلى اللغة الإنجليزية وقد سبق الحديث عن عدم كفايتها.

سابعا: النظام المادي والمعنوي

يعني الباحث بالنظام المادي؛ الأنظمة الدراسية المتعلقة بالمال، كدفع رسوم الدراسة والقبول وباقي الخدمات الدراسية. فالجامع للشيخ غوني محمد كولو كما سبق القول من جهود فردي ليس هناك أي رسوم يدفعه الطالب سنويا او شهريا، وإنما هي كعادة الكانوريين ان يتقدم الطالب إن شاء بهديته لمعلمه متى ما تيسر له وهذا أيضا باسم أنه يطلب منه الدعاء لا باسم جزاء التدريس. أما الجامعات مع أن الحكومة الفيدرالية هي التي تتولى دفع مرتبات المحاضرين إلا أنها تفرض على الطلبة دفع مبلغ معين في كل سنة.

ثامنا: المنهج ونظام التدريس.

يختلف نظام الدراسة ومنهج التدريس في الجامعات عن النظام والمنهج للدراسة في الجوامع، فالنظام المعتاد في الجوامع أن الشيخ إذا شرع في شرح كتاب معين لا يتوقف حتى إلى نهاية الكتاب ثم يبدأ مما يليه وليس للدراسة في الجوامع امتحان يعقد ولا مدة محددة للتخرج، عكس نظام الجامعة حيث يتخرج الطالب بعد دراسة خمس سنوات بشرط النجاح في كل المواد المقررة، والمعتاد – عن المنهج - في الجامعات أنه يحدد الموضوعات معينة في فن معين ويقوم المحاضر بإعداد المذكرة للطلبة من خلال هذه الموضوعات أو يأتي ويلقي المحاضرة والطلاب يحاولون تدوين ما يقول.

تاسعا: شمولية المنهج لعلوم الشريعة

بتتبع المناهج الدراسية والكتب التي تدرس في جامع الشيخ غوني محمد كولو يمكن القول بأنه مناهجه الدراسية شملت كل المتطلبات والموضوعات لعلوم الشريعة الإسلامية، ففي الفقه مثلا يدرسون أهم كتب التراث كالعزية والرسالة والمختصر وهي كتب شملت جميع أبواب الفقهية من العبادات والمعاملات والجنايات والحدود والأقضية، وكذلك في الأصول واللغة العربية وأما القرآن الكريم فهو أول ما يحفظه الطالب قبل البدء في حضور المجالس العلم على ما هو المعتاد، أما الجامعة فقد اختارت موضوعات فقط في كل فن، ويُعرف ذلك بتتبع محتويات المواد المذكورة سابقا، ففي الفقه مثلا لم تقرر الجامعة جميع أبواب العبادات، فبم يفتي الطالب إن سُئل في مسائل الصلاة والصيام والزكاة والحج مثلا، ناهيك عن الطهارة والحيض والنفاس؟ وهو الوحيد الذي تأهل في الفن والمرجع الوحيد لدى الحكومة في الشئون الشرعية. فالغاية في الفقه عندهم معرفة المعاملات والجنايات والحدود والأقضية.

وكذلك في الأصول حيث لا يُدرس إلا في السنة الأخيرة الفترة الأولى سبع موضوعات مبادئ العامة لعلم الأصول وفي الفترة الثانية خمس موضوعات مصادر الشريعة والاجتهاد والفتوى، وأبدًا لن تؤهل هذه الموضوعات الطالب لمعرفة طرق استنباط الأحكام من مظانها الأصلية ولا يعرف ثمرة الأصول حيث لم يقف على مباحث الألفاظ ولم يتعمق في فلسفة القياس. وأما اللغة العربية فقد اهتمت الجامعة بها جدا حيث جعلتها من المقرر لكل السنة وكل الفترة من السنة الأولى حتى الرابعة، إلا أنها لا تؤتي أكلها كما يتوقع لوجود بعض العوائق سيذكرها الباحث في محلها إن شاء الله. وأما القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي وقاموس الأحكام واللغة العربية فهو محذوف على طلاب الشريعة من السنة الأولى إلى السنة الخامسة لم تقرر الجامعة على الطالب ولو ءاية واحدة يتلوها بنصها العربي. سوي ما يسمى بالقرآن والحديث وهي مادة تحتوي على سرد بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بالأحكام الشرعية باللغة الإنجليزية وهي أيضا في الفترة الأولى والثانية في لسنة الثانية فقط، وكذلك مادة الدستور الإسلامي حيث ذكرت بعض الآيات المتعلقة بالحقوق في الإسلام والعدل والحياة الاجتماعية، وهي أيضا باللغة الإنجليزية كأدلة وليس كمنهج مقرر يحفظ.

عاشرا: أهلية الطلبة لدراسة الشريعة.

عادة، لا يأذن الشيخ لتلميذه بالمشاركة في مجالس العلم مالم يحفظ القرآن الكريم، فالطالب بعد حفظه للقرآن الكريم يكون أهلا للالتحاق بحلقة دروس العلوم الشرعية، ولا يصعب عليه شيء منها حيث كلها مبنية على الأدلة وهو حافظ للمصدر الأول للأدلة فيجد أن عملية الدراسة توسع له دائرة ما حفظ من القرآن وتبين له معانيه فيشتاق إليها ويزداد رغبة فيها، أما الجامعة فالشرط الأساسي للالتحاق بقسم الشريعة لديها هي النجاح في خمس مواد على الأقل في الثانوية، بشرط أن تكون مادة الحساب والإنجليزية منها ثم مادة اللغة العربية أو الدراسات الإسلامية. تلك الشروط المطلوبة قد تغطي مشكلة الأساس في علوم الشرعية وهو فهم العربية والإلمام بالمبادئ الإسلامية، إلا أن الكل يعرف أنه ليس كل ما هو مسطور في الشهادة محفوظ في الذهن. فكم من الطلبة تجدهم نجحوا في اللغة العربية في الشهادة الثانوية ولا يعرفون الحروف العربية! وكم من الطلبة نجحوا في الدراسات الإسلامية ولم يعرفوا فرائض الوضوء والصلاة!

تحديد النظريات أو الأهداف.

عملا بقاعدة أصولية: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره" ينبغي أن نعرف ما الهدف أو المطلوب من قيام الجامعة بتدريب وتدريس هؤلاء طلبة الشريعة الإسلامية؟ وكذلك الشيخ غوني محمد في جامعه؟ فبناء على الأهداف تتسع مجال العمل والفرص ومميزات الطالب.

فجامعة ميدغري حددت أهدافها من إنشاء قسم الشريعة فهي تتمحور حول:

(1) إتاحة الفرصة للطلاب الدارسين للشريعة الإسلامية بالالتحاق مع طلاب القانون معهد القانون النيجيري (Nigerian Law School / Nigerian Bar) للحصول على التدريبات القانونية والشهادة المؤهلة لممارسة الوظائف القانونية في الدولة.

(2) إتاحة الفرصة والميزة لخريجي قسم الشريعة على غيرهم في المحاكم الشرعية[13].
(3) تأهيل الطلاب الحاصلين على الشهادة في الشريعة للمشاركة في البيئة الأكاديمية[14].

أما الدراسة في جامع الشيخ وأمثاله من الجوامع فليس له أهداف محددة من قِبل أصحابها مدونا، بل الهدف الأساسي هو تبليغ العلم وتكوين الطلبة المؤهلين للقيام بالتعليم والإفتاء والإمامة وغير ذلك مما يؤهلهم علومهم. فلذلك تجد أكثر طلابه تجارا وبعضهم أئمة في المساجد ومدرسين في الزوايا القرآنية وبعضهم موظفين قضاة ومحاضرين، يدرسون للتزود بالعلوم الشرعية لا للحصول على الشهادة التأهيلية حيث إن الشيخ لا يقدم لهم إجازة محررة ولا شهادة مؤهلة.

فبالنظر إلى أهداف الجامعة ندرك أنها أهداف سامية فيها تقدُّمٌ كبير ورفعٌ لشأن طلبة الشريعة، حيث تتاح لهم الفرص والميزة بجمعهم بين علوم الشريعة والقانون على أقرانهم الذين تخصصوا في القانون فقط. وفرص عملهم يشمل المحاكم للقضاء والمحاماة وكذلك أعمال الإدارة المتعلقة بالشئون القانونية وكذلك التدريس في المرحلة الجامعية. إلا أن دائرة أو مجال الفرص المتاحة لهم ضيق جيث ليسوا أهلا للإفتاء في الأمور الشرعية كلها ولا أهلا للإمامة.

وطلاب الشيخ أيضا فقد فازوا بالجمع بين الحسنيين حيث إنهم تزودا بالعلوم الشرعية التي تؤهلهم للقيام بتعليم الآخرين في الجوامع العلوم الشرعية وكذلك تؤهلهم ذلك للالتحاق بالمدراس الحكومية للحصول على الشهادات الحكومية، ويمتازون بأهيلية الإفتاء في جميع مسائل الفقهية والأصولية والعربية علاوة على إمامة الناس في المساجد والقيام ببعض الواجبات الشرعية كالصلح بين الناس وعقد الزواج والتسمية والجنازة وما أشبهها.

العوائق والحلول المقترحة.

إن كان من أهم أهداف كل "دراسة مقارنة" الوقوف على العوائق والبحث عن الحلول الناجع سعيا للجمع بين الحسنيين وعملا بقاعدة: "الجمع أولى من الترجيح". فالباحث قام بمقابلات عديدة للوقوف على أهم العوائق التي تعرقل سير جامعة ميدغري في منهج تعليم الشريعة وكذلك الجامع للشيخ غوني محمد كولو فى نفس الموضوع:

المقابلة الأولى مع الدكتور محمد أبوبكر (الليسانس والماجستير والدكتوراه في الشريعة جامعة المدينة المنورة وعضو هيئة التدريس بجامعة ميدغري قسم الشريعة). اختار الباحث الدكتور محمد لكونه ملما بكِلي النظاميْن وصاحب الخِبرة في التدريس بالجامعة وصاحب جامع يُدرّس فيه العلوم الشرعية في حارته كالفقه والأصول. فالمقابلة الآتية:

السؤال الأول: ما هي أهم العوائق التي تقف أمام هذا القسم في نشرها لعلوم الشريعة مقارنة بدراسة علوم الشريعة المعتادة في الجوامع؟

الجواب: كثيرة منها:

(1) عدم شمول المناهج الدراسية لجميع علوم الشريعة.
(2) لغة التدريس.

السؤال الثاني: رأيتُ في المناهج الدراسية أن للغة العربية نصيب الأسد في المقررات الدراسية، فهل ترى أن هذه المقررات تؤهل الطالب بأن يتحدث باللغة العربية ويقرأ كتب التراث حتى يستنبط منها الأحكام؟

الجواب: لا، لأسباب منها:

(1) الطلاب الذين يرشحون لقسم الشريعة أكثرهم غير مؤهلين للتخصص في الشريعة، يعني ليس لديهم استعداد الذاتي للتبحر في علم الشريعة، إنما غايتهم الحصول على الشهادة ولقب المحامي.
(2) المنهج الدراسي لمواد الشريعة كالفقه والأصول كلها تدرس بالإنجليزية، فلا يجبر الطالب على الكتابة أو القراءة بالعربية إلا في مادة واحدة وهي اللغة العربية.
(3) الجو الدراسي لا يشجع الطلبة على تعلم اللغة العربية حيث إن عدم معرفتهم إياها لا يضرهم أثناء دراستهم الجامعية[15].

المقابلة الثانية مع السيد القاضي أحمد تجاني شريف (خريج جامعة الملك فيصل تشاد وقاضي بالمحكمة الشرعية بالحكومة المحلية بِوْ ولاية برنو ومن أقدم تلاميذ الشيخ غوني محمد كولو وكُتَّابه) الشيخ غوني محمد كولو نفسه هو الذي أرشدني إليه لما سألتُه عن جامعه فأحالني إلى السيد أحمد بأن يزودني بكل المعلومات التي أحتاج إليها، وقد وجدته في بيته وفتح لي صدره وزودني بكل المعلومات كما أمره الشيخ. فمن ضمن تساؤلاتي له بعد نبذة عن مقرأة الشيخ ومناهجه. جاءت هذه الأسئلة:

السؤال الأول: كيف وجد نفسه في القضاء حيث هو جمع بين الدراسة في الجوامع والدراسة في الجامعة ويمارس القضاء حاليا في المحاكم الشرعية؟

الجواب: الحمد لله، لأن الأمر أكيد يحتاج إلى التفقه في الدراسات الإسلامية أولا، حيث يرى كثير ممن تخرجوا في الجامعات النيجيرية ولم تكن لهم خلفية سابقة لا يستطيعون إصدار الحكم إلا بطلب العون ممن درسوا العربية ويندمون على ذلك.

السؤال الثاني: إذا كان الأمر كذلك، فما أثر ذلك على النظام القضائي في المحاكم الشرعية؟

الجواب: لذلك أثر سلبي، حيث تعد من أهم أسباب تأخير إصدار الأحكام والفوضى في الأحكام والحكم بالهوى[16].

المقابلة مع المحامي محمد جاجيرى (محامي بالمحاكم الشرعية ورئيس قسم الشريعة بجامعة ولاية يوبى وخريج جامعة ميدغري قسم الشريعة 2004م) وبالمناسبة دائما نصيحتُه لطلاب الشريعة تعلموا العربية، فوالله كل مَن تخرج ولم يعرف العربية سيندم، فدائما يشجع طلابه وأساتذة العربية في القسم بالاهتمام بالعربية. خططنا اللقاء مرات ولكن تعذر فأجرينا المقابلة عبر الهاتف فكانت الأسئلة كالآتية:

السؤال الأول: أنتَ خريج قسم الشريعة بجامعة ميدغري، مالعلة التي ترى تسبب عدم إلمام الطلاب قسم الشريعة باللغة العربية مع وجودها في كل الفترة من السنة الأولى حتى الرابعة؟

الجواب: لعدم إلمام خريجي قسم الشريعة باللغة العربية أسباب منها:

1- عدم الخلفية قبل الالتحاق بالقسم في اللغة العربية، حيث يبدأ القراءة من الحروف الهجائية.
2- ضيق الوقت ونظام التدريس.
3- عدم الخلفية باللغة الإنجليزية لأساتذة اللغة العربية، مما لا يجد الطلاب وسيلة التفاهم الواضحة بينهم وبين الأساتذة وكذلك الأساتذة.

السؤال الثاني: الحمد لله الآن قضيتَ سنوات تمارس المحاماة وتحاضر في الجامعة، كيف ترى إنجازات خريجي قسم الشريعة والذي يمارس القضاء في المحاكم الشريعة هل يستطيع إصدار الأحكام بدون أي إشكالية؟

الجواب: حقيقة يواجهون مشاكل جمة، حيث لا يستطيعون الغوص في الكتب الفقهية المكتوبة بالعربية للبحث عن الأدلة، مما جعلهم يختفون وراء الكتب المترجمة والقضاة الذين يجيدون العربية. وهذا مما أدى إلى أن قررت المحاكم الشرعية عدم توظيف أي مرشح لممارسة القضاء مالم يكن قادرا على التحدث بالعربية قراءة وكتابة وقادرا على قراءة القرآن الكريم بنصه العربي[17].

هذه هي أهم المقابلات التي قام الباحث بها قصدا للحصول على أهم العوائق التي تقف ضد المناهج والمقررات الدراسية للجامعة والجامع.

الحلول المقترحة أو التوصيات:

خلال هذه الدراسة والمقارنة والمقابلات يود الباحث أن يقدم هذه الحلول الآتية:

(1) لطلاب قسم الشريعة إلزام الجوامع ليجمعوا بين الحسنيين – الشهادة والعلوم الشرعية الأصيلة من مصادرها الأصلية وعدم الاعتماد الكلي على الكتب المترجمة.

(2) أن لا يقبل الطلبة فى قسم الشريعة بناء على ما في الشهادات بل بناء على امتحان شفوي يعقد بين أساتذة العلوم الشريعة والعربية والتأكد على أهلية الطالب لدراسة الشريعة من حيث معرفة مبادئ الشريعة واللغة العربية. وكذلك توسيع دائرة الكتابة بإجازة كتابة البحث التكميلي لليسانس والماجستير والدكتوراه وكذلك البحوث الأكاديمية بالعربية.

(3) وضع موضوعات فقه العبادات في مقرراتها، وجعل التخصص في علم الفقه وأصوله تحت قسم الشريعة لا الدراسات الإسلامية. وإضافة مادة القرآن الكريم ولو بالاقتصار على آيات الأحكام بنصوص العربية في المنهج الدراسي.

(4) وعلى المحاضر ان يكثفوا الجهود محاولة بذل قصارى في تعليم الطلبة تلك اللغة وكذلك تشجيعهم على حبها باستعمال الوسائل التعليمية المعاصرة كالمسلسلات الإسلامية ومقاطع الأفلام والأصوات العربية واستماع الأخبار وقراءة المجلات، وأن يجذبوا انتباههم إلى أهمية هذه اللغة في مستقبلهم القضائية بالأخص حتى يشعر الطالب بأهميتها ويبذل قصارى جهده في طلبها.

(5) يقترح الباحث لطلاب جامع الشيخ غوني محمد غوني كولو محاولة تطوير دراستهم، وذلك بالالتحاق بالمدارس النظامية للحصول على الشهادات الثانوية ثم محاولة الالتحاق بالجامعة قسم الشريعة بالأخص حيث لهم حظ وافر فيه أكثر من غيرهم، ولا سيما توجد في نفس الحارة كلية محمد غوني للشريعة والدراسات الإسلامية وفيها قسم للدراسة التأهيلية والمرحلة الثانوية للدراسات الإسلامية وكذلك قسم للدبلوم في الشريعة الإسلامية والدراسات الإسلامية واللغة العربية. فهذه فرصة ذهبية لهم.

الخاتمة:

توصل الباحث خلال هذه الدراسة إلى أن هناك مواضع الائتلاف والاختلاف بين المناهج الجوامع والجامعات، حيث يتفق المنهجان في محاولة إلمام الطالب بعلوم الشريعة، إلا أن

مناهج الجامعات تحتاج إلى بعض التعديلات أو إضافة بعض المواد التي تعد من أساسيات علم الشريعة كالقرآن الكريم وفقه العبادات، وأما الجوامع فمنهجها موافقة لمتطلبات طالب الشريعة، إلا أنه ينبغي لطلابها أن يطوروا هذه الدروس بالدراسة النظامية حتى يحصلوا على شهادة تؤهلهم للالتحاق بالجامعة وتولي أعمال القضائية وغيرها.

أهم المصادر والمراجع:

ابن خلدون، عبد الرحمن. **مقدمة ابن خلدون** دار ابن الهيثم القاهرة ط1 1426ه 2005م

سندا، محمد بشير **تدريب المعلمين والتعليم العربي والإسلامي في النيجيري** ورقة مقدمة لمؤتمر نتائس في كتسنا 2011 ومنشورة في مجلتها بعنوان الدراسات العربية والإسلامية وتحديات ضمان الجودة في نظام التعليم النيجيري

الشاطبي، **إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي.** الموافقات. (دار ابن عفان، د:1، 1417هـ/ 1997م)

المسلاتي، نوري حسن حامد. **الحكم الشرعي في تعلم اللغة العربية** دار ابن حزم1431ه - 2010م

مصطفى، مصطفى أبوبكر. **دور اللغة العربية في تكوين الملكة الفقهية والأصولية** المجلة الإلكترونية للمؤتمر الدولى الثاني للدراسات العربية والحضارة الإسلامية ماليويا، العدد الثاني: 2015

المقابلة مع الدكتور محمد أبوبكر في مكتبته بكلية القانون قسم الشريعة يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر 10 مايو 2017.

المقابلة مع السيد القاضي أحمد تجاني شريف، أمام بيته في حارة كمشى يوم الخميس بعد صلاة العصر 11 مايو 2017.

المقابلة مع المحامي محمد جاجيرى، يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة 19 مايو 2017.

وكاوا، أبوبكر الصديق إدريس. **حياة الشيخ محمد بن محمد كولو اليرواوي "عرض ودراسة"** بحث أكاديمي نشر في مجلة النور للغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ولاية يوبى. م، ع1، ج2.

Twentieth Anniversary Brochure (University of Maiduguri)

Undergraduate students` Handbook, University of Maiduguri Faculty of Law 2016 -2020

الهامش:

[1] أنظر: وكاوا. **حياة الشيخ محمد بن محمد كولو اليرواوي "عرض ودراسة"** بحث أكاديمي نشر في مجلة النور للغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ولاية يوبى. م، ع1، ج2. ص63 - 81

[2] أنظر: وكاوا. **حياة الشيخ محمد بن محمد كولو اليرواوي "عرض ودراسة"**. م، ع1، ج2. ص63 – 81 ملخصا

[3] أثناء حضور الباحث لدروس الشيخ ومقابلاته له.

[4] مقابلة الباحث مع أحد تلاميذ الشيخ وكاتبه السيد القاضي أحمد تجاني شريف، قاضي في المحكمة الشرعية للحكومة المحلية Biu وذلك بعد أن أذن الشيخ له بأن يزود الباحث بالمعلومات الثابتة عن الجامع. يوم الخميس بعد صلاة العصر. 11 مايو 2017 الموافق بـ 15 شعبان 1438هـ.

[5] مقابلة الباحث مع أحد تلاميذ الشيخ وكاتبه السيد القاضي أحمد تجاني شريف، يوم الخميس 11مايو 2017 بعد صلاة العصر، وحضور الباحث لمجلس الشيخ يوم الإثنين والأربعاء 10 مايو 2017

[6] راجع مقالة: Prof. R. C. Chhangani (Dean) **Twentieth Anniversary Brochure (University of Maiduguri)** ص xix

[7] راجع: **undergraduate students` Handbook, University of Maiduguri Faculty of Law 2016 -2020** ص7 - 8

[8] راجع: **undergraduate students` Handbook, University of Maiduguri Faculty of Law 2016 -2020.** ص69 -83

[9] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللحمي الغرناطي المالكي. **الموافقات**. ج 5 ص 53

[10] ابن خلدون، عبد الرحمن. **مقدمة ابن خلدون** ص 483 دار ابن الهيثم القاهرة ط1 1426ه 2005م

[11] المسلاتي، نوري حسن حامد. **الحكم الشرعي في تعلم اللغة العربية** ص 102 دار ابن حزم1431ه -2010م

[12] أنظر: مصطفى، أبوبكر. **دور اللغة العربية في تكوين الملكة الفقهية والأصولية** المجلة الإلكترونية للمؤتمر الدولى الثاني للدراسات العربية والحضارة الإسلامية ماليويا، العدد الثاني: 2015 ص10 -11

[13] راجع: **Twentieth Anniversary Brochure (University of Maiduguri)** ص45

[14] راجع: **undergraduate students` Handbook, University of Maiduguri Faculty of Law 2016 -2020** ص8

[15] أُجريت هذه المقابلة في مكتبته بكلية القانون قسم الشريعة يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر 10 مايو 2017.

[16] أُجريت هده المقابلة أمام بيته في حارة كمشى يوم الخميس بعد صلاة العصر 11 مايو 2017.

[17] أُجريت هذه المقابلة يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة 19 مايو 2017.

أثر القراءات الـمتواترة في اختلاف الفقهاء

إعداد
دكتور إمام عيسى عبدالكريم
الـمحاضر بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب، جامعة ولاية كدونا
emaam44@yahoo.com

Abstract

The variant rulings and opinions of Muslim jurists and scholars are often determind by so many different factors among which variant recitation of the verses of the Glorious Quran is one of the most inportant of them, the fact that it relates to the most important primary source of Islam which is the Glorious Quran. Some verses of the Glorious Quran were confirmed to be recited in different linguistic forms received from the prophet SAW in authentic nirations. This paper is an effort to study the impact of the most authentic category of variant recitations known as 'Mutawatir recitations' which is the only category unanimously agreed by the scholars of this field to be refered to as Quran. The ulema are in agreement to the effect that the entire text of the Qur'an is Mutawatir, meaning that its authenticity is proven by universally accepted testimony. Hence nothing less that Mutawatir is accepted in evidence to establish the authenticity of the variant readings of the Qur'an. Some majour cases involving this category were discussed while concentrating solely on the variant recitation as evidences in those cases without going into details of other evidences provided by the jurists in the cases, the study lead to a conclusion that these recitations played significant role in determining the juristic rulings of those cases, adding to the fact that whenever jurists differ in their rulings and opinions there has to be a solid basis for that and that it is erroneous to believe they differ on selfish basis.

مقدمة

إن الفقهاء في المسائل الفقهية يتفقون تارة، ويختلفون تارة أخرى تبعا لاجتهاداتهم في استنباط الأحكام الشرعية، وليس هذا كله إلا لاختلاف وجهات النظر في الأدلة المختلفة التي يستندون إليها في استنباطاتهم لهذه الأحكام الشرعية، فأدلة الأحكام كثيرة ومتنوعة ووجهات النظر بالنسبة لها تختلف من فقيه لآخر حسب اجتهاده وذلك هو ما يسميه الفقهاء بمنشأ الخلاف أو أسباب الاختلاف وهي كثيرة متعددة من أهمها موضوعنا محل البحث وهو اختلاف القراءات الواردة في القرآن الكريم، فقد تجتمع في الآية الواحدة قراءات متعددة يختلف كل منها من حيث المعنى والتوجيه فيتمسك فقيه من الفقهاء بقراءة معينة في مسألة ما ويبني عليها الحكم الشرعي في المسألة، بينما يأخذ فقيه آخر بقراءة أخرى مغايرة لما أخذه الأول ويبني عليها الحكم الشرعي في المسألة ذاتها وهكذا، فيحصل الاختلاف في المسألة تبعا لاختلاف القراءات في الآية محل الاستدلال وتوجيهاتها. وكثيرا ما نجد بعض الفقهاء يشيرون إلى أن منشأ الخلاف وسببه في مسألة ما هو اختلاف القراءات الواردة في الآية محل الاستدلال

للمسألة المختلف فيها حيث يختلف المعنى تبعا لاختلاف القراءات وتوجيهاتها، ومن هنا يكتسب هذا الموضوع أهميته كونه مرتبط بكتاب الله أولا وثانيا كونه يتعلق بالأحكام الشرعية التي تبنى عليها أعمال العباد، وقد قسمته إلى مقدمة ومبحثين، المبحث الأول منهما في ببيان مفهوم القراءات المتواترة وما يتصل بها، والمبحث الثاني في أثر القراءات المتواترة في اختلاف الفقهاء تناولت فيه المسائل الفقهية الشهيرة التي اختلف الفقهاء فيها تبعا لاختلاف القراءات المتواترة فيما ورد فيها من آيات ورتبتها وفق ترتيب الفقهاء لأبواب الفقه، ثم الخاتمة وبينت فيها أهم نتائج البحث والتوصيات، ثم ذيلت ذلك بالهوامش ومعها مصادر ومراجع البحث، والله أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول: التعريف بمفهوم القراءات المتواترة

أولا: القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا بمعنى تلا يتلو تلاوة، قال تعالى: ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ))(1) أي فإذا تلوت. والقرآن في أصل اللغة بمعنى الجمع والضم، تقول: قرأتُ الماءَ في الحوض أي: جمعته فيه. وسمي "القرآن" قرآنًا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض كما قاله أبو عبيدة(2).

ثانيا: القراءات اصطلاحا: عرَّفها أهل الاختصاص بتعاريف متعددة، ولعل من أحسنها تعريف الإمام ابن الجزري رحمه الله، فقد عرفها بأنها: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة (3).

ومعنى ذلك أن القراءات علم يعرف به مذاهب النطق بكلمات القرآن الكريم وألفاظه بأوجهها المختلفة اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لمن نقله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والعالم بها يسمى المقرئ. ومثال ذلك في سورة الفاتحة قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف: ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))(4) من المِلْك أي أن يوم الدين ملك له، وقرأ الباقون أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وابن كثير، ونافع ((مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)) بغير ألف، مأخوذ من الْمُلْكُ كما قال تعالى: ((لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ))(5) وهكذا.

ثالثا: القراءات المتواترة:

هي القراءة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتواتر أي بحيث يرويها جمع كبير عن جمع يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب. وقد أجمعت الأمة على قرآنيتها، ومشروعية التعبد بقراءتها.

رابعا: أقسام القراءات وضوابط قبولها

يذكر بعض أهل الاختصاص بهذا الفن انقسام القراءات إلى متواترة، وآحاد، وشاذة. وأن المتواترة هي تلك الثابتة عن القراء السبع الآتي ذكرهم قريبا، والآحاد هي

تلك الثلاث المتممة لها، ثم ما يكون من قراءات الصحابة، وما بقي فهو شاذ. وقيل بل المعتمد في تصنيف القراءات من حيث القبول وعدمه هي الضوابط وشروط القبول سواء أكانت القراءة من العشر أم من غيرها، وهذه الضوابط قد نصَّ عليها ابن الجزري وغيره، وهي: موافقة القراءة للعربية ولو بوجه، وموافقتها لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا، وصحة سندها، على أن البعض يرى أن هذه الشروط إنما هي فيما لم يثبت بالتواتر وإلا فالقراءة المتواترة في غنًى عن هذه الشروط. ومتى اختلَّ شرط من هذه الشروط الثلاثة أُطْلِقَ على القراءة ضعيفة، أو شاذّة، أبو باطلة (6).

خامسا: القراءات المتواترة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد جرى تسمية القراءات المتواترة بأسماء الأئمة القراء الذين تلقوها بالتواتر عن كبار التابعين وعن الصحابة رضي الله عنهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي: قراءة ابن كثير، وهو عبد الله بن كثير الداري المكي(ت120هـ)، وقراءة ابن عامر، وهو عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي(ت118هـ)، وقراءة عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي(ت127هـ)، وقراءة أبي عمرو، وهو أبو عمر زبان بن العلاء المازني البصري(ت154هـ)، وقراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي(ت127هـ)، وقراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني(ت169هـ)، وقراءة الكسائي، وهو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي(ت189هـ). وهؤلاء هم القراء السبع المجمع على تواتر قراءتهم أولا، ثم أثبت ابن الجزري تواتر ثلاث قراءات أخرى وضمها إلى السبع المتقدمة وهي قراءة أبي جعفر، وهو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني(ت130هـ)، وقراءة يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي الكوفي(205هـ)، وقراءة خلف بن هشام البزار البغدادي(ت229هـ). فهذه عشر قراءات ثبتت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس وراء هؤلاء العشرة إمام حصل له التواتر(7).

وأشهر القراءات الشاذة أربعة: وهي قراءة ابن محيصن: وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محيصن المكي(123هـ)، وقراءة يحيى اليزيدي: وهو أبو محمد يحيى بن المبارك التميمي البصري(ت202هـ)، وقراءة الحسن البصري: وهو الإمام أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، (ت110هـ)، وقراءة الأعمش: وهو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الأسدى(ت148هـ) (8).

المبحث الثاني: أثر القراءات على اختلاف الفقهاء

أولا: في كتاب الطهارة

المسألة الأولى: الخلاف فيما يجب في حق الرجلين في الوضوء هل هو الغسل أم المسح؟

قال الله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)) (9). قد ورد في لفظة

"وَأَرْجُلَكُمْ" في هذه الآية ثلاث قراءات(10):

- **القراءة الأولى:** "وأرجلَكم" بالنصب، قرأ بها نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص، وذلك عطفا على الوجوه والأيدي، وهي قراءة الحسن البصري أيضا.
- **القراءة الثانية:** "وأرجلِكم" بالخفض، قرأ بها ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر، وذلك عطفا على الرؤوس.
- **القراءة الثالثة:** روى الوليد بن مسلم عن نافع أنه قرأ " وأرجلُكم " بالرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره: أي وأرجلكم فاغسلوها أو مغسولة ونحو ذلك، وهي قراءة الحسن والأعمش سليمان.
- وبناء على هذا الاختلاف في القراءات الواردة في الآية اختلف الفقهاء في ما يجب في حق الرجلين في الوضوء هل يغسلان أم يمسحان؟ ولهم في المسألة أربعة أقوال(11):

القول الأول: أن الواجب فيهما الغسل، فيجب أن يغسلا إلى الكعبين في الوضوء، وهو مذهب جمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

واستدلوا لمذهبهم هذا بقراءة النصب في قوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ))(12). وجه الاستشهاد أن الله تعالى أمر بغسل الرجلين في هذه الآية لأن لفظ "وأرجلَكم" قرئ بالنصب عطفا على المغسولات وهي الوجوه والأيدي، وهذه قراءة نافع وابن عامر والكسائي كما تقدم.

القول الثاني: أن الواجب في حق الرجلين في الوضوء المسح لا الغسل، وهو مذهب ابن حرير الطبري والشيعة الإمامية. واستدلوا بقراءة الخفض في قوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ))، ووجه الاستشهاد أن لفظ"وأرجلِكم" قرئ بالخفض عطفا على الرؤوس وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة كما تقدم وهي متواترة وثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول الثالث: القول بالتخيير بين الغسل والمسح وينسب إلى الحسن البصري والجبائي وابن جرير الطبري، وذلك باعتبار أن كلا من القراءتين ثابتة وظاهرة في الدلالة على الغسل والمسح على السواء فهما كالروايتين وليست إحداهما في ظاهرها أدل من الأخرى فيكون الحكم على التخيير ككفارة اليمين ونحو ذلك، وقد قوى هذا القول النحاس رحمه الله(13).

القول الرابع: وجوب الجمع بين الغسل والمسح وذهب إليه ابن حزم من الظاهرية. وحجته أن كلا من القراءتين ثابتة وظاهر العطف فيهما يفيد الإشتراك فيجب العمل بهما جميعا ما أمكن، وهو ممكن هنا لعدم التنافي، إذ لا تنافي بين الغسل والمسح في محل واحد، فيجب المصير إلى الجمع بينهما(14).

الترجيح: قد رجح كثير من الفقهاء والمفسرين مذهب الجمهور؛ وسبب ذلك أن ما استندوا إليه عليه من قراءة مؤيدة بأحاديث صحيحة في صفة وضوء رسول الله صلى

الله عليه وسلم فهي كالتفسير العملي لها، ومن ذلك حديث حُمْران عن عثمان رضي الله عنه في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثا، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثا، ثم غسل يده اليسرى إلى المرفق ثلاثا، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا، ثم اليسرى ثلاثا، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال: (من توضأ وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه)(15). بل قد نقل ابن قدامة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى إجماع الصحابة على غسل القدمين(16)، ونقل الإمام الماوردي أن الغسل أيضا مجمع عليه بين كافة الفقهاء، وكذلك نقل الإمام النووي عن أبي حامد الغزالي وغيره أنه أجمع المسلمون على وجوب غسل الرجلين، ولم يخالف في ذلك من يعتد به(17).

وأما قراءة الخفض فإنهم تأولوها بأنها إما على المجاورة وتناسب الكلام وهو سائغ في اللغة شائع كما في قول العرب: "جُحْرُ ضَبٍ خربٍ"، فحق "خرب" أن يرفع على الخبر ولكنه جر لمجاورته للمجرور، ومثله أيضا قولهم: ماءُ شنٍ باردٍ، ونحو ذلك، ومنهم من قال: هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان، قاله الإمام الشافعي رحمه الله. ومنهم من قال: هي دالة على مسح الرجلين، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف، كما وردت به السنة.

المسألة الثانية: نقض الوضوء بلمس المرأة

قال الله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا)) (18).

وفي سورة المائدة في آية التيمم قال تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))(19).

وردت في لفظة "لَامَسْتُمُ" في هذه الآية قراءاتان (20):

القراءة الأولى: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر "لامستم"، بمعنى جامعتم، قالوا إن الملامسة لا تكون إلا من اثنين، فالرجل يلامس المرأة والمرأة تلامس الرجل. وروي التفسير بذلك عن علي بن أبي طالب، وعن وابن عباس أيضا وأن الله كريم يكني عن الرفث والملامسة والمباشرة والتغشي والإفضاء -وهو الجماع- بما شاء.

القراءة الثانية: قرأ حمزة والكسائي: "لمستم" بالقصر، ومرادهم في ذلك أن اللمس فعل الرجل دون المرأة، وهو ما دون الجماع كالقبلة والغمزة واللمس باليد، وهو مذهب ابن عمر، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وابن شهاب الزهري.

وقد اختلف الفقهاء في انتقاض الوضوء بلمس المرأة من عدمه وذلك تبعا لهذا الاختلاف في القراءاة، ولهم في المسألة قولان (21):

القول الأول: أن لمس الرجل للمرأة حدث ينقض الوضوء وهو مذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة، إلا انهم اختلفوا من حيث التفصيل والشروط لهذا اللمس الناقض للوضوء من غيره. فاشترط المالكية والحنابلة أن يكون ذلك باليد وبشهوة لقصد التلذذ، بينما لا يشترط الشافعية ذلك فاللمس ناقض عندهم باليد وبغيره بشهوة وبدونه.

واستندوا في حكمهم إلى قراءة حمزة والكسائي بالقصر في قوله تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا))(22). وجه الاستشهاد أن "أَوْ لَامَسْتُمُ" قرئ "أَوْ لَمَسْتُمُ" من اللمس، وهو عطف على المجيء من الغائط، وقد رتب عليهما الأمر بالتيمم عند فقد الماء فدل على أنه حدث كالغائط. ويؤيده تفسير ابن مسعود رضي الله عنه، قال الشوكاني: وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي من طرق عن ابن مسعود في قوله "أو لامستم النسا" قال: اللمس ما دون الجماع والقبلة منه وفيه الوضوء)(23).

القول الثاني: أن لمس الرجل للمرأة لا ينقض الوضوء وإنما الذي ينقض الوضوء هو الجماع، وهو مذهب الحنفية. وذلك أخذا بقراءة نافع وابن كثير وأبو عمر وعاصم وابن عامر في الآية محل البحث "لامستم" بمعنى جامعتم.

ويؤيده تفسير علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما، قال الشوكاني: وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن علي قال: اللمس هو الجماع ولكن الله كنى عنه. وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: كنا في حجرة ابن عباس ومعنا عطاء بن أبي رباح ونفر من الموالي وعبيد بن عمير ونفر من العرب فتذاكرنا اللماس فقلت أنا وعطاء والموالي: اللمس باليد وقال عبيد بن عمير والعرب: هو الجماع، فدخلت على ابن عباس فأخبرته فقال: غلبت الموالي وأصابت العرب ثم قال: إن اللمس والمس والمباشرة إلى الجماع ما هو ولكن الله يكني ما شاء بما شاء)(24).

الترجيح: الذي يظهر أن القول الثاني أرجح وهو ما رجحه الإمام الطبري حيث قال: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال:"عنى الله بقوله:"أو لامستم النساء"، الجماع دون غيره من معاني اللمس"(25). وسبب الترجيح صحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قبّل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ كما في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ، قال عروة: فقلت لها: من هى إلا أنت، فضحكت)(26). فإذا لم ينقض التقبيل وضوءه صلى الله عليه ويلم فمن باب أولى أن لا ينقضه مجرد اللمس. وكذلك حديث عائشة رضي الله عنها أيضا أنها قالت: (كنت

أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي فإذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح)(27) والله أعلم.

المسألة الثالثة: حكم وطء المرأة بعد انقطاع الحيض وقبل الغسل

قال الله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ))(28).

وردت في لفظة "يطَّهَّرن" في هذه الآية قراءتان(29):

القراءة الأولى: قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وعاصم في رواية أبى بكر والمفضل "يطَّهَّرن" بتشديد الطاء وفتحها وفتح الهاء وتشديدها، ومعناه: أي حتى يغتسلن. ويؤيده ما في مصحف أبي وابن مسعود "ويتطهرن" فالتطهر الاغتسال. وفى مصحف أنس بن مالك "ولا تقربوا النساء في محيضهن واعتزلوهن حتى يتطهرن".

القراءة الثانية: وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم "يطْهُرن" بتخفيف الطاء وضم الهاء بمعنى انقطاع الدم، قال الزجاج يقال: طهرت المرأة إذا انقطع الدم عنها.

وقد اختلف الفقهاء تبعا لهذا الاختلاف في القراءة هنا هل يجوز وطء الحائض بعد انقطاع حيضها قبل أن تغتسل للحيض أم لا بد من اغتسالها قبل الوطء؟ ولهم في ذلك قولان(30):

القول الأول: يحرم وطء الحائض بعد انقطاع الدم عنها حتى تغتسل، وهو مذب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة. وحجتهم قراءة التشديد "يطَّهَّرن" وجهه أن الله أمر عباده باعتزالهن في حال الحيض إلى أن يتطهرن بالماء. ولما ورد في قراءة مصحف أبي وابن مسعود "ويتطهرن".

ولقوله: "فإذا تَطَهَّرْنَ" قالوا: وهي على وزن تَفَعَّلْنَ فيجب أن يكون لها فعل وفعلها إنما هو الاغتسال؛ لأن انقطاع الدم ليس من فعلها. وحجة أخرى اعتبارا بقراءة أبي حتى يتطهرن ثم أدغموا التاء في الطاء.

القول الثاني: يجوز وطء الحائض بعد انقطاع الدم عنها قبل الاغتسال، وهو مذهب الحنفية، فلا يشترط الاغتسال عندهم لوطء من انقطع دم الحيض عنها. وحجتهم في ذلك قراءة "يطْهُرن" بالتخفيف بمعنى انقطاع الدم فقالوا: إن الله أمر عباده باعتزال النساء في المحيض إلى حين انقطاع دم الحيض، فإذا تطهرن أي بالماء.

الترجيح: لا شك أن قول الجمهور هو الراجح بدليل آخر الآية "فإذا تَطَهَّرْنَ"، وهو ما رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري. بينما يرى الإمام الشوكاني أن الأولى أن يقال: إن الله سبحان جعل للحل غايتين كما تقتضيه القراءتان: إحداهما انقطاع الدم، والأخرى التطهر منه، والغاية الأخرى مشتملة على زيادة على الغاية الأولى فيجب المصير إليها وبذك يكون كأننا قد عملنا بالقراءتين معا(31).

ثانيا: كتاب الحج والعمرة

مسألة جزاء قتل الصيد للمحرم

قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ...)(32). فقد ورد في "فجزاء مثل" أربع قراءات(33):

القراءة الأولى: قرأ عاصم وحمزة والكسائى "فجزاءٌ مثلُ" برفع جزاء وتنوينه، و"مثل" على الصفة، والخبر مضمر تقديره فعليه جزاء مماثل واجب أو لازم من النعم. وهذه قراءة الكوفيين، ويعقوب، وهي تقتضي أن يكون المثل هو الجزاء بعينه.

القراءة الثانية: وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر"جزاءُ" بالرفع غير منون و"مثلِ" بالإضافة أي فعليه جزاءُ مثلِ ما قتل، و"مثل" مقحمة كقولك أنا أكرم مثلك، وأنت تقصد أنا أكرمك. ونظير هذا قوله تعالى: ((أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا))(34) التقدير كمن هو في الظلمات، وقوله ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))(35) أي ليس كهو شئ. وهذه القراءة تقتضي أن يكون الجزاء غير المثل، إذ الشئ لا يضاف إلى نفسه. وقال أبو علي: إنما يجب عليه جزاء المقتول، لا جزاء مثل المقتول، والإضافة توجب جزاء المثل لا جزاء المقتول وهو قول الشافعي. وقوله: "من النعم" صفة لجزاء على القراءتين جميعا. وقرأ الحسن "من النّعْم" بإسكان العين وهي لغة.

القراءة الثالثة: وقرأ عبد الرحمن "فجزاءٌ" بالرفع والتنوين "مثلَ" بالنصب، قال أبو الفتح: "مثل" منصوبة بنفس الجزاء، والمعنى أن يجزى مثل ما قتل.

القراءة الرابعة: قرأ ابن مسعود والأعمش "فجزاؤه مثل" بإظهار (هاء)، ويحتمل أن يعود على الصيد أو على الصائد القاتل.

وقد اختلف الفقهاء في جزاء الصيد للمحرم تبعا لاختلاف القراءة في الآية المذكورة هل الواجب القيمة أم المثل؟ على قولين(36):

القول الأول: أن الواجب في الجزاء القيمة، فيقوم الصيد المقتول بالدراهم ويشترى بقيمته فداء من النعم ويهدى إلى الكعبة، بدليل قراءة الإضافة "جزاءُ مثلِ" وجهه أن لفظ الجزاء أضيف إلى المثل، والشيء لا يضاف إلى مثله، فوجب المصير إلى ما يعادله وهو قيمته.

القول الثاني: أن الواجب في الجزاء المثل إن كان له مثل وإلا فالقيمة، وهو مذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة. ودليله قراءة الرفع.

الترجيح: الذي يظهر أن القول الثاني هو الراجح أخذا بقراءة الرفع ولما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في تقويم صيد الحرم فيما له مثل بما يماثله.

ثالثا: كتاب الطلاق

مسألة حكم الخلع من غير السلطان

قال الله تعالى: ((الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ..))(37).

وردت في لفظة"يخافا" في هذه الآية قراءتان(38):

القراءة الأولى: قرأ حمزة وأبو جعفر ويعقوب: "إلا أن يُخافا" بضم الياء لما لم يسم فاعله، وحجته قوله بعدها: "فَإِنْ خِفْتُمْ" فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل "فإن خافا".

القراءة الثانية: قرأ الباقون: "إلا أن يَخافا" وحجتهم ما جاء في التفسير: "إلا أن يخافا" أي إلا أن يخاف الزوج والمرأة ألا يقيما حدود الله فيما يجب لكل واحد منهما على صاحبه من الحق.

وقد اختلف الفقهاء في جواز الخلع من غير سلطان تبعا لاختلاف القراءة في الآية على قولين(39):

القول الأول: يجوز الخلع من غير اللجوء إلى السلطان، وإليه ذهب جمهور الفقهاء، والظاهر أن دليله إعمال لقراءة "إلا أن يَخافا"، ولأن الطلاق من حيث النظر جائز بلا حاكم فكذلك الخلع.

القول الثاني: عدم جواز الخلع من غير السلطان وإليه ذهب الحسن البصري، واختاره أبو عبيد كما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني. ودليله قوله تعالى: ((فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ))(40)، وقوله تعالى: ((وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا))(41)، وجهه أنه تعالى جعل الخوف لغير الزوجين فيهما فلم يقل فإن خافا، وهو متفق مع قراءة حمزة وأبي جعفر ويعقوب: "إلا أن يُخافا".

الترجيح: يترجح قول الجمهور من جواز الخلع من دون السلطان لما ذكروه.

رابعا: كتاب الأيمان

مسألة: حكم التساؤل بالأرحام

قال تعالى: ((وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً))(42).

وردت في لفظة "وَالْأَرْحَامَ" في الآية قراءتان (43):

القراءة الأولى: قرأ حمزة "والأرحامِ" بالخفض، ويكون عطفا على تقدير الخافض أي عطفًا بـ"الأرحام"، على"الهاء" التي في قوله: "به"، كأنه أراد: واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحامِ.

القراءة الثانية: هي قراءة الباقين "والأرحامَ" بالنصب عطفا على تقدير تكرار العامل أي عطفًا بـ"الأرحام"، في إعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره كأنه أراد: واتقوا الله أن تعصوه واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وقد ضعف أئمة اللغة قراءة حمزة، بل وأنكرها بعضهم إنكارا شديدا بحجة إنها غير فصيحة في لغة العرب؛ لأن العرب لا تعطف الاسم الظاهر على المضمر في الخفض إلا بإعادة الخافض(44)، ولأنها تخالف في المعنى حكم الشرع. قال القرطبي نقلا عن الزجاج قوله: "قراءة حمزة مع ضعفها وقبحها في العربية خطأ عظيم في أصول أمر الدين، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا بآبائكم) فإذا لم يجز

الحلف بغير الله فكيف يجوز بالرحم"(45). قال المبرد: لو صليت خلف إمام يقرأ ((وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ)) لأخذت نعلي ومضيت) (46)). ولذات العلة رأى الإمام ابن جرير الطبري عدم جواز القراءة بها أيضا(47).

وقد اختلف الفقهاء في حكم جواز التساؤل بالأرحام من عدمه تبعا لاختلاف القراءة في هذه الآية على قولين(48):

القول الأول: أن التساؤل بالأرحام جائز شرعا من غير كراهة، وهو قول مروي عن ابن عباس ومجاهد بن جبر وإبراهيم النخعي والحسن البصري وغيرهم. ودليله قراءة حمزة، ولأن ذلك ليس بالحلف الممنوع بل هو استعطاف وتوسل بحرمة الأرحام التي أمر الله بصلتها وحرم قطيعتها. ويؤيده حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك)(49).

القول الثاني: عدم جواز التساؤل بالأرحام، وهو قول بعض العلماء واختاره ابن عطية الأندلسي. ومستند هذا القول هو قراءة الجمهور بالنصب، وهؤلاء اعتبروا السؤال بالأرحام نوعا من أنواع الحلف والحلف بغير الله محرم بالأدلة الصحيحة كحديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائك، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)(50).

الترجيح:

الراجح هو القول بالجواز؛ لثبوت القراءة تواترا وعدم وجود الناسخ لها، ولأن ذلك ليس حلفا حتى يقال بدخوله في النهي الثابت عن رسو الله صلى الله عليه وسلم.

وأما تضعيف أهل اللغة لقراءة حمزة وإنكارها فلعل ذلك كان قبل ثبوت تواترتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فليس من حقهم ذلك بحجة مخالفة اللغة العربية، فحمزة أحد القرراء السبعة وكان إماما، صالحاً، ورعاً، ثقةً في الحديث، ولم يكن يقرأ حرفاً من كتاب الله إلا بأثر ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الثوري وأبو حنيفة ويحيى بن آدم: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض، وقراءته هذه ثابتة بالتواتر، ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون والعكس صحيح، ثم إن حمزة لم يقرأ بذلك وحده بل قرأ به جماعة من غير السبعة كابن مسعود وابن عباس وإبراهيم النخعي والحسن البصري وقتادة ومجاهد وغيرهم(51)، ولهذا رد عليهم الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري بقوله: "ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التى قرأبها أئمة القراء ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن رد ذلك فقد رد على النبي صلى الله عليه وسلم، واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور، ولا يقلد فيه

أئمة اللغة والنحو، فإن العربية تتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يشك أحد في فصاحته"[52].

الخاتمة

يتلخص أهم نتائج البحث فيما يأتي:

أن علم القراءات يكتسب أهميته من اتصاله بكلام رب العالمين، فهو فن من الفنون العلمية المتصلة بالقرآن الكريم الذي لا يوجد على وجه الأرض كلام أفضل منه.

القراءات بشكل عام تنقسم إلى ما هو مقبول وغير مقبول، وأما المقبول فيشمل ما ثبت بالطرق الصحيحة المتواترة منها وغير المتواترة، وأما غير المقبول فهو ما يسمى بالقراءة الشاذة، وقد أجمع المسلمون على أنه لا يسمى القرآن منها إلا ما ثبت بالطرق المتواترة.

على الرغم من أن القراءات غير الثابتة بالتواتر لا تسمى قرآنا ولا تعتبر حجة يمكن الاعتماد عليها في تقوية المذهب الفقهي عند أكثر أهل الاختصاص المحققين إلا أن لها دورا في إثراء فهم معاني كلام الله تعالى.

لما كان الإجماع منعقدا على أن القراءات المتواترة قرآن فلا يجوز إنكارها أو ردها لظاهر معارضتها للغة العربية أو لحديث النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسألة التساؤل بالأرحام، بل يجب العمل بها على وجه يزول معه التعارض كما تقدم في المسألة.

تبين لنا بصورة جلية أن القراءات المتواترة لها أثر واضح وكبير في اختلاف الفقهاء فهي من أهم أسباب الاختلاف بين الفقهاء في مسائل الأحكام الفرعية، وليست المسائل التي تناولنا بحثها إلا خير دليل على ذلك، غير أني لا أستبعد أن تكون هناك مسائل أخرى فاتتني فيمكن لمن يرغب استكمال البحث في المسألة، كما أن موضوع أثر القراءات الشاذة في اختلاف الفقهاء يحتاج إلى بسط ليكون في متناول طلبة العلم بأسلوب سهل ميسر.

الهوامش ومعها ثبت المراجع

(1) سورة النحل، الآية: 98.

(2) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، بتحقيق محمد فواد سزگين، نشر مكتبة الخانجى، القاهرة، (1/1-3)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ط/4 سنة 1990م، نشر دار العلم للملايين، بيروت، مادة "قرأ".

(3) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، ط/1سنة 1420هـ/1999م، نشر دار الكتب العلمية، (ص9).

(4) سورة الفاتحة، الآية: 4.

(5) سورة غافر، الآية: (16).

(6) انظر: صفحات في علوم القراءات، لأبي طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، نشر المكتبة الأمدادية، ط/1، سنة 1415هـ (ص21-22)، دراسات في علوم القرآن، د. محمد

بكر إسماعيل، نشر دار المنار، ط/2، سنة 1419هـ/1999م (ص107)، مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط/3، سنة 1421هـ/2000م، (ص176).

(7) تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، بتحقيق د.أحمد محمد مفلح القضاة، ط/1، نشر دار الفرقان بالأردن، سنة 1421ه/2000م، (ص105)، الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/سنة 1394هـ/1974م، (252/1).

(8) انظر: مدخل في علوم القراءات، د. السيد رزق الطويل، نشر المكتبة الفيصلية، ط/1، سنة 1405هـ/1985م(ص56)، المدخل إلى علم القراءات، لفضيلة الشيخ محمد بن محمود حوا، طبعة بدون تاريخ (ص38)، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، لإبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، نشر دار الحضارة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/1، سنة 1429هـ/2008م (ص90).

(9) سورة المائدة: الآية (6).

(10) انظر: حجة القراءات لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، بتحقيق سعيد الأفغاني، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/2، سنة 1402هـ/1982م، (ص221، 223)، تفسير القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي أبو عبد الله، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان 1405هـ (91/6)، تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، بتحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/2، سنة 1420هـ/1999م، (54/3)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لحمد بن علي الشوكاني (25/2).

(1ı) انظر: تفسير القرطبي، المرجع السابق (91/6)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، بتنقيح وتصحيح خالد العطار، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط/سنة 1415ه/1995م (16/1)، فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق (25/2)، تفسير ابن كثير، المرجع السابق (54/3)، فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق(25/2)، الموسوعة الفقهية الكويتية، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط/2 (354/43).

(2ı) سورة المائدة: الآية (6).

(3ı) انظر: تفسير ابن كثير، المرجع السابق (54/3)، فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق(25/2).

(4ı) الإحكام في أصول القرآن لابن حزم الأندلسي الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، طبعة بدون تاريخ (ص264)، الموسوعة الفقهية الكويتية، المرجع السابق (354/43).

(5ı) صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، نشر دار الشعب، القاهرة، ط/1، سنة 1407هـ/1987م (40/3) برقم (1934)، وصحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (204/1) برقم (226).

(6ı) المغني المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، نشر دار الفكر، بيروت، ط/1، سنة 1405هـ (150/1).

(7ı) الموسوعة الفقهية الكويتية، المرجع السابق (353/43).

(8ı) سورة النساء، الآية: (43).

(9ı) سورة المائدة، الآية: (6).

(20) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة محمد بن زنجلة، المرجع السابق (ص204-205)، تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بتحقيق أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، ط/1، سنة 1420هـ/2000م (8/ 396)، فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق (705/1).
(21) انظر: المراجع السابق، والموسوعة الفقهية الكويتية، المرجع السابق، ط/2، دارالسلاسل، الكويت (118/17).
(22) انظر: الموسوعة الفقهية، المرجع السابق (118/17).
(23) فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق (705/1).
(24) المرجع السابق (705/1).
(25) تفسير الطبري، المرجع السابق، (8/ 396).
(26) سنن أبى داود للإمام أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ومعه أحكام الشيخ الألباني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، (70/1) برقم (179)، سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، وأحكام تعليق الشيخ الألباني (133/1) برقم (86)، وصححه الألباني.
(27) صحيح البخاري، المرجع السابق (107/1) برقم (382)، صحيح مسلم، المرجع السابق (1/ 366) برقم (272- 512).
(28) سورةالبقرة، الآية: (222).
(29) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة محمد بن زنجلة، المرجع السابق (ص134-135)، كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، بتحقيق د.شوقي ضيف، نشر دار المعارف، القاهرة، ط/2، سنة 1400هـ، (ص: 182)، تفسير الطبري، المرجع السابق (383/4)، تفسير القرطبي، المرجع السابق(88،90/3)، فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق (344/1).
(30) انظر المراجع السابقة، والمسوسوعة الفقهية الكويتية، المرجع السابق (325/18).
(31) فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق (344/1).
(32) سورة المائدة، الآية: (95).
(33) انظر: تفسير القرطبي، المرجع السابق (309/6)، أحكام القرآن لابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي، نشر دار الكتب العلمية، بدون تاريخ (268/3) أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص، حمد بن علي الرازي، بتحقيق محمد الصادق قمحاوي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة1405هـ (134/4)، كتاب السبعة في القراءات، المرجع السابق (ص247)، حجة القراءات، لأبي زرعة محمد بن زنجلة، المرجع السابق (ص: 235).
(34) سورة الأنعام، الآية: (122).
(35) سورة الشورى، الآية: (11).
(36) انظر: المراجع المتقدم ذكرها في القراءات الواردة، والموسوعة الفقهية الكويتية، المرجع السابق (173/13).
(37) سورة البقرة، الآية: (229).
(38) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة محمد بن زنجلة، المرجع السابق (ص135)، تفسير القرطبي، المرجع السابق (137/3)، فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق (362/1).

(39) انظر: المراجع السابقة، فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، نشر دار المعرفة، بروت، سنة 1379هـ، (396/9)، والموسوعة الفقهية الكويتية، المرجع السابق (244/19).
(40) سورة البقرة، الآية: (229).
(41) سورة النساء، الآية: (34).
(42) سورة النساء، الآية: (1).
(43) انظر: تفسير الطبري، المرجع السابق (519/7-520)، تفسير القرطبي، المرجع السابق (3/5)، فتح القدير، المرجع السابق (626/1).
(44) انظر: فتح القدير، المرجع السابق (626/1).
(45) تفسير القرطبي، المرجع السابق (3/5).
(46) فتح القدير، المرجع السابق (626/1).
(47) انظر: تفسير الطبري، المرجع السابق (523/7).
(48) انظر: تفسير الطبري، المرجع السابق (519/7-520)، تفسير القرطبي، المرجع السابق (3/5)، فتح القدير، المرجع السابق (626/1).
(49) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، نشر مؤسسة قرطبة، القاهرة وبذيله أحكام شعيب الأرنؤوط (21/3) برقم (11172) وابن ماجه في سننه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وبذيله أحكام الألباني، نشر دار الفكر، بيروت (256/1) برقم (778)، وضعفه شهاب الدين البوصيري في مصباح الزجاجة، نشر دار الجنان، بيروت بدزن تاريخ (124/1) وفي كتابه اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، نشر دار الوطن، سنة 1420هـ/1999م، (9/2)، وضعفه أيضا الألباني، والأرناؤوط.
(50) رواه البخاري، صحيح البخاري، المرجع السابق (164/8) برقم (6646)، ومسلم، صحيح مسلم، المرجع السابق 1266/3) برقم(3-1646).
(51) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسى، نشر دار الفكر، بدون تاريخ، (127/3). تفسير الفخر الرازى "مفاتيح الغيب من القرآن الكريم" لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، سنة 1421هـ/2000م، (133/9). روح المعاني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت (184/4).
(52) تفسير القرطبي، المرجع السابق (4/5).